
الجنرال ج. أوبري ديكنسون
استراتيجيّة
حرب الأنصار السوفياتيّة
في الحرب العالميّة الثانية
منشورات المكتبة الأهلية - بيروت

استراتيجية
حرب الانصار السوفياتية

تأليف
الجنرال ج. أوبري ديكنسون

استراتيجية حرب الأنصار السوفياتية في الحرب العالمية الثانية

تعريب
نخبة من العسكريين العرب

الناشر
المكتبة الأهلية - بيروت

تقديم: الجنرال السير ريجنالد ف. س دينيغ

لقد درس الجنرال ديكسون والدكتور هيلبرون حرب الانصار دراسة مستفيضة وعميقة ، وبصورة خاصة حرب الانصار التي خاضها الروس من عام ١٩٤١ الى عام ١٩٤٥ ضد الجيوش الالمانية . والغرض من هذا المؤلف هو عرض نتائج هذا العمل الذي قاموا به ، ففائدته جلة وسيقدره بلا شك المسؤولون عن وضع المخططات المعدة لمواجهة أي تهديد من هذا النوع ، في حروب مقبلة .

ولم ينس المؤلفان الاشارة الى مسارح العمليات الاخرى ، التي جرت عليها احداث الحرب العالمية الثانية ، وهذه المسارح التي بذلت فوقها العصابات نشاطا واسعا ، حيث حاولت تدمير خطوط مواصلات العدو لاجباره على نشر قواته على مساحات كبيرة واعاقة مشروعاته العدوانية .

وهكذا يتبادر الى أذهاننا فورا ، ما حققه في هذا الحقل ، قائد قوات الحلفاء في جنوب شرق آسيا ، الاميرال الكونت مونتباتن . ومن المعروف ان تنظيم الحلفاء الذي قام بأعمال العصابات ، في هذه المنطقة من العالم ، كان مدعوما من قبل القطعات الانجليزية والامريكية التي كانت متمركزة فيها . ومع ذلك فان وحدات العصابات ، وخاصة العصابات التي كانت تعمل في ماليزيا ، كانت مؤلفة في الغالب من سكان البلاد الاصليين ، وتتحرك بامرة قواد بريطانيين وامريكيين ، وقد ضايقت هذه

التشكيلات اليابانيين وأزعجتهم بصورة كبيرة ، وساهمت الى حد كبير في هزيمتهم . وقد أبرز سبنسر شابمان في كتابه : « الغابات حيادية » الحذاقــة التي أظهرها رجال العصابات في عملهم في هذه المنطقــة .

ثم كانت هناك وحدات الجنرال وينجيت ـ وكانعملها على مستوى مختلف ـ تلك القوات التي قاتلتوراء الخطوط اليابانية في بورما . وقد كانت هذه القوات مؤلفة من وحدات عسكرية منظمة ومنضبطة ، الا ان هدفها الذي رسمته وحققته كان مشابها للهدف الموضوع للانصار الروس المشتبكين ضد القوات الالمانية .

ويجب ان لا ننسى ابدا ، انــه كان من المحتمل ان نجد انفسنا في بريطانيا نفسها مضطرين الى خوض حرب العصابات ضد الالمان ، لــو نجح هؤلاء في عملية الانزال على جزرنا ، وربما لا ندرك هذا الموضوع بصورة عامة الا انه من المؤكد ان شيئا جديا كان قد أعد في هذا السبيل بل اقول ايضا ان حرب العصابات هذه كــانت مرسومة بصورة جيدة ، وربما كان تحضيرها واعدادها أفضل بكثير من الحرب التي اتبعها الروس ووصفها المؤلفان في هذا الكتاب .

وأخيرا لا بد من التنويه عن اعمال حركــة المقاومة السرية الفرنسية فقد كان موقف هذه العصابات فعالا كموقف العصابات الروسية فــي حربها التي لم يخمد أوارها ضد الالمان ، كما أن عددها لــم يكن أقل بكثير من رجال العصابات الروسية ، ويكفي أن نقرأ « أوديت » لنطلع على أهمية حركة المقاومة السرية الفرنسية وعلى الروح العالية التي كانت تدفعهــــا .

ومهما يكن من أمر ، فقد لفت المؤلفان الانتباه ، في الوقت المناسب الى ضرورة اعداد مختلف الدول لطرق مجابهة العصابات التي تؤثر بثقلها على المعارك في حرب مقبلة . وقد اشارا الى التعب والازعــاج اللذان يحس بهما جيش من الجيوش تتعرض خطوط مواصلاته لرحمة الانصار،

وبينا كيف اجبر الالمان الى اشغال حوالي (١٥) فرقة مشاة من قواتهم لمحاولة تدعيم أمن خطوط مواصلاتهم الاساسية فقط •

وقد أكد المؤلفان ان لهذه الحرب طابعين : احدهما استخدام العصابات العاملة لصالحنا ، وثانيهما شل وتدمير العصابات العاملة ضدنا • ويوصي هذا المؤلف بوضع نظام خاص يساعد الجيش على الدخول في الحرب مزودا بالتدريب الضروري الذي يمكنه من مجابهة خطط العصابات المعادية بنجاح ، مع معرفة اساليب استخدام عصاباتنا الخاصة طبقا لحاجاتنا (وهو لا يوصى بهذا النظام للجيش البريطاني فقط وانما يوصى به لكل الجيوش الغربية) • والملحق الذي ضم الى هذا الكتاب ، هو في الواقع نظام بحد ذاته ، ويتمتع بقيمة مؤكدة وحقيقية ؛ لانه يتعلق بالاوامر التي اصدرتها القيادة العليا الالمانية للقتال ضد العصابات الروسية • وقد تركت قراءة هذا الكتاب الانطباعات التالية في رأيي :

(أ) أسهمت العصابات الروسية ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، الى حد كبير في هزيمة الالمان ، فقد كانت مشبعة بحقد عميق ضد المحتلين، وبالرغبة في الدفاع عن الاتحاد السوفياتي الذي كان العدو ينهب ارضه، كما توصلت العصابات العاملة لصالح الامم المتحاربة، فوق مسارح عمليات اخرى ؛ على نتائج ملموسة ولعبت في الانتصار على العدو المشترك دورا لا يقل عن دور العصابات السوفياتية •

(ب) ينبغي ان تكون عصاباتنا التي ستعمل على مؤخرات العدو ، تحت قيادة القائد الاعلى لمسرح العمليات • فان لم نفعل ذلك فشلت عصاباتنا في القيام باعمالها للحصول على النتيجة الاساسية المرجوة ، وهي هزيمة القوات المسلحة المعادية • اما الاعمال المستقلة فقد تؤخرنا ، أو تمنعنا من بلوغ الهدف الاساسي (وهو هزيمة العدو)• فاذا أمنت قيادة وادارة وحدات العصابات بواسطة سلطة مستقلة ،

أي تحت امرة وزير مثلا تابع للحكومة ، فاننا نعود بهذا الشكل الى زمن « الجيوش الخاصة » ، هذه الجيوش التي كانت تتمتع بدرجة عالية من الجرأة والقوة ، والتي كان من الممكن أن تحقق نجاحات اكبر وان تساهم بالنصر بشكل أجدى واعظم لو انها كانت تحت قيادة القائد العام الذي تعمل في مسرح عملياته ، فالقائد العام هو وحده الذي يستطيع تقرير الشروط التي يتمكن الانصار في ظلها تقديم مساعدتهم لبلوغ الهدف .

(جـ) عندما تجري العمليات المضادة للانصار ، يكون لهذه الاعمال انعكاسات فورية على السكان المدنيين ، كان الالمان يمارسون الاعمال الانتقامية لاجبار الانصار على ترك المعركة . وكانت نتيجة هذه الاعمال الانتقامية هلاك عدد كبير جدا من المدنيين في مناطق نشاط الانصار، او زج بعض المدنيين في معسكرات الاعتقال.

ان عملية قتل السكان المدنيين عملية لا تستسيغها شعوب الغرب ، الا اذا تمت اثناء المعركة . وتقتضي عملية اقامة معسكرات الاعتقال بالضرورة اقامة تنظيم واسع توزيع قوات كبيرة لتأمين حراستها وادارتها. والسلوك الواجب اتباعه في هذه لحالة هو نفس السلوك الذي اتبعه الجنرال بريجز في ماليزيا ، فقد أحاط هذا الجنرال بعض الاماكن بقطعاته بعد ان نظفها من العصابات التي كانت تعبث فيها ، وكانت قطعاته جاهزة للتدخل فورا في الاماكن المحددة لها ، لدى رجوع العصابات اليها .

وبالنظر للوضع العالمي الحالي ، فان هذا الكتاب يأتي في اللحظة المناسبة فهو يعالج موضوعا يكثر الحديث عنه ، دون ان يدرس دراسة عميقة حتى الان . وسيساهم هذا الكتاب في دراسة هذه المعضلة ، وسيساعد بالتأكيد كل الاشخاص المكلفين بتحضير المعركة ضد العصابات، او اعداد وحدات من نوع العصابات للعمل ضد العدو .

مدخل

لم تصطدم قواتنا خلال الحرب العالمية الثانية بحركات كبرى من حركات العصابات التي نظمها العدو . فالوحدات اليابانية والايطالية والالمانية الضرورية لمثل هذا النوع من لحروب ، لم تكن موجودة . وقد استسلم اليابانيون عندما وطئنا ارضهم ، فحتى ولو كان في نيتهم تنظيم حرب عصابات ضدنا ، فاننا لم نلاحظ عندهم اية تحضيرات لاعداد مثل هذه الحرب . كما ان الايطاليين لم يسببوا لنا اية متاعب من هذه الناحية. الا ان الالمان هم الوحيدون الذين حاولوا اعداد شيء في هذا المجال كوسيلة اخيرة من وسائل الدفاع . فخلال شتاء ١٩٤٤ — ١٩٤٥ سمعنا عن حركة المانية تدعى Wer Wolf هذه الحركة التي كانت ستؤلف تحت حماية التحصينات المبنية في مناطق الالب البافارية والنمساوية . ففي هذه الفترة ، تكون لدى بعض القادة النازيين فكرة انشاء حركة من هذا النوع ، تتابع القتال ضد قوات الاحتلال الحليفة ، بعد الانهيار ، وتكون نقطة انطلاق للمقاومة الالمانية . وقد اوقف بعض أعضاء هذه الحركة من قبل الحلفاء ، ثم لم نسمع عنها شيئا على الاطلاق . لقد انهكت ست سنوات من الحرب الشعب الالماني وجعلته في حالة من البؤس ولذا لم يطلق اعضاء هذه الحركة رصاصة واحدة .

ولقد كان هناك بالتأكيد عصابات في الحرب العالمية الثانية . فقد شن الروس بصورة خاصة حرب عصابات هائلة ضد الجيوش الالمانية ،

كما شهدت الصين ويوغوسلافيا واليونان وبولونيا وفرنسا والحبشة حرب عصابات ، كما لعبت قوات الشندت في بورما دورا ملموسا ۰ الا ان كل هذه العصابات كانت تعمل الى جانبنا ، في هذا الوقت ، فنحن لم نعرف أعضاءها أبدا الا « كمواطنين » ۰ ولم نصادف عصابات أنصار تعمل ضدنا ، حتى جاءت حوادث ماليزيا وكوريا الاخيرة ۰

ولهذا السبب بدأنا نفهم بصعوبة معنى حرب العصابات هذه ۰ والحقيقة اننا لم نقدر تقديرا كبيرا الانتصارات التي حققتها بعض هذه العصابات في افريقيا الشرقية وبورما ، حيث كانت تعمل الى جانبنا ۰ وقد أتى الوقت الان لتقدير وتقييم أهداف مثل هذه العمليات ۰ فقد دفع الشيوعيون حرب العصابات الى مستوى الكمال ۰ ولو نشبت حرب بيننا وبينهم فسنضطر الى القتال ضد انصار سيحاربون في مؤخراتنا ۰

ولقد ألغت العصابات الفكرة التي اخذناها عن الحرب ، بينما بقيت الحرب التقليدية كما عرفناها ، فقد كانت القطاعات تحارب على جبهات كنا تتمتع خلفها بالسلم التقريبي ۰ وطبقا للمادة ٤٣ من اتفاقية لاهاي عن الحرب البرية ، فان قائدالجيش في ارض محتلة ، هو مسؤول عن النظام والامن العام ، ويجب عليه اعادته وتأمينه قدر الامكان ۰ ويتمتع هذا القائد بالسلطة التنفيذية ، ويمارس السيادة ، ويقع القوانين ، ويقيم السلطات التشريعية ويحمي السكان المدنيين ۰۰۰ ان اعادة النظام وتأمين الامن العام كانت امورا هينة في الحروب الماضية فالقائد العام كان هو المسؤول في المناطق المحتلة ، ولكي يجبر الجميع عن احترام القانون والنظام ، كان يكتفي بممارسة سلطة تكبح جماح قواته ۰ اما السكان المحليون فكانوا مواطنين مسالمين ۰

ومن العجيب أن نلاحظ ، اننا كنا نقاتل ، مؤخرا بأفكار قديمة أيضا ، ففي عام ١٩٤١ ، عندما هاجم الالمان الاتحاد السوفياتي ، لم يفكروا انهم سيواجهون في يوم الايام نشاطا فعالا كنشاط عصابات

الانصار ، ولم يكن الموضوع مطروحا حتى عند بدء المعارك . فقد كـــان كثير من الروس البيض والاوكرانيين يعتبرون الالمان محررين . الا انـــه بعد وقت قصير ، كان على الالمان ان يحاربوا على جبهتين : اولاهما ضد الجيوش السوفياتية في الامام وثانيتهما ضد الانصار السوفيات المتوغلين خلف الخطوط . فوراء الخطوط الالمانية ، كانت مستودعات الذخائـــر تنفجر ، وتخرج القطارات عن سككها ، كما ان جنودا عديدين كـــانوا يقعون في الكمائن ، وتقطـــع المواصلات وتتوقف ، وتضرم النار فـــي المستودعات . وكان الانصار يظهرون من كل مكان . فقد قاموا بعمليات برمائية ، وهبطوا من السماء ، وخرجوا من كهوفهم المنتشرة في الجبال او من مخابئهم المخفية في المستنقعات . وعندما كانوا يشتبكون مع الالمان كانوا يتركون احيانا قتلاهم وجرحاهم . كما يقع منهم في بعض الاحيان بعض الاسرى، الا ان الباقين كانوا يختفون ثم يعودون اكثر عددا وافضل تسليحا . وقد تعلم الالمان حرب العصابات بعد ان دفعوا الثمن غاليا . لذا فان اهمال هذه الناحية هو من الخطورة بمكان كبير .

ومع ذلك فان حرب الانصار هذه ، كما عرفناها ، كانت في أولى خطواتها ، ولم يكن على الالمان ان يواجهوا سوى انصار سوفيات يعملون في روسيا فقط لا في المانيا نفسها . ذلك لان الحزب الشيوعي الالماني كان ضعيفا بعد عمليات الارهاب والتعذيب التي تعرض لها . وقـــد لا يتكرر ذلك في اية حرب مقبلة يشترك فيها الاتحاد السوفياتي والصين ، فالحزب الشيوعي في كل بلد تشترك في الحرب ضد هاتين الامتين قـــد يعد حرب عصابات لمقاتلة جيوش هذه البلاد . كما ان الاحزاب الشيوعية ستشكل خلف خطوط الدول الغربيـــة طابورا سادسا يهدد مؤخراتهـــا تهديدا خطيرا . ولقد حذر ستالين الجميع من هذا الخطر كما سنرى فيما بعـــد .

وقد ازدادت اعداد الانصار الذين يرعاهم الكرملين خلال الاعوام

الماضية ، كمـــا اتسعت وازدادت فاعليتهم • نظمت بلدان الكتلة الشرقية نفسها وحدات خاصة من الانصار المعززين في بعض الاحيـــان بوحدات تسمى الكتائب الدولية •

وقد تواجه الدول الغربية هؤلاء الانصار في حرب مقبلة • وليس من المستحسن ان تعتمد هذه الدول على الدروس الحديثة المأخوذة مـــن عمليات ماليزيا او كينيا ، لان هذه التعاليم والدروس ليست نهائية ففـــي هذين البلدين ، كانت العصابات تقاتل لحسابها الخاص ، ولم تكن معززة بجيوشها الوطنية • ففي حرب مقبلة ، ستكون العصابات تابعة للجيوش النظامية كما كانت اثناء معركة روسيا • ان هؤلاء الانصار سيقدمـــون المساعدة بفضل تكتيكهم وفنهم الخاصين للقوات المعاديـــة • ولهـــذا السبب يجب دراسة حرب العصابات الروسية ضد الالمان •

ان هذا الكتاب سيعالج الحرب التي قام بها الانصار في الاتحـــاد السوفياتي اثناء الحرب العالمية الاخيرة • وسنحاول جهدنا ابراز الافكار التي عرضها ماوتسي تونغ في عام ١٩٣٧ ، عندما كان شيوعيا مغمورا وسنبرز كيف استفاد الاتحاد السوفياتي من هذه الافكار ، وسنعمل على اخذ اسباب فشل التدابير الالمانية ـــ المضادة لهذه الحرب • واخيـــرا سنحاول استخلاص الدروس التي تتفق مع الاحداث التي نختبرها اليوم واقتراح التدابير الواجب الاخذ بها والوسائل التي يجب اتباعهـــا لمجابهة هذا النوع من لحروب •

القسم الأول

الانصار السوفييت

الفَصْل الأول

كانت هذه الحرب حرباً منتظرة

« لا تسيئوا معاملة ابناء الآخرين ، بل اعتبروهم كأخوتكم واخواتكم ، حتى ولو كانوا صغاراً طائشين ، فمن المحتمل ان يكونوا اولاد أمير او سيد قوي » .
(حكم بالفو)

ان من عادة الحكام المتحضرين الذين يحكمون ديكتاتوريا ان يكتبوا ويطبعوا برنامجهم . ولقد حذر قراء كتاب « كفاحي ــ هتلر » ، الذي كتب في عام ١٩٢٣ ، من كل ما كان ينتظرهم في المستقبل اذا ما أصبح هتلر في الحكم ، الا ان اليابانيين كانوا اقل ايضاحا لبرامجهم من الالمان ولكنهم كانوا دقيقين في تنفيذ برامجهم : ففي عام ١٩٢٧ ، أعلنوا عن نيتهم في الاستيلاء على الشرق الاقصى . الا أنهم بالغوا كالالمان مبالغة كبيرة في ادعاءاتهم الى الحد الذي لم نصدق فيه ما قالوه . ولكن تاريخ الديكتاتوريات خلال العشرين او الثلاثين عاما الاخيرة لن يسمح لنا أبدا بان تتابع تجاهل ما يقولونه كما فعلنا في الماضي .

وفي استطاعتنا ان نورد هنا عددا من خلاصات المؤلفات التي كتبها

حكام آخرون . يحكمون بلادهم ديكتاتوريا . وأن يثبت بهذا الشكل على انهم يعبرون بسهولة وبصورة مفتوحة عن أفكارهم ؛ الى درجة كتابتها على الجدران . وهناك أيضا مبادىء كبرى لحرب العصابات ؛ درست ايضا ؛ دراسة تفصيلية من قبل شيوعيين مشهورين ، ككارل ماركس ولينين ، وماوتسي تونج وستالين ، ونستطيع قراءة الكتابة الاولى لهذا الموضوع على الجدران بالشكل التالي :

« لا يجب على الامة التي تحارب من أجل حريتها ان تحترم قوانين الحرب المعترف بها بصورة مطلقة . فتمرد الجماهير وغضبها ، والطرق الثورية ، ومجموعات الانصار في كل مكان ، تلك هي الوسائل التي بفضلها يستطيع شعب صغير بواجهة خصم أقوى منه عددا وعدة . وباستخدام هذه الوسائل يتمكن الاضعف أن يأمل قهر خصم أقوى منه وأفضل تنظيما » (١) .

لقد مضى مائة عام على كتابة هذه السطور ، ومع هذا بقيت هذه الكلمات حتى الآن كلمات تساير العصر الحاضر دون جدال . ومما يدهش ان هذه الكلمات لم تأت عن قلم جندي من الجنود . فالواقع انها من صنع مؤلف يعرفه الجميع وهو « كارل ماركس » الذي كتب : « رأس المال » والذي شارك في وضع (البيان الشيوعي لعام ١٨٤٨). الا ان كارل ماركس كان يدرك في نفس الوقت ما هي الحرب . فمن عام ١٨٥٣ الى عام ١٨٥٦ ؛ كان ماركس يعمل مراسلا حربيا لنيويورك تريبون ، وكان يصف في مقالاته المتعددة الاحداث الهامة في حرب القرم (٢) . وبعد ذلك ، وبين عام ١٨٦١ ــ ١٨٦٢ ، زود كارل ماركس،

---

(١) كارل ماركس ــ ١٨٤٩ ــ راجع كتاب القوى السرية ، ف الحركات السرية ــ لندن ١٩٥٠ ص ٢٥ .

(٢) كارل ماركس . « المسألة الشرقية » (نشرة اليانور ماركس آنشنغ وادمون آفلين ــ لندن ١٨٩٧) .

بالتعاون مع آنجلس ، الصحافة النمساوية بتقارير صحفية عن الحرب الاهليـــة الامريكية (١) •

والفقرة التي ذكرناها مأخوذة من تقرير عن معركة نوفار في عام ١٨٤٩ ــ ويعرض كارل ماركس في هذا المقطع ، في بضع كلمات ، أكثر نظريات الحرب ثورية • ومع ذلك فكارل ماركس لـــم يخترع حرب الانصار • فقد شنت هذه الحرب لاول مرة في الصين ، في عام ٣٦٠ قبل الميلاد من قبل الامبراطور هوانغ الذي اشتبك في حرب طويلـة ضد سلالة المياو التي يقودها تسى ياؤو • وقد استخدم الامبراطور هوانــغ الانصـــار في هذه الحرب • وتغلب على عدوه (٢) • ولقد رأينـــا ، بعد ذلك عصابات تقاتل أثناء الثورة الامريكية والثورة الفرنسية ، كمـــا رأينا حرب الانصار أثناء الحرب الاسبانية في عام ١٨٠٨ الى عام ١٨١١ ، كما نعلم أيضا ان الفلاحين الروس المسلحين قد توصلوا الى انتصارات هامة ، في عام ١٨١٢ ، ضد القوات النابليونية المتراجعة • الا أن الانصاف للحقيقة يجعلنا نعترف بان كارل ماركس كان أول من فهم الاهمية الكبرى لحرب العصابات •

ولقد أتخذت الاكتشافات العلمية الكبرى مكانها في ترسانة الحرب الحديثة ، وأصبحت أمرا واقعا عندما وضعت الامكانيات الهائلة للانصار موضع الاختبار العملي على نطاق واسع • وهذا الواقع واقع غريب شاهدناه وتأكدنا من صحته • فعندما طبع كارل ماركس افكاره عـــن الحرب الشعبية ، كانت تشكيلات القتال تتضمن ثلاثة صفوف من أنساق المشاة : وكان نسق المشاة الاول منبطحا ، والنسق الثاني راكعا ، والثالث

---

(١) كارل ماركس وفريدريك آنجلس : الحرب الأهلية في الولايات المتحدة (لندن ١٩٣٧) •

(٢) راجع كتاب الصين في الحرب ــ شونغ كنغ ــ المجلد ١١ ، رقم ٤ ، نيسان ١٩٣٩ ــ صفحة ٨ •

واقفا . وفي هذا الترتيب كانت المشاة تتلقى هجمات خيالة تحارب بالرمح والسيف . ولم يكن الناس في ذلك الوقت يتحدثون كما تتحدث الآن عن حرب الخنادق وعن حرب متحركة تجري بسرعة الحصان الذي يبطىء من سرعته بسبب مائة كيلوغرام يحملها على ظهره وتشكل وزن الفارس واسلحته ومعداته ولم تكن قد اخترعت بعد الآليات وسيارات الجيب والقنابل الموجهة والرشاشات والرصاص المحرق . ولم تكن الحرب الكيميائية والجرثومية والرادار والقنبلة الذرية قد عرفت بعد . الا أن أفكار كارل ماركس ، عندما وضعت قيد التطبيق في أوروبا وعلى نطاق واسع ، كان كل عتاد هذه الحرب الحالية قد جرب في المعركة ؛ أو كان على وشك أن يستخدم فيها . وفي روسيا ، تعرضت الجيوش الالمانية لخسائر كبيرة سببتها اعمال العصابات تفوق الخسائر التي سببتها الاسلحة المستخدمة في ذلك الوقت . وفي ميدان التسليح ، كان في استطاعة الالمان التفوق على اعدائهم ، الا انهم كانوا لا يستطيعون شيئا ضد الانصار ، حتى أن رجلا مثل جوبلز لم يكن يعرف كيف يواجه تهديدا ماكرا كالتهديد الذي تمثله حرب الانصار .

وهكذا فشل جوبلز وهو حي في مجابهة روح كارل ماركس . ولا يعود ذلك الى ان جوبلز لم يجرب مكافحة هذه العصابات ، بل على العكس حاول ذلك كثيرا . فقد ادرك جوبلز ، خلال الحرب ، خطر العصابات وعيا كاملا ، فيومياته تشهد بذلك . ولقد كتب فيها ما يلي (١):

« ٦ آذار ١٩٤٢ يشير تقرير صادر عن مصلحة الامن العسكري للرايخ S. D. عن الحالة في روسيا : من المؤكد ان الوضع غير مستقر. ان خطر الانصار يزداد من أسبوع الى أسبوع ؛ وتشرف العصابات على مساحات واسعة وتقيم فيها نظاما أرهابيا ».

---

(١) يوميات جوبلز (ترجمت ونشرت من قبل لويس ــ ب . لوشنر ، لندن ١٩٤٨) .

« ١٦ آذار ١٩٤٢ ـ تزايد نشاط الانصار بصورة واضحة خلال الاسابيع الاخيرة • فهم يمارسون حرب عصابات منظمة تنظيما دقيقا • ومن الصعب القضاء عليهم لان الوسائل التي يتبعونها ، في المناطق التي يسيطرون عليها تجعل السكان المحليين يخشون من التعاون معنا بأمانة »

« ٢٩ نيسان ١٩٤٢ ـ يتطور خطر الانصار في المنطقة الروسية المحتلة بسرعة مضطردة • فلقد عانينا كثيرا من الصعوبات خلال الشتاء ، الا ان هذه الصعوبات لم تنته بحلول الربيع • فعلى الجبهة الوسطى ، ومر الانصار الخط الحديدي في عدة أماكن بين بريانسك وروسلاو • ان اعمالهم تثير الحيرة والاضطراب »•

وكان جوبلز يأخذ معلوماته من تقارير مصلحة الامن العسكري الرايخ (S.D.) ، وهي مصلحة مشابهة للجستابو • وكثيرا ما كانت هذه التقارير ترسل الى كل القادة النازيين من ذوي الرتب العليا لانها تشكل المنابع الحيوية لدراسة حرب الانصار في روسيا • وقد ضاعت كل هذه التقارير ، ان ان مجموعة منها وجدت وقد تخلى عنها اصحابها في منجم للملح قرب سالسبورغ ، في النمسا • وسنشير في معظم الاحيان الى هذه التقارير ، وسنرى أن جوبلز كان بعيدا جدا عن الحقيقة عندما كان يصف حرب العصابات بانها « حرب مثيرة للبلبلة والاضطراب » • وبرغم رغبة جوبلز العارمة في ايجاد الوسائل لمجابهة الانصار بنجاح ، الا انه لم يكن ليستطيع ان يعمل شيئا سوى الاشارة الى اسباب نشاطها • وفي ٢٥ نيسان ١٩٤٢ كتب في يومياته ما يلي :

« لقد كان الاوكرانيون في بادىء الامر مستعدين تماما لاعتبار الفوهور منقذ أوربا ، وقد استقبلوا الجيش الالماني بمودة واخلاص • الا ان هذا الموقف تغير تغيرا كاملا اثناء الاشهر التالية • فقد سبب الوسائل المتبعة من قبلنا استياء الروس والاوكرانيين بصورة خاصة • اذ لا يتقبل هذان الشعبان القسوة والعنف »•

وفي الشهر التالي ، وفي ٢٢ أيار ١٩٤٢ ، عاد جوبلز الى نفس الموضوع ، وكتب ما يلي : « اني أرى شخصيا ، ان علينا أن نغير طريقة معاملتنا لشعوب الشرق ، وبمقدورنا التقليل الى حد كبير من خطر العصابات لو نجحنا في كسب ثقة هذه الشعوب ، ان اتباع سياسة مناسبة تجاه الفلاحين وازاء الكنيسة كفيل بصنع المعجزات ، وقد يكون من المفيد أيضا اقامة حكومات مؤقتة في مختلف المناطق : تصبح مسؤولة عن كل التدابير القاسية وغير الشعبية »،

وكان جوبلز يؤمن كثيرا باتباع سياسة « اليد الحديدية المختفية في قفاز من الحرير » في البلاد المحتلة ، الا انه كان يفكر ويتفلسف بعد فوات الاوان ، وهو أمر سهل جدا ، سوى انه لا يوصل الى أية نتيجة ، فمصلحة الامن العسكري للرايخ ، والعناصر النازية الاخرى استقطبت عداء الشعب السوفييتي ، ويبدو ان جوبلز نفسه ادرك ان الوقت متأخر جدا للتراجع الى الوراء ، وعلى كل حال ، فلم يكن جوبلز نفسه ادرك ان الوقت متأخر جدا للتراجع الى الوراء ، وعلى كل حال ، فلم يكن جوبلز صادقا عندما كان يدعو الى اللين مع السكان المحليين ، لانه عاد فنصب نفسه محاميا عن العنف دون تحفظ ، فكتب في ٤ كانون أول ١٩٤٣ ما يلي : « لقد تلقيت تقريرا عن الوضع في الشرق .. اننا ارتكبنا في الشرق خطأ كبير بعدم اجلائنا كل السكان الذكور من المناطق التي صممنا على التخلي عنها .. اذ ان السوفييت قاموا فورا بتجنيد كل الرجال في جيشهم حتى ان معظم هؤلاء الرجال لم يلبسوا البزة العسكرية : بل وضعوا فقط وبكل بساطة شارة الساعد الحمراء ، وبهذا الشكل البسيط تمكن ستالين من تجنيد ٤٠٠٫٠٠٠ الى ٥٠٠٫٠٠٠ جندي بالاضافة الى قواته ، وحين تترك السكان الرجال على مقربة من الجبهة لا نستطيع تحاشي تشكيل وحدات من الانصار ، كما اننا نعجز عن تجنب الاخطار التي تنتج عنها » ،

وسواء اكانت المعلومات تأتي الى جوبلز بصورة سيئة أو حسنة ، فان اطلاعه عليها بشكل جيد هو أقرب الى الواقع الا ان « جوبلز » لم يكن يريد أن يظهر وكأنه المحرض لسياسة كانت الجيوش الالمانية المتقهقرة تمارسها منذ زمن طويل دون أن تحصل مع ذلك على الهدف المنشود • ومع هذا بقيت المشكلة بالشكل التالي : ان القضاء على العصابات مشكلة صعبة وعسيرة على « جوبلز » الذي أساء تقدير خصمه فلم يتمكن من اتخاذ التدابير الضرورية في الوقت المناسب •

كان « جوبلز » من حملة شهادة الدكتوراه في الفلسفة وقد درس التاريخ والفنون والادب • وارتاد اكبر الجامعات الالمانية في ذلك الوقت، ولا بد انه قرأ كثيرا في تلك الحقبة ، وكان يعتبر نفسه خبيرا في الحرب النفسية ، وكنا نميل الى الاعتقاد بأنه خبير فذ في هذا المضمار • وكان من المعروف انه الزم نفسه والزم موظفيه في وزارة الدعاية والتربية بدراسة تعاليم الزعماء الشيوعيين القدماء دراسة عميقة ليستخلصوا منها استنتاجات عملية عن ادارة الحرب • ومن المعتقد انهم قاموا بذلك قبل ان تهاجم المانيا الاتحاد السوفياتي • ويبدو ان جوبلز قد افتقر الى الفراسة في هذا الموضوع • فلم ينس موظفو الدعاية الالمان دراسة عقائد كارل ماركس فحسب، بل اهملوا كل ما قاله وكتبه ماوتسي تونج ولينين وستالين بخصوص هذا الموضوع •

وتزداد الغرابة اكثر فأكثر اذا علمنا ان الالمان كانوا قد اصطدموا بالجنود غير النظاميين Francs Tireurs خلال الحرب الفرنسية ـ الالمانية من ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ الا ان كتب التاريخ الالماني لم تخصص لهؤلاء الجنود في الحرب السرية الا بضعة عبارات تصف فيها هذه الحرب بانها حرب غير شرعية • وكان لينين يفكر بطريقة مختلفة : « لقد أظهرت اساليب حرب العصابات التي هي اساليب مجربة ومقبولة انها كثيرة الفاعلية اثناء ثورة ١٩٠٥ كالاضرابات المفتوحة » واتعاب الخصم بالقتال

امام الحواجز المنتشرة في كل مكان » • ونحن نعلم من ستالين نفسه ان طرق مشابهة لهذه الوسائل استخدمت في ايام ثورة ١٩١٧ •

وبينما نجد لينين يعتبر حرب العصابات حربا « كبيرة الاثر » نرى ان ستالين يزايد عليه ، فيعتبرها حربا « حاسمة » ، ولا يتردد في التأكيد على ان الشيوعيين لم يستطيعوا قلب كيرنسكي ولا الحفاظ على السلطة الا بفضل مساعدة الانصار • وفي ٢٣ نيسان ١٩٢٣ ، قال ستالين في تقرير شفوي قدمه الى المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي الروسي ، عن « العوامل القومية في الحزب في تطور الدولة » ، قال ستالين ما يلي :

« ايها الرفاق !! علينا ان لا ننسى اننا تمكنا من القضاء بسرعة على كيرنسكي وقوضنا الحكومة المؤقتة لاننا كنا مؤيدين بالثقة التي منحتنا اياها الشعوب المستعبدة • فقد كانت هذه الشعوب تنتظر تحريرها على أيدي البروليتاريا الروسية • فلا ينبغي ان نهمل هذه القوة التي تؤلفها الشعوب المظلومة والصامتة ، فصمتها يمارس غالب الاحيان تلقائيا ضغطا هائلا وحاسما • ونحن لا ننتبه الى ذلك دائما ، الا ان هذه الشعوب موجودة وينبغي ان لا ننساها • ومن الخطر ايها الرفاق ، ان لا تتذكر ذلك • فلنتذكر اننا ربحنا ولاء الشعوب المضطهدة ، وبفضل هذه الشعوب تفككت مؤخرات كولتشاك ودينيكين ورانجل ويودينيش • ان هذا الولاء عامل اساسي في تطورنا » •

« ان احدا لا يشاهد هذا الود وهذا الولاء ، كما ان احدا لا يسمعه• ومع ذلك ، فهو يقرر كل شيء ، فلو لم نعرف كيف نربحه لما استطعنا القضاء على هؤلاء الجنرالات • فبينما كنا نتقدم ضدهم ، كانت مؤخراتهم تذوب وتتلاشى• لماذا حدث كل هذا ؟ حدث كل هذا لان هؤلاء الجنرالات كانوا يعتمدون على العناصر الحاكمة المتمركزة لدى الكوزاك ، ولانهم لم يقدموا للشعوب اي امل في المستقبل سوى الظلم الدائم وبهذا الشكل دفعوا هذه الشعوب بايديهم ، بين احضاننا ، نحن الذين نمسك راية

الحرية عالية خفاقة . وكان للدور الذي لعبته الشعوب اثر في كل شيء ، مع طول الوقت . ان بريق انتصار اسلحتنا قد حجب هذا الدور ولكن يجب ان تتذكره دائما » .

ولم ينس ستالين ولا مستمعوه ذلك . فأعيدت مناقشة المسألة في مؤتمر الشعوبية الشيوعية في موسكو في أب ١٩٢٨ . وتوصلوا في بحث هذه المسألة الى الاستنتاجات التالية : « تحويل الحرب الناشبة ضد الدول الامبريالية الى حرب اهلية تخوضها البروليتاريا ضد البورجوازية، واقامة ديكتاتورية البروليتاريا ، وتطبيق الاشتراكية بواسطة تمرد الجماهير في المؤخرات ، والتآخي في الجبهة .

« يمكن تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية ، بواسطة وسيلة، هي اولى الطرق ، وهي تمرد الجماهير الثوري .. وعلى الشيوعيين أن يستفيدوا من هذه الحركات الجماهيرية لتشكيل وحدات من الانصار يشنون الحرب الاهلية فورا ، اذا سمحت الحالة بذلك . وينطبق هذا بصورة خاصة على البلدان التي تتسم بتيار ثوري قومي قوي . وعندما تقع الحرب في مثل هذه البلدان ، وبصورة خاصة في حالة حرب ضد الاتحاد السوفياتي ، على الشيوعيين ، اذا كان الوضع مناسبا ، ان يحركوا او يحرضوا على التمرد ، وان يشكلوا فورا وحدات من الانصار الثوريين الوطنيين » .

وقد ظهرت بهذا الشكل ابعاد وآفاق جديدة لحرب العصابات . فقد كان من المعتقد ان الروس قد يشرعون بعمليات من هذا النوع على ارضهم في حالة الغزو ، الا ان على الرفاق الشيوعيين ايضا ، في البلدان الاخرى، ان يقاتلوا ايضا لحساب السوفيات بدفع انصارهم ضد جيوش بلادهم . وبعبارات اخرى ، لو نشبت الحرب بين الاتحاد السوفياتي وبريطانيا فان من واجب الشيوعيين الانجليز مقاتلة الجيش البريطاني والشروع بعمليات العصابات ضده . وقد قال ستالين : « ان علينا ان نتذكر ذلك .

ومن واجب الغربيين ان يتذكروا ذلك ايضا » .

وقد رجع ستالين الى نفس الموضوع في عام ١٩٣٤ . فتبنى نظرية حرب الانصار وجعلها نظريته ، الا انــه في هذه المرة ، لم يتوجه الــى رفاق المؤتمر ، بل توجه الى العالم كله حينما قال : « ان هذه الحــرب ستكون اخطر الحروب ضد البورجوازية، لان مثل هذه الحرب لن تكون في الجبهة فقط ، ولكنها ستجري ايضا على المؤخرات المعادية . فليس للبورجوازية ان تتوهم وأن تغتر ، لان اصدقاء الطبقة العاملة الروسيــة المنتشرون فــي اوروبا وآسيا ، سيضربون مؤخرات الذيــن عذبوهم واضطهدوهم » .

ان « اصدقاء الطبقة العاملة الروسية » مشهورون تحت اسم اخر: وهو انصار السلام . ألــم يصرح السنيور تيراسيني : وهو شخصيــة مشهورة في العمل من اجل السلام ، وعضو شيوعي في البرلمان الايطالي ، أفلم يصرح في عام ١٩٥١ قــائلا : « اذا أنفجرت الحرب فان أنصــار السلام ، يعرفون اين يدعي داعي الواجب ، لانهم هم أيضا انصار الحرب عندما يصبح من الواجب الدفاع عن الحرية » .

اذن فان انصار السلام في كل العالم هم في رأي حكام البلاد الغربية « عناصر متعاونة مع العدو » . وقد رأينا في الحرب الاسبانية الطابور الخامس يحاول بعمله السري ، في داخــل مدريد نفسها ضرب التنظيم الدفاعي الذي كان يقف في مواجهة ارتال فرانكو الاربعة العاملة فــي الخارج بهدف الاستيلاء على العاصمة . ولقد كانت الحرب هنا حرب اسبانيين يحاربون ضد الاسبانيين في حرب اسبانية صرفة . وفي غضون الحرب العالمية الثانية ، عرفنا كثيرا من امثال كيسلنغ ممن فتحوا أبواب وطنهم للاجنبي وارهبوا ابنــاء جنسهم من المواطنين . الا ان اتبــاع كيسلنغ نفسه ، رفضوا القتال ضد القواعد المسلحة لبلادهم . اما انصار السلام فيعرفون جيدا ما ينبغي عمله : انهــم سيفتتون تنظيم مؤخرات

القوات العسكرية الوطنية لبلادهم وسيحرضون على الحرب الاهلية ، وسيقومون بتأليف وحدات من العصابات ، يقال عنها وحدات قومية ثورية ، سيحاربون بها داخل بلادهم « لانهم كأنصار للحرب يعرفون واجبهم في الدفاع عن الحرية عندما يقتضي الامر » .

ولم تكن عصابات الانصار قد حققت بعد اية انتصارات بارزة حتى عام ١٩٣٤ ، وهي الفترة التي اطلق فيها ستالين تهديده المثير للقلق . فلقد كان عمل العصابات وتأثيرها على مجرى الحرب العالمية الاولى تأثيرا لا قيمة له . فالاعمال الرائعة التي قام بها الكولونيل لورانس برغم رومانتيكيتها ، لا تبدل هذا الرأي ابدا . فيبدو ان العصابات لم تتدخل الا في روسيا . ومع ذلك ، ودون ان يحترس الغرب ، كان هناك شيء جديد يحدث في الصين حيث كانت تقع حرب عصابات تسمح بتوقع بقية الاحداث . كان ماوتسي تونغ هو الذي حول حرب الانصار ، من حرب تعتبر الى حد ما تجربة نظرية بحتة او خطابا في مؤتمر ، الى حرب مخططة ميدانيا ، ومصممة للحصول على النتيجة النهائية بواسطة العصابات . وقد اضاف ماوتسي تونغ نفسه كثيرا من الاشياء على ما كان مكتوبا حتى الان على الجدران . وطبعت تصريحاته واضافاته في كتاب أصبح بعد ذلك أكثر الكتب رواجا في الاسواق العالمية .

وفي هذه الاثناء ، كان ماوتسي تونغ مجهولا من قبل معظمنا ، الا انه كان الزعيم الذي يعترف به الشيوعيون الصينيون . فمنذ عام ١٩٢٧، كان الجيش الاحمر الصيني هو ألد الاعداء الداخليين لتشانغ كأي تشيك ويدين هذا الجيش الاحمر بانتصاراته الى حرب العصابات التي كان يشنها على نطاق واسع جدا . واعتبارا من عام ١٩٣٧ أصبح الجيش الاحمر الثامن اشهر تشكيلات القتال في الجبهة الموحدة مع تشانغ كاي تشيك ضد اليابانيين بسبب تجربته في حرب العصابات . فعندما كان ماوتسي تونغ يتكلم عن العصابات ، كان يعرف كنة هذه الحرب .

ويمارسها معتمدا على تجربة وحيدة في هذا العصر • وينبغي ان يعتبر ماوتسي تونغ اليوم الاستراتيجي الاول في حرب العصابات •

فقد جعل الصينيون من « حرب الانصار » المعتبرة حتى ذلك الوقت تابعا بسيطا للتكتيك العسكري ، حقيقة استراتيجية مستندة الى المقاومة الشاملة والمستمرة للجماهير • وفي مؤلفات كارل ماركس توصل ماوتسي تونغ الى الفكرة الاساسية لتكتيكه واستراتيجيته• فقوة عسكرية ضعيفة لا تستطيع مواجهة عدو متفوق الا بمعونة العصابات • وقد قال ماوتسي تونغ ما يلي : « ان القوة العددية ، والمستوى التقني لجيشنا اقل بكثير مما لدى الخصم • ومساحة الارض التي نمارس سلطتنا عليها مساحة ضيقة جدا حتى الان ••• فتطوير برنامجنا على اساس هذه القواعد ، يعني الاعتراف بصورة صادقة بطابع الانصار الذي يطبع الجيش الاحمر الصيني ••• فهذا الطابع هو الميزة الاساسية لجيشنا ، وهو ميزة تعطينا القدرة على قهر العدو » •

ويعتبر ماوتسي تونغ حرب العصابات حربا تقوم على المرونة في العمل لا اقل ولا اكثر • وقد تنبأ هذا الرجل بثلاثة مراحل في الكفاح ضد اليابان • تتميز المرحلة الاولى بتقدم اليابانيين وبمناورة الصينيين بالتقهقر ويشتمل الدفاع ضدهم على « مناورات هجومية سريعة جدا ، وتجمعات وانتشارات مباغتة للقوات الصينية » فالحرب اذن حرب حركة تجري على مساحات واسعة وليست حرب خنادق • ففي حرب الحركة هذه « يجب ان يكون لدينا ثقة كبيرة في استخدام الانصار والعصابات ••• ويجب ان تقاد استراتيجيتنا وتكتيكنا ، في المرحلة الاولى من الحرب بشكل تتجنب معه المعارك الدفاعية الكبرى ، وان يكون هدفنا هو القضاء على معنويات العدو وروحه القتالية وفعاليته العسكرية بصورة تدريجية » • والشيء الاساسي هو الحفاظ على سلامة الروح المعنوية الصينية • « ففي حربنا ، يؤلف الشعب المسلح والجيش الاحمر ذراعي

رجل واحد • ومعنويات الشعب هي معنويات الامة المسلحة • وهذا بالضبط ما يخافه العدو » •

ان الهدف الرئيسي للحرب هو القضاء على القوات المعادية المقاتلة كما فسر ذلك ماوتسي تونغ • فليس المهم هنا الاستيلاء على مدن او مواقع وحراستها • فالمرحلة الثانية من حرب العصابات لا تبدأ الا بعد ان تضعف القوات المسلحة المعادية اثناء المرحلة الاولى ، وهذه المرحلة هي مرحلة الاستنزاف ، يقول ماو : « ينبغي ان يضايق العدو باستمرار وبشكل متصاعد ••• وعلى وحدات العصابات ، المنظمة جيدا ، والمقادة بحذاقة ان تجمد اليابانيين اربعا وعشرين ساعة في اليوم ، حتى مرحلة الاستنزاف الكامل » • ولهذا السبب كما يقول ماو : « ينبغي علينا ان ننظم ونغذي عددا كبيرا من وحدات العصابات من بين الفلاحين ، وان نربيها سياسيا ونجهزها بالعتاد اللازم ••• » « كما ينبغي ان تتذكر ان الحرب ستجري في الصين ، أي ان على اليابانيين ان يعيشوا وسط شعب معاد لهم • وسيضطرهم هذا الوضع الى جانب كل تمويناتهم من خارج البلاد ، وحراستها بوضع قوات على طول خطوط مواصلاتهم ، كما انهم سيكونون ملزمين بابقاء مواقع هامة لهم في منشوريا ••• وعندئذ تحين اللحظة التي يصبح من الممكن فيها منع الجيوش اليابانية من الحركة، بزجها في حرب المواقع • في هذه اللحظة يتحدد منعطف الحرب » •

« وبعد ان تنتهي المرحلة الثانية من الحرب بنجاح نقوم بحرب الحركة • ويقوم الصينيون بالهجوم المعاكس عندما يتعب اليابانيون وتنهد قواهم • ويقوم رجال العصابات بالاشتراك في العمليات متابعين تكتيك الازعاج والمضايقة بقطع التراجع على الوحدات العودة » •

وكانت اهم مساهمة لماوتسي تونغ في حرب العصابات هي كتيب طبع في الصين عام ١٩٣٧ بعنوان : حرب الانصار • الا ان هذا الكتيب لم يطبع في انجلترا او فرنسا او المانيا ، ولا يوجد من هذا الكتاب اية

نسخة في بريطانيا بالانجليزية او بلغة الكتاب الاصلية • ثم ترجم هذا الكتيب الى اللغة الانجليزية من قبل الكولونيل الاميركي جريفيث ، وهو من رجال القناصة البحارة الاميركيين • ونحن مدينون بالعرفان للكولونيل جريفيث الذي تفضل ووضع تحت تصرفنا نسخة من عمله • وفي هذا المؤلف الذي سنعتمد عليه ونرجع اليه تعتبر حرب العصابات لاول مرة جزء لا يتجزأ من الدراسة العسكرية •

ويعتقد ماوتسي تونغ ان على هذه الحرب ان تساهم في الوصول الى النصر • وينبغي ان توضع كل منطقة من المناطق بامرة قائد عسكري ومفوض سياسي • وتقسم المنطقة نفسها الى أقسام ، يقود كل قسم منها ضباط وعدة مفوضين سياسيين ، ينظمون مراكز القيادة العسكرية والسياسية التي ترتبط بها وقوات الانصار • ولكن ، بما ان تشكيلات الانصار تعمل غالبا بصورة مستقلة ، فلا ينبغي ان يكون الاشراف مركزيا على مستوى عال جدا ، بل يجب ان يكون هذا الاشراف محليا ، ويتم من قبل الرؤساء المحليين ، بينما تبقى القيادة الاستراتيجية بيد السلطات الاعلى • وهذه الاستراتيجية هي متشابهة بالنسبة لجميع المناطق •

وسنرى ان الانصار السوفيات قد طبقوا هذا التنظيم •

وتبعا لآراء ماوتسي تونغ : « يجب ان تكون جميع نشاطات العصابات ملحقة وتابعة لنشاط القطاعات النظامية • حقا ! ان العصابات سلاح قوي الا انه لا يقدر مع ذلك الادعاء بالتغلب على العدو لوحده • ومن الحقيقي ايضا انه لا يمكن التغلب على العدو دون تدخل العصابات • فالجيش النظامي هو الذي يلعب الدور الرئيسي وعلى العصابات ان تساعده في انتزاع النصر • ولهذا فان تعاونا وثيقا بين العصابات والجيش النظامي ، هو تعاون ضروري في كل لحظة وبخاصة في ساحة القتال » •

ويمكننا ان ندرك هنا انه لكي نحقق هذا التنسيق ، ينبغي ان تتلقى

العصابات الاوامر من قيادتها العامة الخاصة بها ، ومن قيادة الجيش ايضا. وقد تم تشكيل الانصار السوفيات طبقا لهذا المفهوم الذي وضعه ماوتسي تونغ . ويرى (ماو) أيضا ، ان على الانصار ان لا ينسوا ان التعاون مع الجيش ضروري جدا لتنفيذ مهماتهم . فدورهم هو نقل الحرب الى مؤخرات العدو ، وتوسيع عمق ساحة المعركة بهذا العمل . فمن واجبهم تدمير الوحدات المعادية الصغيرة وازعاج الوحدات الكبيرة والقضاء على معنويات الخصم ، ومهاجمة خطوط تموينه واقامة قواعد لوحدات العصابات . وبهذا الشكل تجبر هذه الوحدات خصمها على توزيع قواته باستمرار في عدة اماكن . كما انها تقلب مؤخرات العدو الى جبهة اخرى . وفي مثل هذه الشروط ، لا تستطيع القوات المعادية الصمود لوقت طويل امام الانصار . ويصبح هؤلاء الانصار كما قال ماوتسي تونغ نفسه : « أشبه بعدد لا كبير من البعوض تهاجم عملاقا وتلدغه في كل مكان بآن واحد » وهذا ما فعله السوفيات بالضبط وما اسماه ستالين بجبهته الثانية .

ان استراتيجية الانصار مختلفة بالتأكيد عن استراتيجية الجيش النظامي . وقد فهم ماوتسي تونغ ذلك فهما جيدا . فالانصار لا يشتبكون أبدا في حرب مواقع ، ولا يخوضون أبدا معارك حاسمة . فالمعارك التي يخوضونها تتسم بالمفاجأة والحركة . ومن اول كتاب (ماو) الى آخره ، نجد نصائح موجهة للانصار والعصابات . ويمكن تلخيص هذه النصائح بما يلي :

١ ـ تجنب مجابهة قوات متفوقة . اذا حدث ان بوغتت العصابات بقوات تتفوق عليها ، فمن واجبها ان تتراجع عندما يتقدم العدو ، وان تضايقه عندما يتوقف ، وان تهاجمه عندما يحل به التعب ، وان تطارده عندما يتقهقر .

٢ ـ ان المباغتة هي الشرط الاساسي لنجاح كل عمليات حرب العصابات.

٣ ـ ينبغي ان تحضر العمليات الهجومية وتعد باعتناء • وعلى الانصار أن يعملوا ببديهتهم الخاصة •

٤ ـ يجب ان تحشد القوات ضد اضعف وحدات العدو • وقد أعلن هذه القاعدة بنغ تي هواي اذ قال ما يلي : « على العصابات أن تكون متفوقة دوما عدديا في اشتباك طبيعي مع القطعات المعادية ، ولكن عندما تكون قوات العدو في حالة الحركة ، أو في وضع الاستراحة ، او في وضع سيىء الحراسة ، فان باستطاعة جماعة من العصابات أقل منها عددا أن تقوم بهجوم جانبي سريع وعنيف ينفذ فجأة على نقطة من نقاطها الحيوية او على خط مواصلاتها » •

٥ ـ توجيه ضربات قوية وسريعة كالبرق والتفتيش عن نتيجة حاسمة صاعقة •

٦ ـ اذا كانت الظروف غير مناسبة لنا ، فيجب ان نعمد الى التنقل والانتشار الفوري • وتنطبق هذه القاعدة على وحدات العصابات المحاصرة ، أو عندما لا تكون الارض مناسبة لهذه الوحدات ، أو يكون تموينها غير كاف •

٧ ـ الا ان على العصابات ان تتجمع عندما يتقدم العدو باتجاهها وامامها فرصة سانحة لتدميره •

٨ ـ استخدام القوة ، وعلى العصابات ان تكون ماهرة في فن خداع العدو • فعليها ان تنظم نفسها لتجعل العدو يعتقد ان الهجوم سيأتي من الشرق او من الشمال ، بينما تتجه هي الى الغرب أو الجنوب• وتبعا لكلمات بنغ تي هواي : « التظاهر بالهجوم من ناحية الشرق في حين يجري الاشتباك في الغرب » ••

ولتعلم هنا بصورة عابرة ، ان بنغ تي هواي قد أصبح القائد العام « للمتطوعين الصينيين » في كوريا بعد خمسة عشر عاما ، حيث طبق اساليبه عمليا •

٩ ـ اجراء التحركات بصورة سرية دائما •

١٠ـ ان تعاون الانصار مع السكان المدنيين امر هام وحيوي لاقامة القواعد • ويضيف بنغ قائلا : « وحتى عندما تتفوق حركية العصابات على حركية خصومهم فان العصابات لا تقدر ان تعيش بدون السكان المحليين ، لان هؤلاء يقدمون للانصار جهازا كاملا للاستخبارات عن العدو تستفيد منه بدرجة كبيرة • وينبغي ان ينتمي كل السكان الى جهاز الاستخبارات السري • وعندما ينتمي كل السكان الى مثل هذا الجهاز ، يكون عمله مثاليا لان الخصم يصبح عاجزا عن القيام باية حركة دون ان يكون الانصار على علم فوري بها » •

وسنرى لاحقا الى أية درجة عدل تكتيك الانصار السوفيات استنادا الى هذه الوسائل ، وقد فهم ماوتسي تونغ ايضا ان حرب العصابات ليست محدودة بالصين نفسها اذ قال : « علينا ان نلاحظ ان حرب الانصار التي تجري في الصين حاليا «لا سابقة لها في التاريخ • ولا يصلح المثل الذي تضربه هذه الحرب للصين فحسب في حربها ضد اليابانيين ، بل سيكون لهذه الحرب آفاق عالمية » •

ولم يبتعد ماوتسي تونغ ابدا عن المباديء التي رسمها • فقد أكد بعض هذه المباديء ، مرة اخرى ، في تقريره الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في ٢٥ كانون اول ١٩٤٧ • وان وضع مخططاته في التنفيذ كان سببا في هزيمة تشان كاي تشيك ، كما أتاح هذا التنفيذ اقامة نظام شيوعي في الصين •

ولن نقوم هنا بسرد ما فعله الانصار خلال تلك المعركة • فمن يعنيهم ويهمهم مثل هذا الموضوع يستطيعون مراجعة مقدمة كتاب « استراتيجية الحرب الثورية في الصين » • وقد تنبأ هتلر عن وده لليابانيين ، واذاع اعتراف المانيا بحكومة منشوريا ، وقد صرح آنئذ بما

يلي : « اني لا اعتقد أن الصين قوية بدرجة كافية ماديا ومعنويا لمقاومة الجهود التي تبذلها البلشفية .. »

وانصافا للحقيقة التاريخية ، نضيف هنا ان هتلر لم يتوقع تسلسل ما حدث بين عام ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ وتنائجه على اليابان . فقد ارتكب هتلر نفسه خطأ جسيما بعدم دراسة الطرق المستخدمة من قبل ماوتسي تونغ في كفاحه للاستيلاء على السلطة . وقد قال ماوتسي تونغ في عام ١٩٣٩ ما يلي : « ان من الخطأ الجهل بمباديء الكفاح المسلح ، والحروب الثورية ، وحروب الانصار ، والعمل السياسي في الجيش » .

وفي٢٢ حزيران ١٩٤١ ، هاجمت الجيوش الالمانية الاتحاد السوفياتي وقد اعتبرت المحكمة العسكرية الدولية وقضاة نورمبورغ هذا الهجوم عملا عدوانيا . الا ان بعض المدافعين اعربوا مع ذلك عن رأيهم القائل « بأن الهجوم لم يكن عدوانا غير شرعي ، الا انه عمل دفاعي وقائي » .

والحقيقة ان الاتحاد السوفياتي ، يكن مستعدا بصورة قوية لتحمل الصدمة . وكان الاتحاد السوفياتي يفضل ان يرى الانجليز والالمان يتقاتلون فيما بينهم ، بينما يراقب هو الاحداث بعين حذرة . ولهذا السبب ، كان الاتحاد السوفياتي مستعدا لاعطاء المانيا كل انواع الامتيازات والتنازلات ، فيما عدا التنازل عن جزء من اراضيه . وقد اطلعنا على ذلك من مصدر من افضل المصادر الالمانية . ومع ذلك ، فان الاستعداد السوفياتي في اتجاه تحضير العصابات سار بشكل جيد ، لانه بعد احد عشر يوما من بدء القتال ، اصدر ستالين امره المشهور الى شعوب روسيا السوفياتية قائلا فيه ما يلي :

« تنشأ في المناطق المحتلة من قبل العدو ، وحدات من الانصار ، راجلة، وخيالة، وتنظم جماعات للتشتيت ، مجهزة لقتال القطاعات المعادية، وللشروع في حرب العصابات بتدمير الجسور والطرقات ، وقطع خطوط المواصلات الهاتفية والتلغرافية ، وحرق الغابات وتخريب المستودعات

والقطارات • وينبغي ان تصبح الحياة في المنطقــة المحتلة غير ممكنة للعدو او للمتعاونين معه • يجب ان يطارد العدو ويدمر اينما وجد ، كما ينبغي نسف وتأخير كل التدابير التي يأمر بها » •

اما الالمان فقد بدأت تحضيراتهم العدوانية في خريف عام ١٩٤٠ • وفي مطلع عام ١٩٤١ ، وضعت القيادات المسؤولة الخطط التفصيليــة المتعلقــة بالعمليات (خطة باربروس) وباستثمار روسيا اقتصاديا (خطة اولدنبورغ) • الا ان رجال هيئة الاركان العامة الالمانية ، رغم انشغالهم مع هتلر وجوبلز بالتفاصيل ، لم يفكروا جديا في هذه الفترة بالنتائــج التي يمكن ان تسببها حرب عامة يشنها الانصار ، فقد وجه هتلر الامــر التالي : « يدمر الانصار دون رحمة من قبل القوات ، سواء أثناء الاشتباك او اثناء محاولات الانسحاب » وكان هتلر يعتقد ان مثل هذا الامر الموجز كاف لحل مشكلة بمثل هذه البساطــة حلا مناسبا •

وكما سنرى في القسم الثاني من هذا الكتاب ، كانت الاركان العامة الالمانية تؤمن بامكان ترك تنفيذ هذا الامر لمصلحة الامــن العسكري للرايـــخ S. D. التابعة لهملر •

وكانت الفرصة مواتية لشن حرب عصابات تمتد على طــول اوروبا المغزوة • فاذا ما راجعنا كتابات ميكشة وجدناه يقدم في عرض عظيــم اربعة اسباب تعمل لصالح الحرب السرية ، ووجدنا ان ثلاثة من هـــذه الاسباب قابلة للتطبيق على الحرب التي شنها الروس ضد الالمان ، وهذه الاسباب هي :

١ ــ لقد سبب تقدم الاستراتيجية والتكتيك العسكريين توسيع ساحة المعركة بصورة ضخمة بشكل يسمح للانصار بالتسلل اليها•

٢ ــ ترتبط الجيوش الحديثة بالقواعد الصناعية والزراعية التي توجد في مؤخراتها ، وتتصل بها بواسطة خطوط المواصلات • ان هذه الحالة يجعل الجيوش في الميدان معرضة لضربات الانصار •

٣ ـ لقد سمح تطور الطيران واللاسلكي باقامة اتصالات موثوق بهـا وبتأمين التموين •

وبسرد تاريخ حرب الانصار السوفيات هنا ، نعـود غالبا الـى وثائق المانية وقعت بين ايدينا • صحيح ان الالمان كانوا يحاربون فـي اوروبا وفي افريقيا ؛ الا انهم كانوا يسجلون كثيـرا ويدبجون سجلات الوقائع اليومية ، واليوميات الفردية ، والتقارير ، والاوامر ، والتوجيهات والتعليمات بأعداد كبيرة • وبرغـم الضرب الجوي الهائل الذي تعرضت له المانية ، من الطيران الانجليزي والامريكي ؛ فان وثائق الجيش الالماني الموضوعة في بوتسدام وفي برلين نجت من التدمير ، بشكل عجيب • والحقيقة ان عددا من الملفات قد احرق ، كما تعرضت ملفات اخرى للتلف من جراء الماء والنار ، الا ان كمية هامة من هذه الاوراق نجت من التدمير وامكن اعادة ترتيبها • وتوجد الوثائق حاليا في البنتاجون في واشنطن • وهي تشكل نبعا للمعلومات ذا اهمية كبـرى للمؤرخين العسكريين ؛ وللذين يريدون دراسة استراتيجية وتكتيك الانصار •

ان المذكرات التـي اتخذت كمرجع لكتابة هذا المؤلف ، سجلت بشهادات ضباط قادة وجنرالات من الجيش الالماني ؛ لهم خبرة كبيرة في حرب العصابات التي شنت في روسيا • وقد استخدمنا بعض المعلومات الثانوية ، التي وصلتنا من مختلف المصادر الالمانية والروسية ايضا •

الفَصْل الثاني

الانصار السوفييت في العمل

كان الهر كوبيتسكوميسار جالسا الى مكتبه ، بقرب النافذة وهو يشرب القهوة ، ويقلب مصنفاته بهدوء • وكان من وقت الى اخر ، يلقي الى الشارع نظرة سريعة تكاد ان تكون آلية ، وبغتــة سمع ضجيجـا غريبا ، كـأنه أصوات صماء منتظمة من طلقات نارية • ارسل الهـر كوبيتسكوميسار مساعده يرى الامر ، فعاد المساعد حـالا وهو شاحب اللون ، تصطك اسنانه من الرعب • ولم يستطع الا ان يردد الكلمـات التالية : « انه هناك ، انه هناك » • وقد فهم القائد ، فاستقام بوثبة واحدة وقفز الى مدفعه الرشاش • وفي نفس اللحظة ، انفتح الباب محدثا ضجة ، فشاهد القائد عندئذ ، مجموعـة من الجنود ببزات متنوعـة : البعض يرتدي بزة الدرك الالماني ، وعليها الاوسمة والنياشين ، والبعض الاخر يرتدي بزة الـ (S.S.) ، وقسم اخر يرتدي البسة قطنية بولونية ، ويحمل البعض الاخر شارات الكتف الروسية او يلبسون القميص الاوكراني المطرز •

وبعد نصف ساعة كان الكوبيتسكوميسار معلقا على غصن شجرة قريبة من مكتبه • اما الذين وصلوا بشكل غير منتظر ، فقد كانوا يوزعون على السكان كل ما صادره الالمان وكل ما كدسوه في مخازنهم • ومع

ذلك ، عندما وصلت قوات النجدة الالمانية الراكبة على الدراجات النارية بأقصى سرعتها ، وجدت مدينة صغيرة صامتة وهادئــة ، كل ما فيها كان يبدو طبيعيا ، كأن شيئا لم يحدث فيها ، فيما عدا الكوبيتسكوميسار الذي كانت جثته معلقــة ، وفيما عدا الحامية التي أبيدت او أسرت .

« فلو شاهد احد الاشخاص مفرزة « بوجدان » في الطريق ، لما تمكن من معرفة اشخاصها بسهولة . فنصف رجال هذه المفرزة كانــوا يرتدون البزات الالمانية على حين يلبس الاخرون ثيابا مختلفة مصنوعة في ليتوانيا او بولونيا او بلاد السلوفاك . ولو بحثت في عربــات النقل ، لوجدتهــا محملة بثياب تلائم كـــل العمليات : مـــن بزات الـ (S.S.) الى سراويل جنود ايطاليين ، وثياب اوكرانية ، ومعاطف مدنية الخ » ...

وقد يبدو هذا السرد مأخوذ من قصة من قصص المغامرات . ولكنه في الحقيقة مستقى بكل بساطة من مقتطفات كتبت باذن من الجنــرال بونومارنكو رئيس هيئة الاركان العامة للانصار ، والــذي كان لوقت القائد العام للعصابات في روسيا البيضاء . والصفحات التالية دون شك لاقناع القاريء ان ما سردناه ليس قصة من القصص ، بل حقائق وارقام سجلتها الوثائق الالمانية كما سجلت هذا الحادث الذي ذكرناه .واليكــم فيما يلي ، بعض الوقائع المستقاة من التقرير رقم ٩ لمصلحــة الامــن العسكري للرايخ « لقد الف قائد الانصار في مينسك مجموعة .. مهمتها تسميم المفوض الالماني العام .. وقد امكننا الحصول على بعض الزراعات الجراثيمية » ...

لقد فشلت هذه المحاولة ، الا ان هذا المفوض العــام قتل في مقر قيادته عام ١٩٤٥ بواسطة مدبرة المنزل الروسية التي كانت تعمل لاحدى جماعات الانصار . كما ان كثيرين من الانصار قاموا بنجاح بأعمال رائعة من هذا النسق . فمن بين الوحدات المتعددة التي دمرتهــا العصابــات الاوكرانية في خاركوف وضواحيها ، دمر مقر فرقة من الفرق وقتل قائدها

الجنرال بروم نفسه . وقد ضربت عصابات لينغراد رتلا آليا معاديا وقتلت الجنرال ر . فون فيرتز ومرافقه الخاص . وقد دمر انصار روسيا البيضاء في بوروفوي مقر قيادة فرقة المانية يقودها الجنرال جاكوبي ، وقتل العميل الالماني المعروف فابيان اكينشيتز في مكتبه في مينسك . وقتل فريديريك فنش ، قائد حامية مدينة بارانوفيتشي بواسطة الانصار ، وبعض موظفي وحدات الاحتلال ، وبعض العملاء المسؤولين عن ارسال المواطنين السوفيات الى معسكرات العمل الاجباري في المانيا ، كل هؤلاء اختفوا الواحد بعد الاخر .

وليست هذه القائمة كاملة ، الا انها كافية ومؤثرة . ونحن نعرف ايضا من مصدر الماني ان الانصار اغتالوا قائد الجيش بوديين ، وان رئيس هيئة اركان الجيش التاسع جرح أثناء اشتباك مع الانصار . كما ان كثيرا من الضباط الكبار لم يلتحقوا ابدا بالمراكز المعينة لهم لأن الانصار التقوا بهم وهم في طريقهم الى هذه المراكز .

وتضم التقارير الالمانية تفصيلات اكثر من التقارير السوفياتية في وصف الملابس التي كان يرتديها رجال العصابات . وتقول هذه التقارير الالمانية « ان مظهرهم الخارجي ، يدل على انهم مجرمون ، وبصورة عامة لم يكونوا يرتدون بزة ولا يضعون رتبة ، بل يلبسون ثيابا مدنية من مختلف الاشكال . وكانوا على العموم يميلون لارتداء ملابس الفلاحين او الفلاحات التي تظهرهم كأشخاص مسالمين ، وقد نجد من بينهم اناسا بثياب مدنية تكملها قطع من البزات العسكرية على اختلاف انواعها ، وبامكانهم كالحرباء أن يبدلوا لون جلدهم بسرعة وفقا للظروف والاوضاع . وقد صادفنا منهم عصابات تلبس البزات العسكرية الالمانية ، ويضع قادة هذه العصابات اشارات رتب ضباط وضباط صف لدينا . وقد رأينا أيضا انصارا يلبسون بزتين عسكريتين ، الاولى فوق الثانية : بزة المانية وتحتها بزة روسية حتى يتمكنوا من تبديلها بسرعة كبيرة » . والبزات

العسكرية الالمانية من البزات التي يرغبها رجال العصابات الذين يتقنون اللغة الالمانية • فبهذا الشكل يمكنهم التحرك على انهم تشيكيون • كما ان بعضا من هؤلاء الانصار كانوا يضعون شارة الساعد التابعة للبوليس المحلي الذي جنده الالمان المحتلون ، كما يلبس قسم منهم ملابس النساء•

ولم يكن اغتيال الضباط الالمان سوى مهمة ثانوية من بين المهمات الكثيرة التي كلف بها الانصار الروس • واليكم الطريقة التي نسف بها ايليا كوزين وهو فلاح شاب ، مع معاونه ، قطارا محملا بالذخائر :

« حفر كل واحد منهما حفرته في موضع يأخذ الخط الحديدي فيه منحنى صعبا ، ثم انبطحا في هذا الموضع وانتظرا • وقد وضعت المتفجرات بعيدا عن مكانهما • وبعد وقت قصير ، سمعت زمجرة قطار يقترب، ثم انيرت المنطقة كلها بأشعة ضوئية منبعثة من كشافات تحملها عربة صغيرة ذات محرك تسبق القطار ، وفتحت الرشاشات نيرانها على بعض الشجيرات اثناء مرورها • وفي نفس اللحظة ، شاهد ايليا القاطرة تسير في الظلام وهي تلهث• وكانت القاطرة هناك على مقربة من المتفجرات• وفي ثانية واحدة ، وضع ايليا وزميله النار في الفتيل وقفزا الى ملجئهما • وبزئير مزق هدوء الليل كزئير وحش جريح ، خرجت القاطرة عن الخط وتوقفت • واصطدمت العربات ببعضها بعنف مسببه ضجيجا مرعبا زلزل اركان الارض من تحتها • ثم بدأت القنابل التي يحملها القطار تنفجر ، واحدثت انفجاراتها صوتا أذهل ايليا وتطاير من حول ايليا رماد وقطع من الخشب ، وأنقاض من مختلف الاشكال والانواع • وبعد فترة اضطر للخروج من حفرته للتخلص من كل هذه الانقاض التي كادت تطمره تحت التراب » • بهذا الشكل كانت القطارات الالمانية تنسف • وفي حوالي نهاية الحرب كان العدو قد خسر آلاف القطارات ولم تكن العملية بحاجة لاكثر من رجل او رجلين ، مع قليل من الديناميت بضعة امتار من الفتيل •

وهناك مهمة عادية اخرى يقوم الانصار بتنفيذها وهي تدمير

الجسور . واليكـم كيف كانت هـذه المهمة تنفذ كما يسردها احـد المنفذيـن :

« لقد اتخذنـا احتياطات شديدة ، ونحن ننزل منحدرات جبـل لامبينا لوجود المان حوله ، ولاننا لم نكن نعرف المسالك جيدا ، فوصلنـا الى مقربة من الجسور في الساعـة الثالثة بعد الظهر . فاختبأنا عندئـذ في غابـة لا تبعد كثيرا عن هذه الجسور ، وبانتظار حلول الليل ، لانه لا يمكن تنفيذ مهمتنا أثناء النهار ... وبدأنـا لغم الجسور في منتصف الليل ... وقد قام الرجال بعملهم بسرعـة وبصورة جيدة . وكـان الظلام مخيما عندما التجأنـا الى المخابيء .

« وفي الفجر ، شاهدنا على الطريق سيارة حمولتها (٧) طن تنقـل ألمانا مسلحين بمدافع رشاشة . وعندما رأيناهم في المنظار عن بعد ، كانت السيارة تشبه لعبة مملوءة بجنود من الرصاص . وبعض الاوقات كانـت الشجيرات الصغيرة تحجب عنا رؤية السيارة وهي تسير على الطريق . واخيرا ظهرت السيارة مرة اخرى ، وكانت تتجه مباشرة نحو الجسر .. وسرعان ما شاهدنا عمودا من الدخان يرتفع في الجو وقطعا مـن الارض واعضاء اجساد بشرية وانقاض الجسر كلها ترتفع في جو ذلك الصباح ، وبعد ثانية او ثانيتين ، سمعنا انفجارا اخر ، وكان انفجـارا مكتوما يتردد صداه من بعيد . وقبل ان يتلاشى دخان الانفجار الاول ، وصلت سيارة اخرى الى الجسر الاخر ، ونسفت هي ايضا بألغامنا » .

« وقد اعطى الانـذار فورا علـى طـرق سمولنسكايا ونوفو ـ ديمتريفسكايا ستانيسلاس ، وسمعنا أزيـز محركات وحدات النجدة وانسحبنا عندئذ بسرعة الى المرتفعات .

« وبعد حوالي الساعة سمعنا انفجارا ثالثا ، قويا جدا بشكـل ترددت اصداؤه بعيدا ولفترة من الوقت . وفي هذه المرة ، نسفت دبابة على الجسر الثالث . وبعـد الظهر دمرت آليـات اخرى على طريـق

سمولنسكايا ـ سفرسكايا .

« واليكم نتيجة هذا العمل : دمرت اربعة جسور قضى على ستون ألمانيا . ولم نستطع بالطبع معرفة عدد الجرحى » .

وطوال اربعة اعوام، كانت نفس الحوادث تحدث كل ليلة في روسيا المحتلة وعلى طول أرضها . وفي كيرش كان الانصار يختبئون نهارا في منجم للفحم ، بينما يختفي الاخرون في المستنقعات ، في منحنى للدنيبر . وفي ساباروجه كانت احدى شبكات المجاري التي تمر تحت مصنع للالمنيوم ، هي المكان الذي يلتجئون اليه . وفي لوسووايا كانوا يجدون مخبأهم في المستشفى، وبالقرب من خرسون، لم يكن من الممكن الوصول الى معسكرهم الا بواسطة الزوارق . وفي جنوب القرم ، أقام الانصار قاعدتهم في سلسلة جبال ييلا ـ داغ وعلى جوارباسلا ، كان الانصار يتوارون في منطقة الغابات . وكان بعض الانصار يعيشون في المدن والقرى كمواطنين مسالمين . وابتداء من عام ١٩٤٢ ، انزل الروس بالمظلات عددا كبيرا من الانصار . وتحتوي ملفات الجيش الالماني عددا كبيرا من التقارير عن حرب الانصار. وعند قراءة صفحات هذه التقارير نشعر بنوع من اليأس تزداد حدته بين الالمان مع مرور الزمن ، وهو يأس يصل الى مرحلة التوتر وفقدان الامل . ويمكن فهم سبب ذلك بسرعة : فالانصار كانوا يضربون في كل مكان الا ان القوات التي كانت تزج ضدهم لم تكن قادرة على تجميدهم في مكان من الامكنة والاشتباك بهم بصورة جدية.

ونجد هذا اليأس ماثلا في تقرير صحفي لمراسل حربي ألماني هو كيرت كلاين شونفلد ، الذي شاهد مرحلة من مراحل حرب الانصار ، تحت عنوان : « غابات الموت » كتب كيرت ما يلي :

« ثم كانت الغابة امامنا . وانتصبت الاشجار سورا اخضر كبيرا أمامنا . وعبر هذا الجدار كانت الطريق الكبرى المستقيمة تبدو وكأنها تخترقه عموديا كسهم مشع وناصع البياض ... وأوقفنا جندي ، متمركز

على مدخـل الغابة .

« نزلنا من السيارة مستغربين ، فلاحظنا سيارات اخرى واقفة على الجانب الايمن من الطريق . وتوجه احد الضباط نحونا قائلا : « سنشكل قافلة ، اذ ان من المعتقد ان المنطقة تعج بالعصابات ، ومسيرنا ضمن قافلة اكثر أمنا لنا » . فاتخذت سياراتنا مكانا لها على الطريق ، مـع بقيـة السيارات . وبعد نصف ساعـة ، كان قد تجمع حوالي (١١) سيارة ، سارت القافلة وسط الغابة المنتصبة كسور ضخم على جانبي الطريق .

« وبغتة ، توقف الرتل ، وبوثبة واحدة ، قفزنا مـن السيارات وسلاحنا بأيدينا بصورة غريزية . وكان هناك جسر مخرب يسد علينـا الطريق ، اعتقدنا في البدء انه ليس هناك سوى هـذا الجسر ، ولكننا لاحظنا حالا ان هناك ممرات اخرى ، وعندما ألقينا نظرة سريعـة علـى الخارطـة اقتنعنا بـأن الطريق يمر خلال منطقـة مستنقعات تقطعهـا قنوات ري قريبة من بعضها البعض ، والطريق يمر عبرها ، فلو دمـرت العصابات كـل الجسور بصورة منهجية ، لكان علينا ان نقضي يومـين للوصول الى هدفنا لان المستنقعات والغابـة نفسها تجعل كل محاولة للالتفاف على الثغرات محاولة غير مجدية .

« وعندئذ ، نزلنا فورا الى المنحدر الذي يوصل الـى الجسر ، وشرعنا بالقاء كل انواع المحطومات في القناة : احجار ، انقاض مـن مختلف الانواع ، أعشاب وحشائش وأغصان كي نردم الثغرة وننشيء ممرا مرتجـلا .

« وبعد ساعتين ، كانت قافلتنا تقطع هذا الحاجز الاول ، واتخذت طريقها والغسق يلف المنطقة . ولم تعد الغابة مسرحا للاحلام كما كانت في الجزء الاول من الرحلة . انها الان هادئة وقاتمة ، تتحدانا على كل جانب من الطريق . وكان الليل قد بدأ طريقه ، وضباب المستنقعات ينشر غلالته الشفافة على جذوع الاشجار .

« ثم كان الليل الداكن . ومع نزوله، حلت ساعات العطالة والانتظار الطويلة ، لانه كان علينا ان لا نفكر بمتابعة الطريق في هذه الظروف ، فتجمعنا عندئذ حول نار اشعلناها في ارض عراء رملية على يسار الطريق. وكان من المستحيل علينا ان ننام ، .. كانت حواسنا يقظة ، ونحن نصغي بانتباه الى الضجيج المنبعث من هذه الغابة الكثيفة المعادية . ومن وقت لاخر ، كنا نسمع من بعيد زفات مدفعية تقصف بعنف ، وفجأة سمعنا على مقربة من معسكرنا المؤقت صهيل خيول ، وشتائم مخنوقة وكلمات متبادلة بصوت منخفض، وكانت تلك الاصوات منبعثة من احدى دوريات الامن التابعة لنا ، والمتجهة نحو الشرق ، على المسلك الرملي المحاذي للطريق .

« وفور انطلاق الدورية ، سمعت طلقات الرصاص على جانبنا الايسر ، من الجهة التي اختفى فيها الفرسان . وبعد ثوان ، مر حصان ينطلق مسرعا حتى انه كاد يصطدم بسياراتنا التي كانت أنوارها مطفأة . وسمع ضجيج هذه الاصوات رجالنا الموجودون على رأس الرتل . ثم جمع الضابط رجاله ووزع المهمات فيما بينهم ... وكان من المستحيل على المرء ان يرى خيال جاره . وقد احسسنا جميعا بذلك الشعور الغريب الذي يجتاحنا قبل كل لقاء وشيك مع العدو . وعندئذ تركنا الرتل ونحن نسير خلف قائدنا ، بعد ان تركنا حرسا كافيا على آلياتنا .

« وبعد قليل ، دوت في الفضاء طلقاتنا المضيئة وكأنها ترسم أوتارا على الطريق . وتبعتها صرخات وشكاوى . واندفعنا بسرعة في وحل المستنقعات من كل جانب من جانبي تلك الطريق الملعونة . وكان هناك رشاش يقوم بضرب الجانب الايمن من الغابة ، بناره السريعة ، ذلك الجانب الذي كان مصدرا للهجوم . وخلال فترة من الزمن ، مزقت سكون الليل طلقات تجاوبت اصداؤها داخل الغابة . واخيرا عاد الصمت وخيم مرة اخرى ، وكان سكونا عميقا لم تتخلله نسمة هواء . وانقضى

القسم الباقي من الليل بدون أي حادث .

« ونقل احد رجالنا جريحا الى السيارات . وبعد وقت قصير جاء الفجر لينشر البرد الشديد في الغابة .

« ولم نتمكن من الوصول الى هدفنا قبل الليلة التالية ، لانه كان علينا ان نجتاز ايضا جسرين اخرين مخربين وسدا . وفي الطريق ، نسفت احدى سياراتنا حين مرت فوق لغم ، فأصيب رجل آخر ، واجبرنا على ترك سيارة اخرى من القافلة . الا اننا وصلنا في النهاية الى القرية التي نقصدها ... »

ولقد كان هذا اللقاء مع الاعداء قليل الاهمية اذا قورن بلقاءات اخرى تحدث بين الوقت والآخر . ومع ذلك فان مغامرات من هذا النوع ، تتكرر كل يوم كافية لان تجعل الاعصاب مضطربة الى اقصى الحدود . ولقد كانت حرب الانصار حرب نفسية ناجحة جدا وسنرى فيما يلي ماذا حدث عندما دخل الانصار فعلا الى المسرح .

لقد سجل اول تقرير الماني عن حرب الانصار في روسيا ، من قبل القيادة العليا للجيش ، في ٢٥ تموز ١٩٤١ . وكان يؤكد ان عمليات العصابات يهدد طرق تموين الجيش بصورة جدية . ويعدد التقرير الاعتداءات ضد الجنود المنعزلين والهجمات الموجهة ضد المنشاءات في الخلف ، وتخريب الطرق والجسور . وما لبث هذا الوضع ان اصبح شيئا مألوفا لدى القيادة الالمانية .

ويبدو ان العصابات كانت تعمل اولا امام الخطوط الالمانية لا خلفها ولم تكن اعمالها توحي بالخوف بصورة خاصة . وهناك تقرير صادر عن فصيلة كوماندوس خاصة تابعة لمجموعة الكوماندوس د» ، وهو تقرير مؤرخ في ١٢ ايلول ١٩٤١ ، يروي اشتباك دوريتي استكشاف المانيتين تعملان في (المنطقة المحايدة) No Man's Land ضد بضع جماعات من رجال العصابات . وفي ٥ تشرين ثاني من العام ذاته ذكر قائد شرطة

الامن التابع لمصلحة الامن العسكري للرايخ احداثا اخرى عن عصابة مشابهة توقفت عملياتها مع انسحاب الجيش الاحمر • وحتى هذه الفترة فان بعض هذه العصابات المعروفة باسم كتائب التخريب ، كانت تقوم بواجبات هي من مهمات وحدات التخريب وفك المعدات التابعة للجيش الاحمر • وكانت مهمة هذه الوحدات تخريب المحاصيل ، ومستودعات المؤن ، والمعدات والمنشآت الصناعية ، ومطاردة مفارز المظليين • الخ ـ الا ان التقارير اشارت فيما بعد الى نشاط سري اكبر وراء الخطوط الالمانية • فقد ترك السوفيات وراءهم جماعات التخريب الاولى التابعة لهم •

ومع ذلك ، لم تكن العصابات في ذلك الوقت قد تركت انطباعا لدى الجندي الالماني « فلم يكن يؤخذ القتال وراء الخطوط الالمانية بصورة جدية بعد » ، تلك كانت اشارة قائدي الجيش السادس والحادي عشر ، في اوامرهما التي اصدراها في يومي ١٠ و٢٤ تشرين ثاني • وقد اصدر قائد الجيش الحادي عشر اوامره كما يلي :

« يستمر القتال ايضا وراء الجبهة • ان جنودا غير نظاميين يرتدون لباسا مدنيا ويتصدون بهجماتهم للجنود المنعزلين وللوحدات الصغيرة • ويجرب الانصار تفتيت قوافل التموين مستخدمين لهذا الغرض ألغاما ومتفجرات من جميع الانواع ••• وقد دمرت المحاصيل والمصانع بصورة منهجية ، وبشكل حكم فيه على سكان المدن بأن يقفوا جوعا دون شفقة ولا رحمة » •

ثم ظهرت حرب الانصار بعد ذلك بصورة جدية • فتبعا لتقارير اكيدة ، قرأنا في مذكرة لرئيس مصلحة مكافحة التجسس في الجيش الحادي عشر ، بتاريخ ١٤ تشرين ثاني ١٩٤١ « ان مجموعة من الانصار منظمة تنظيما دقيقا ومقادة بصورة ماهرة جدا تعمل جنوب القرم • وتملك هذه الجمهرة قواعد في جبال يبلا ، وهذه القواعد مزودة بالاسلحة

بصورة جيدة وبالمؤن ، والمواشي ، وبكـل وسائل الاعاشة الاخرى ..
ومهمة هؤلاء الانصار تخريب شبكات مواصلاتنا واتصالاتنـا ، والقيام بغارات على مصالحنا في الخلف وعلى ارتال تموينيا » . وفي هذا التاريخ ظهرت التقارير الاولى عن العمليات التي قام بها الانصار لصالح الجيش الاحمر . وبعد اربعة اسابيع سرد احد قادة المواقـع احداث قطاعه بما يلي : « ان خطر الانصار اكبر مما كان منتظرا » . وفي تقرير صادر بيوم ٢ كانون ثاني ١٩٤٢ ، أكد احد قادة مصلحة الامن العسكري للرايـخ (S.D.) في القرم ما يلي : « يستمر الانصار حاليا باطلاق النار علـى آليات بعيدة تابعة للجيش الالماني كما كانوا يفعلون سابقا ، ومنذ مدة قريبة جدا ، هاجم الانصار قرى خلال الليل كي يستولوا على مؤن وأغنام منها الخ... وخلال هذه العملـيات التحق بالانصـار بعض الرجـال المتعاطفين معهم ، واقيمت عوائق على بعض الطرقات » .

وقد اصبح الانصار مزعجين الى حد اجبر القيادة الى خلق اركان خاصة مضادة للانصار في الجيوش الالمانية ، بينما بدأت هيئة اركـان اخرى بخلق قوات لمقاومة العصابات . واكتشفت مستودعات للاسلحـة تحتوي على رشاشات وقنابـل يدوية ومسدسات ، ومدافـع رشاشة ، ومسدسات آلية ، وذخائر بكميات ضخمة ، واستولى على مستودعـات للمؤن وقتل آلاف من الانصار أثناء عمليات شنت ضدهم .

وفي ليلة ٥ كانون ثاني ١٩٤٢، اشترك الانصار بعملية كبرى بالتعاون مع الجيش الاحمر ، وكان مسرح هذه العملية شواطىء البحر الاسود . ووصفت « بمعركة » في تقرير الجيش الحادي عشر . وها هي احداثها وفقا لهذا التقرير : « في الساعة الثانية من ٥ كانون ثاني سمع أزيـز المحركات في الميناء ، وفي نفس الوقت ، اشار مخفر ساكي الواقع على بعد ٢٠ كيلو مترا الى الجنوب الغربي من جوباتوريا ، انه قد سمع أزيز المحركات ايضا في المناطق القريبة . فأعطى الانذار في جوباتوريا حالا ،

ووجه الخبر الى هيئة اركان الجيش بالهاتف وباللاسلكي » . ويمضي التقرير قائلا : « وفي ظلام الليل الداكن ، نجح العدو في الانزال في نقاط مختلفة من الميناء الكبير . فاضطرت فصيلة من المليشيا (المقاتلة الى جانبنا) الى التراجع امام عدو يتفوق عليها عددا . فانشأ سد ناري للمدفعيةفورا . وطبقا لاستجواب الاسرى، اضطرت قافلتا نقل سوفياتيتان لتغيير الاتجاه امام هذا السد .

« وبالارتباط مع عمليات الانزال ، شن هجوم من المدينة نفسها قام به انصار مسنودون بالمظليين ، وتغلب الانصار على المليشيا التي تحرس جسرا كبيرا ، وفتح مدفعان المانيان النار على هذا الهدف بصورة جدية الى ان اضطر المدفعان الى تغيير موقعهما نظرا للخسائر التي تعرض لها السدنة » .

وهناك تقرير اكثر تفصيلا عن الدور الذي قام به الانصار خلال هذا القتال، وقد كتب هذا التقرير الضابط الالماني الذي كانيقود المحول الهاتفي المحلي . واليكم نبذة منه :

« اخطرنا في هذه الليلة حوالي الساعة الثانية بوجود زوارق طوربيد معادية . فنفذت المدفعية الساحلية فورا سدها الناري ، وأحبطت محاولة للانزال بواسطة الرشاشات والقنابل ، وفي الساعة ٢،٣٠ تقريبا ، كانت المدينة قد امتلأت بالانصار الذين هاجموا مركز الهاتف من كل الاتجاهات . وكانوا مسلحين بالقنابل اليدوية والمسدسات الرشاشة وبسرعة اصيبت زمرتا الرشاش التابعتان للمقسم اصابات بالغة، وخرجتا من المعركة ، ضرب المركز الهاتفي من قبل المهاجمين بالقنابل .

« وقد خرب المركز بعد ان جرى الدفاع عنه حتى آخر رصاصة . وبعد ذلك نجحت في الخروج من المدينة من الشمال ، وبعد ان قمت بدورة حول البحيرة الكبيرة ، استطعت من الوصول الى ساكي ، واعتقد ان كل قوات مركز الهاتف قد قتلوا في هذا الهجوم » .

ووفقا للتقارير الاولى ، يبدو ان حوالي ٦٥٠ الى ٧٠٠ جندي من الجيش الاحمر قد وفقوا في الانزال • ولا يتجاوز عدد المظليين والانصار المشتبكين في هذه العملية الالف • وقد استرجع الالمان المدينة بعد ثمانية ايام •

وهنا لا بد من ذكر ملاحظتين • اولا : يبدو ان عدد الانصار الذين نفذوا في العملية عدد مشكوك فيه • فتبعا للتقارير الالمانية فقد الجيش الاحمر اكثر من ٨٠٠ رجل ، قتلوا او أسروا • وبما ان عدد كل المشتركين في هذه العملية هو ١٧٠٠ جندي من المظليين والانصار فان عدد الانصار لا يمكن ان يتعدى الـ ٩٠٠ مقاتل • ومع ذلك فاننا نستطيع ان نقرأ ما يلي في أحد التقارير ، ففي فقرة « خسائر العدو » : ١٣٠٨ مدني قتيل (من الانصار) » • اما القيادة العامة للقوات المسلحة الالمانية فتقدم رقم ١٢٠٠ قتيل من بين الانصار أثناء العمليــة • وطبقا لتقرير صادر عن الجيش الحادي عشر فان هؤلاء الـ ١٢٠٠ نصيرا هم « مدنيون معروفون بموقفهم المعادي للالمان ، والذين اعدموا رميا بالرصاص فيما بعد • ومع هذا فقد كان هناك كثير من العناصر الطيبة بين السكان » •

فيبدو اذن ان عددا لا بأس به من المدنيين المسالمين والبعيدين عن القتال قد أعدموا رميا بالرصاص بعد هذه العملية • وقد يبدو ان الالمان حاولوا في واقع الامر خنق هذه العملية والمبالغــة في عدد الانصــار المشتبكين فعلا فيها •ومع ذلك ، فمن المحتمل انيكون الانصار قد عملوا بشدة • وربما كانوا يشكلون لوحدهم مجموع العناصر البرية المعادية •

والملاحظة الثانية تنصب على واقع ان الانصار تصرفوا في هــذه الغارة وكأنهم جزء من الجيش النظامي • ولم يخسر الالمان سوى ٧٥ قتيلا و١٢٠ جريحا او مفقودا ، فخسائرهم كانت اقل بكثير من خسائر الانصار • الا انه في حرب العصابات ينبغي ان تكــون نسبة خسائر القوات معكوسة ، وعلى كل حال ، فلقــد حفظت العصابــات الحمراء

الدرس . ولم تعد تهاجم بعد هذه العملية الا اهدافا تتناسب مع امكانياتها

وبعد هذه الحادثة ، ازداد حرص الانصار وتعقلهم لفترة من الوقت وكانت لديهم اسباب وجيهة دفعتهم الى ذلك . « وتقول مذكرة صادرة عن الجيش الحادي عشر في ١٥ كانون اول ان سبب قلة هجمات الانصار في ذلك الوقت عائد للاحوال الجوية ، اذ انهم لا يرغبون في ترك آثارهم على الثلج » . ولكن بعد شهر انقلب الموقف ونقرأ في تقرير صادر عن مصلحة الامن العسكري للرايخ (.S.D) ما يلي :

« وظننا ان نشاط الانصار سيستمر برغم فصل الشتاء . ولقد تأكد اعتقادنا اذ لاحظنا ان الموقف في هذا الصدد يزداد جدية ».

وكان لنشاط الانصار هدفان هما ، الحصول على المؤن والملابس الشتوية اللازمة ، وتنفيذ ما دعاه تقرير مصلحة الامن العسكري للرايخ (.S.D) « بالمهمات الخاصة » للانصار .

واذا كان « الوضع قد تردى لدرجة كبيرة » فقد كان لذلك اسباب كثيرة . ففي مطلع كانون اول ١٩٤١ ، كان الهجوم الالماني في روسيا متوقفا . وفي السابع من الشهر نفسه اعلنت القيادة العليا الالمانية ان العمليات الهجومية ستتوقف اثناء الشتاء . الا ان السوفيات قاموا فورا بهجوم مضاد واسع النطاق ، انطلق من الشمال وامتد عمليا على طول الجبهة . فقد كانت مقاومة الانصار اذن ، مدعومة جيدا ، بحكم هذا الواقع . ومع ذلك فان الطريقة التي عامل الالمان بها السكان الروس ، كانت قاضية بالنسبة للالمان ذاتهم ، فهي التي سببت امتداد الحرب السرية ، وتوسعها . فالمذابح الجماعية التي تعتبر مصلحة الامن العسكري للرايخ (.S.D) والشرطة العسكرية مسؤولتين عنها ، وعمليات الانتقام التي قام بها الجيش الالماني ضد الرهائن المسالمين ، والتأخير الذي تم في الغاء نظام المزارع الجماعية ، ومصادرات الخيول والآليات والمؤن والعلف والبقرة الاخيرة (« بقرة ستالين » كما كانوا يسمونها

منذ ان سمح ستالين للفلاحين بتملك بقرة واحدة) » وتخفيض معدل المقررات الغذائية للسكان الى حد تهديدهم بالمجاعة ، ومصادرة الافراد لخدمات القوات المسلحة الالمانية ، وحملة التجنيد لصالح مصلحة العمل في المانيا ، كل هذه الاعمال دفعت العمال الشبان ، وشباب الفلاحين الى العمل السري • وادرك الانصار كيف يستفيدون من هذه الحالة فشنوا حملة دعائية عنيفة بين صفوف المواطنين المستائين • وكانت هذه الحملة تقول : « لتتذكر دائما كيف قاتل الانصار وكل السكان في منطقة سمولنسك في عام ١٨١٢ قطعات نابليون ، مع ان سلاحهم كان العصى والفؤوس والمجارف • تذكروا جميعا بطلتنا القومية في حربنا الوطنية الاولى ، الفلاحة الممتازة سيتشيوكا فاسيليا كوشينوج • ولتكن هذه البطلة مثلا لكم من اجل تحقيق احلام السلام في البلاد » • وبهذا الشكل كانت الدعاية في صفوف الفلاحين والشبان • وقد تقدم كثير من المتطوعين الى قوات الانصار بتأثير هذه الدعاية ، بعد ان كان جزء من هذه الوحدات مؤلفا من عناصر احضرت رغم ارادتها وكانت تنتهز احيانا الفرصة المناسبة لتنفر من هذه الوحدات •

ولم يضيع السوفيات وقتا طويلا حتى سنحت الفرصة واسعدهم الحظ • فكل ما كانوا يحتاجون اليه هم قادة اقوياء ، وقد أشارت احدى مذكرات القيادة العليا الالمانية الى ما يلي : « ولهذا الغرض ، عبر الخطوط أعضاء من الحزب » ورجال متحمسون موثوق بهم وضباط محترفون ، تلقوا تدريبا خاصا ، اثناء فصل الشتاء ومن لم يجتز الحدود نزل بالمظلات وراء خطوطنا• وكانت مهمتهم تحويل الانصار الى اداة قتال حقيقية ولقد تحققت هذه المهمة بكل نجاح » •

اما من الناحية الالمانية ، فان التقارير عن عمليات العصابات كانت تصل من كل مكان « فقد تمركزت مجموعة مؤلفة من ٢٤ رجلا من الانصار في ديمتريفوسكا ، على اربعة كيلو مترات جنوب غربي ساكي ، وسدت

طريق سيمفيروبول »، «وجاءت اشارة من مدينة غومل تقول : ان الطريق بين هذه المدينة وتشرنيكوف خطرة ليلا بسبب وجود الانصار»، «نسف الانصار ، بجوار بريانسك جسرا ، واغتالوا عدة مخاتير (عمد) عينتهم سلطات الاحتـــلال » . « ان نشاط العصابات في القرم كبير جـــدا . وهناك ما يدعو الى الاعتقاد بان الانزال الذي قام به السوفيات مؤخرا ، قد اعد نتيجة لاستطلاعات فردية قام بها انصار مدربون » ، « هيأ أسرى المستشفى العسكري في مينسك ثورة . وفي ١٤ كانون ثاني ١٩٤٢ ، كان على بعض العناصر المسلحة أن تتمرد في آن واحد ويشترك معهــا في هذا التمرد اسرى المستشفى العسكري رقم ١ ، ومرضى مستشفيات الاسرى ١ و٢ ورجال معسكر الاسرى نفسه ، والاسرى الموجودون في مصنع فوروشيلوف . وقد استخدم المتمردون الحجاب الروس للضباط الالمان للوصول الى السلاح ... وكان عليهم ان يؤمنوا الاتصال مــع أنصار مينسك في ليلة ٤ كانون ثاني » ، « هاجم الانصار ، خلال الليالي الاخيرة قرية كيكينيس . وصادروا فيها بعض المؤن ، وخطفـــوا بعض الرجال (كرهائن) » ، « وعلى بعد ثمانية كيلو مترات شرق الوتشتا ، على طريق يالتا ، هوجمت عربة بريد ، وعربة لاصلاح القطارات من قبل عشرة من الانصار » ، « وفي القطاع الشرقي وبخاصة في منطقة كاراسوبازار، جرت اربع هجمات مباغتة على قوافـــل المانية . وقد نفذ احدى هـــذه الهجمات (٢٠٠) رجلا من الانصار يرتدون البسة متلائمة مع تلك الفترة، اي البسة بيضاء » ، « كمائن وهجمـــات على الطريـــق الكبرى لشرق القرم ... » ، « جرت عمليات تخريبية على سكة حديد دزباتكوف ــ ارمجانسك ... » ، « شن هجوم على قرية تشوراك في ٨ و ٩ شباط ١٩٤٢ بقصد تحرير اسرى الحرب .. » .

ويدرك القراء ان هذه الخلاصات قد اخذت ، بالمصادفة ، مـــن

مجموعـة من التقارير الواردة من قطاع او قطاعين فقط من جبهة واسعة جدا ، وان كـل هذه التقارير كتبت أثناء الاسابيع الاولى لعام ١٩٤٢ . فقد قامت العصابات في ذلك الوقت بنشاط واسع في الجنوب ، وبخاصة في منطقـة القرم . ثم اصبحت جرحا لا يندمل في القطاع الاوسط من الجبهة ، وفي بعض مناطق الشمال المليئة بالغابات والمستنقعات » . وفي هذه الفترة كان المراسلون الحربيون الالمان يرسلون الى صحفهم تقارير صحفية تتضمن ما يلي : « تجري المعارك بصورة دائمة ضد العصابات ، كل يوم ، على مؤخراتنا » .

« ان مساندة السكان المدنيين للعدو يتخذ شكل حرب العصابات ، هذه الحرب التي تجعل القتال شاقا على الجنود الالمان . وهذه المعارك على الجبهة وخلفها مصادمات قاسية تفرض علينا كـل انواع العـذاب والحرمان » . « لقد اصبحت حرب العصابات حربا دائمة خلال شتـاء ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ . فهي تشكـل في الوقت الحاضر خطرا حقيقيـا بسبب الاضطرابات العديدة التي تسببها على خطوط مواصلاتنا ومؤخراتنـا المباشرة واجنحة جيوشنا » الا ان هذه الحرب لم تكن قد بلغت بعـد نقطتها الحاسمة .وكانت معظم الاغارات تتم للحصول على المؤن والاعاشة. ويذكر تقرير مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) **يـوم** ١٨ نيسان ١٩٤٢ الذي يعالج الاحداث التي وقعت خلال الفترة التي ندرسها الان، يذكر هذا التقرير : « ان نشاط العصابات بقي قويا كما انـه ازداد في الفترة الاخيرة. ولقد تجسد هذا النشاط حتى الان بالهجمات على الجنود الالمان ، وعلى الآليـات المنعزلة ، اما الان فهو يتجسد بعمليات وهجمات بالعنف على القرى بهدف الاستيلاء على المؤن منها » . وتعلمنا بعـض المصادر الالمانية الاخرى ان « كوش قد هوجمت في ليلة ٨ ــ ٩ شباط من قبل ٣٠٠ رجل من الانصار » . « وفي ٩ شباط هـاجم ١٥ نصيرا قرية ستزليا وخربوها » . وقد احتلت قرية كازانلي من قبل الانصـار

قبل ذلك بعدة ايام • وبعد وقت قصير استولى ٥٠٠ من الانصار على قرية باكسان ، وغزا ٢٠٠ آخرون بشوى وخربوها •

الا ان الانصار اتبعوا بعد ذلك خطة أكثر بروزا • فأضحت الاغارات التي تستهدف الحصول على المؤن اغارات نادرة • وتحول الانصار الى تنفيذ «مهمات خاصة» كسد الطرقات وقطعها ، وبث الالغام ، ومهاجمة القوافل المعادية ، ونسف وسائل النقل ووسائل تنظيم المرور ، تدمير الجسور ، وتدمير شبكات الاتصال ، وأغتيال الشخصيات المعادية والجنود ، وازعاج خدمات المؤخرات ، والهجوم على السجون لتحرير الاسرى ، واستكشاف بعض النقاط خلف خطوط العدو • وقد اضحى الانصار معلمين في هذه المجالات »

واضيفت مهمات أخرى الى القائمة الطويلة من المهمات ، اغارات على مواقع المدفعية ، ومهاجمة الثكنات ، ونسف السفن الحربية الصغيرة في الانهار ، ومصافي البترول ، وقطارات نقل الجنود ، وقطارات التموين المخصصة لتموين المصانع •

حتى ان مفوض الشعب لشئون الدفاع جوزيف ستالين ، ذكر في امره اليومي الذي أصدره يوم ١ أيار ١٩٤٢ : « ان تخريب الصناعة الحربية في كل البلاد المحتلة ، وتدمير المستودعات الالمانية ، وقطارات القطعات ، واغتيال الضباط والجنود المعادين ، ان كل هذه الاعمال اضحت حوادث يومية • واتسعت عمليات العصابات في جميع أرجاء يوغوسلافيا وفي المناطق السوفييتية التي احتلها العدو • وعندئذ أصدر ستالين أمرا الى مجموعات العصابات العاملة تحت راية لينين الظافرة رجالا ونساء بزيادة حدة المعركة ضد الغزاة وتخريب خطوط مواصلاتهم ووسائل نقلهم ، وبالهجوم على هيئات أركانهم وعتادهم الحربي •••

وحدث نوع من التسابق بين قوات العصابات الحمراء في تنفيذ كل هذه المهمات بالاستناد الى تقرير صادر في يوم ٢ أيار ١٩٤٢ عن

الجيش الحادي عشر الالماني ، اليكم وثيقة كيف نظم هذا التسابق بين جماعات الانصار : « نحن رجال ونساء مفرزة يالتا ، مدفوعين بالحماس للنداء الذي أصدره الرئيس الاعلى للسوفييت الى شعوب المناطق المحتلة مؤقتا ، بمناسبة العيد الثاني والعشرين للجيش الاحمر . قررنا بالاجماع الانضمام الى المسابقة المفتوحة بين وحدات العصابات . وليس لدينا أي قصد غير تنفيذ الاوامر خير تنفيذ ، وبذل عناية فائقة لنجاح عملياتنا، والقضاء قضاء تاما على أكبر عدد ممكن من الغزاة .

« ولهذا فان قوات يالتا تتوجه الى كل الانصار للمشاركة في هذا السباق وملاحظة القواعد التالية :

« — على كل رجل من رجال الانصار ان يغتال خمسة من الفاشستيين أو خمسة خونة .

« وعليه ان يشترك في ثلاث عمليات على الاقل شهريا .

« وعليه ان لا يترك بين يدي العدو رفيقا أو شيوعيا جريحا » .

وقبل أن يأمر ستالين بتوسيع حرب العصابات وزيادة حدة هجماتها كانت مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) قد أوردت في تقريرها رقم ١١ ما يلي : « ان المعنويات الهجومية للانصار ترتفع تدريجيا . ويبدو انهم تلقوا دفعا جديدا ، في كل قطاعات الجبهة ، يتناسب مع بداية الفصل الملائم . ولقد اهتم الانصار حتى الآن بصورة خاصة ، بالتمركز في مقرات شتوية متينة ومحمية بصورة جيدة ، وانشغلوا أيضا بايجاد المؤن الضرورية لمعيشتهم . الا ان هذه الضرورة أصبحت الآن أقل جدوى من ذي قبل ، لدرجة نجد فيها ان الانصار مستعدون لتكريس أنفسهم بصورة كاملة للعمل التخريبي والارهابي » .

ومنذ ذلك الوقت ، ازدادت أعمال العصابات وأضحت اكثر تعقيدا عن ذي قبل مع حلول الربيع بصورة خاصة . وطيلة هذا الفصل ، لم تعد العصابات مرتبطة بقواعدها في الغابات او المستنقعات ، وفي الجبال

أو المناجم . فقد أصبح من الممكن بالنسبة اليهم ان ينزلوا بالمظلات ، أو يغيروا القطاع الذي يعملون فيه . وهذا ما سينفذونه ابتداء من هذا الوقت . ويتابع تقرير مصلحة الامن العسكري للرايخ (.S.D) الذي ذكرناه أعلاه قائلا : « وفي القطاع الشمالي من الجبهة الشرقية ، لوحظ استخدام متزايد للانصار المظليين ، فقد انزل عدد من الانصار بالمظلات وراء خطوطنا وبزمر صغيرة ».

ولكن تبعا لمصادر المانية أخرى أسقط ٤٠٠ من الانصار بالمظلات على نقطة واحدة بآن واحد . وبرز المظليون في وسط وجنوب منطقة مجموعة جيوش الوسط . وفي الجنوب ، حدث أمر مماثل لذلك . ويقول تقرير سري صادر عن الشرطة العسكرية الالمانية انه : « طيلة الشهر السابق ، كانت المهمة الرئيسية للجيوش هي مكافحة التجسس ومجابهة المظليين والانصار . فقد كان العدو نشيطا جدا في هذه المجالات .»
وهناك تقارير عديدة كتبت خلال هذه الفترة ، تعطي أمثلة عن نشاط الانصار في مجال التجسس . وقد أصبحوا معلمين في الاستماع الى المحادثات الهاتفية ، حتى ان الجيش الالماني اضطر الى منع استعمال الهاتف والى فرض تدابير أمن خاصة عند الاستخدام المحتمل لهذه الوسيلة من وسائل الاتصال . وتملك العصابات أيضا عددا اكبر من العملاء الذين كانوا يعملون لحسابها . والتقرير التالي مأخوذ من مصدر الماني :

« تم توقيف روسي عمره ٢٣ عاما ومهنته تصليح الاحذية ، اتبع دورة مدتها ثمانية أيام في مدرسة للتجسس . وتلقى مهمة للقيام بها في منطقة اميليا نوفكا كوليسيتلر لاجل معرفة :

« ا ــ ما هي جنسية الوحدات المتمركزة في المنطقة ؟

« ب ــ ما هي طاقاتها ؟

« جـ ــ هل هناك تحصينات في المنطقة ؟

« د ــ ما هي نفسية السكان ؟

« وقد أسر على ظهر مركب من مراكب الصيد في السيواش عندما كان يحاول عبور الخطوط الالمانية ..» .

« كلف ثلاثة من الروس بعملية خاصة وهم : مهندس عمره ٦٠ عاما، وجندي قديم من الجيش الاحمر ، وأحد التتار . أحضرهم الشيوعيون من القفقاس بعد التخلي عن فيودوسيا وشبه جزيرة كيرش . وطلبوا منهم الوصول الى عدة نقاط معينة على الساحل في الخطوط الالمانية ، لمساعدة بحارة المراكب الروسية على الاقتراب من اليابسة بواسطة اشارات ضوئية . على أن يعودوا بعد انهاء هذه المهمة ، الى بلادهم ، في المنطقة المحتلة ، وان يكونوا مستعدين للقيام بمهمات أخرى » .

« وبعد احدى العمليات ضد الانصار ، وجدنا ورقة في الاحراش، وعلمنا منها ان روسيا عمره اربعون عاما تلقى مهمة تأمره بالبقاء في الغابة بعد تراجع الجيش الاحمر .. وكان من واجبه تحديد موقع العدو ، وقوته وأسلحته ، وعدد نقاط استناده ومكان مخازن ذخيرته ووقوده ، ومعنويات قطعاته ، الخ .. وكان عليه أن يوصل هذه المعلومات الى البوليس السياسي الروسي (N.K.V.D.) والى الجيش الاحمر والانصار ».

وقد اتبع الروسي موروسوف فلاديمير وعمره ، ٣٤ سنة ، دورة في كراسنودور (القفقاس) على اعمال التجسس مدتها عشرون يوما ، وكان معه في هذه الدورة ثمانية وعشرون من زملائه . ونظمت مصلحة المخابرات الروسية هذه الدورة . واعيد هذا الروسي الى كيرش في ١٨ (شباط) ١٩٤٢ مع ثلاثة عشر رجلا اتبعوا نفس الدورة ، ومن هناك توغل خلف خطوط الالمان بعد اجتياز السيواش . وكان عليه الاجابة على الاسئلة التالية :

« ١ ـ ما هي القوات المتمركزة في اسلام ـ تيركس واتشكي ، وجوشني ـ ديشانكوج ؟

« ٢ ـ في اي اتجاه تتجه ارتال القطعات الالمانية بصورة عادية ؟
« ٣ ـ اين مكان مخازن الذخائر والمحروقات ؟
« ٤ ـ اين تقع اراضي هبوط الطائرات وما هي عدد الطائرات الموجودة فيها ؟» .

وكان على الجواسيس الاخرين ان يستكشفوا اسماء الشخصيات التي تعمل في خدمة السلطات المحتلة كمخبرين او مساعدين ، او اسماء المخاتير الذين عينهم الالمان الخ .. لتسهيل عملية اختطافهم من قبل الانصار .

وتشير عدة مصادر الى نشاط النساء الروسيات ، « اوقفت امرأة عمرها ٢٢ عاما وكانت تعمل ممرضة لوحدة من الانصار . وقد صرحت بأنها عينت من قبل قائد المجموعة لتستعلم عن عدد الجنود الالمان وجنود الشرطة المساعدين المتمركزين في قرية م.. » .

« وأسرت ثلاث نساء روسيات ، من بينهم ام وابنتها كن تنتمين الى جماعة من الانصار . وكانت مهمتهن الاتصال بقوات الارتباط التابعة للمجموعة في سمفيروبول ، وجلب نتائج الاستكشافات التي قام بها رجال تلك المجموعة ؛ والمعلومات التي حصلوا عليها وتصفية بعض الحسابات ، وقيادة المنعزلين في الغابات . وكان لدى النسوة الثلاث ٤٣٧٧ روبلا ، كما اخفين في بعض الاعضاء الخفية من اجسامهن بعض الاوراق التي تسجل اسماء عمال الارتباط الذين لا بد من التماس معهم » .

« وقد ذكرت فتاتان صغيرتان ، عمرهما ١٨ و١٩ عاما انهما جلبتا بالطائرة الى القرم للقيام بمهمة اوكلت اليهما من قبل مصلحة المخابرات الروسية . وقد حملتا معهما جهازا لاسلكيا وخرائط ، و٣٢٠ ماركا المانيا وكمية كبيرة من المؤن . وكانت مهمتهما هي التالية :

« ١ ـ معرفة مواقع المطارات ، ومخازن الذخائر والمؤن .
« ٢ ـ تحديد اهمية ونوع السير على الخط الحديدي ـ دشانكوي

ـ فوانكا ، الخ .. »

ثم نرى ان الاطفال ايضا خدموا كجواسيس بعد ان تدربوا ، ففي ١٧ (شباط) ١٩٤٢ ، تلقى ضابط مخابرات هيئة اركان الجيش الحادي عشر تقريرا من مصلحة الامن العسكري للرايخ .S.D يشير الى ما يلي :

« في ١٤ (شباط) ١٩٤٢ ، اعدمت فتاة عمرها اربعة عشر عاما بعد استجوابها لانها نقلت معلومات الى انصار منطقة كوش » .

ومصدر التقارير الآتية هو الشرطة العسكرية السرية (المجموعة ٦٢٦) المتمركزة في الجنوب . وتاريخ هذه التقارير هو ٢٥ (ايلول) و٢٥ (تشرين اول) ١٩٤٣ :

« أمر تلميذ اسمه ديريشنكو وعمره ١٢ عاما في ليشوفكا ، وانهار عند بدء استجوابه ، فأحيل الى الشرطة السرية العسكرية التابعة للفيلق ٥٧ المدرع ، وقد ثبت ، اثناء استجوابه ان ديريشنكو رغم صغر سنه ، قد قام بنجاح بعمليتين لمصلحة السوفييت . وكان يتلقى التعليمات من الملازم اول ايفان بروسانكو الذي كان يعيش مع اقربائه في بولتافا . وكان ديريشنكو ينفذ الاستطلاعات العسكرية الاعتيادية ، ويراقب بصورة خاصة الحركة على الطرق . وقد اوصي بعدم اخذ مذكرات ابدا ، بل كان عليه ان يحفظ ويتذكر ما رآه . وأن يعود كل يومين او اربعة ايام الى مكان معين على ضفاف الدينيبر حيث كان عليه ان يلتقي ببعض قوات الجيش الاحمر . وتمكن ديريشنكو التنقل بحرية كاملة وراء الخط الرئيسي للمقاومة ، الى ان اسر خلال محاولته عبور الخطوط للمرة الثالثة وكان يحتك بالجنود الالمان وهو يتسول « وكان رئيسه يكافئه على اعماله بالخبز والسجائر والحلوى ، وقد وعد ببزة جديدة بعد انجازه المهمة الثالثة .

« واعدم ديريشنكو من قبل الالمان » .

وهناك ايضا حالات خاصة منها :

« أقنع احد الاولاد بالقيام بالتجسس وكان عمره ١٢ عاما . وقـد جنده لهذا العمل قائد قوة من وحدات الفرسان اسمـه فيروتسك ايفان ، ودرب في بيلغوردو في نفس الوقت مع ثلاثين آخرين من الفتيات والفتيان وكان قد قام قبل ذلك بمهمة استطلاع في منطقة خاركوف مع عشرة من رفاقه . ثم تلقى مهمة تحديد اماكن اراضي الهبوط : ووحدات الدبابات والتدابير المتخذة لحماية جسور منطقة بولتافا ـ ليسوايا ، مع اثنين مـن رفاقه تاه عنهما اثناء المسير ، وكان كل واحد منهم يحمل نجمـة حمـراء كوسيلة من وسائل التعارف وكان عليه اذا ما اوقفه الالمان ان ينكر وجود عائلته ، ويدعي بأنه يعيش على صدقات الآخرين » .

« اسر طفل عمره اربعة عشر عاما ، كان قـد قـام بأربـع عمليات تجسس ، وقـد تبـع التراجـع الروسي في (شباط) ١٩٤٣ . ودرب من قبل الملازم الاول بيلوسو نيكولاي ، الذي استخدمه في البدء كخادم وكانت مهماته الاربع الاولى تشتمل الحصول على معلومات عسكرية عامة في شارزيساك ، قريبا من ستالينو ، وكانت مهمته الخامسة من نفس النوع وكان عليه ان يوصل هذه المعلومات الى منطقة ليسوايا . وعبر الجبهة في منطقة شارزيساك مع دليل . ثم ركب القطار دون ان يفتش . وكان هذا الفتى يتنقل دوما بوسائله الخاصة ، وهو مزود بالمؤن والمال . وقد وعـد بوسام النجمة الحمراء وبوسائل حياة سهلة بعد مهمته العاشرة » .

وليس هنالك من سبب يدعونا للشك في صحة هذه المصادر : فقـد اكدت الجريدة الرسمية السوفييتية نفسها « ان نساء واطفالا يلعبون ايضا ادوارا هامة (في حركة الانصار) سواء كمقاتلين فعالـين او ككشافين او مساعدين سريين في القرى » .

واليكم ايضا ما يلي في نفس المصدر الروسي :

« اما فيما يتعلق بالاطفال ، فان اكثر النقاد عنفـا للنظام السوفييتي اضطروا الى الاعتراف بأن الاتحاد السوفييتي هو البلد الذي تقدم اكثـر

من غيره من البلدان فيما يتعلق بتحقيق رفاهيتهم • فليس من المدهش اذن ان يقدم الاطفال انفسهم لا شعوريا للقتال دفاعا عن النظام الذي قدم كثيرا من المكاسب » •

ونجد ايضا ما يلي :

« لقد حملت مجموعة من الاطفال ، بقيادة طفل عمره ١٢ عاما عبوة من الديناميت ، ووضعتها تحت جسر من الجسور مستفيدة من الظلام عندما كان الحارس غارق في النوم ، ثم اشعل هؤلاء الاطفال الفتيل وانسحبوا الى الغابات • فدمر الجسر وتحول الى انقاض صغيرة » •

وقد اتسمت حرب الانصار بصلابة لا تعرف الشفقة ولا الرحمة • والواقع ، ان الانصار لا يمكن ان يستخدموا اللين مع العدو • فهم يقتلون الجرحى والاسرى لانهم لا يستطيعون اخذهم فليس لهم امل ابدا ان يعاملوا معاملة خاصة من خصومهم • وفي حرب من هذا النوع ، سيعاني منها كثير من الابرياء • فالعدو الذي لا يستطيع القضاء على العصابات يهدد بأخذ الرهائن واعدامها رميا بالرصاص • فالانصار السوفييت لم يكونوا ليهتموا بما يمكن ان يحدث للسكان طالما ان في استطاعتهم تعريض الالمان للخسائر • وقد ذكرنا سابقا ، كيف رسم انصار مينسك خطة لتسميم الجنرال الالماني الذي يقود احد المواقع • وكانوا يملكون زراعات جراثيمية مخصصة لتلويث الآبار والمنشآت المائية في المدن بشكل يستطيعون معه القضاء على قوات الاحتلال الالمانية ، الا انهم يقضون على السكان المحليين بنفس الضربة • حتى انهم كانوا يضحون بأولادهم دون اي تفكير •

وليست هذه التضحيات الا قسم من الثمن الذي دفعته شعوب الاتحاد السوفييتي لنجاح انصارها • فقد قتل الاف والاف من هؤلاء الانصار وسلاحهم بأيديهم ، او قتلوا رميا بالرصاص من قبل الالمان • كما نفذ حكم الاعدام بآلاف الاشخاص لمجرد الاشتباه بأنهم من الانصار •

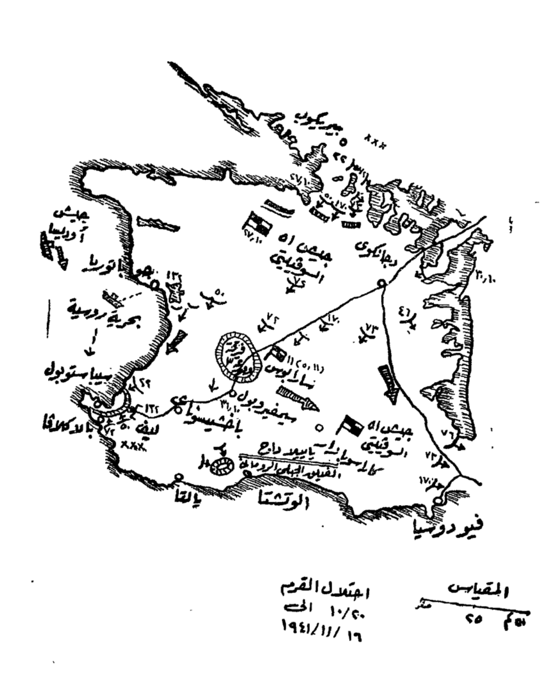
كما اخذ الالمان الوفا اخرى كرهائن ، ولم تعد هذه الرهائن الى بيوتها بعد ذلك ابدا . الا ان الانصار حققوا نجاحات عظيمة ، وفي منتصف عام ١٩٤٢ كانوا اسيادا لمناطق واسعة خلف المؤخرات الالمانية . وفي تقرير مؤرخ في ٣١ (تموز) ١٩٤٢ : اشار قائد شرطة الجيوش الالمانية التابع للقيادة العامة الالمانية في روسيا ان المناطق التالية يهددها الانصار بصورة خاصة وذلك منذ نهاية (حزيران) ١٩٤٢ .

في الشمال :

- منطقة المستنقعات جنوب شرق دنو .
- شرق منطقة كودوفا .
- المنطقة الجنوبية من اوبوتشكا .
- المناطق المحيطة بطرق كراسنوي ـ شيش ـ واوبوتشكا ـ نوفورشوف .
- المناطق جنوب وغرب بوشكينسكي ـ جيري .
- المنطقة المشجرة شرق جدوف وخصوصا المنطقة شرق بيجوسا ، جنوب وشمال جدوف .
- المنطقة المشجرة شرق بلسكو .
- المنطقة المشجرة جنوب طريق ماراموركا واوكينوو .

في الوسط :

- المنطقة غرب فجاسما .
- المنطقة شمال جلوشا وخصوصا جنوب نوفيجي ـ تاراسوفيتشي
- المنطقة شمال غرب ستاري دوروجي .
- المنطقة جنوب جلوسك .
- المنطقة شرق بوتشيب .
- منطقة بوبرويسك .
- المنطقة شمال الخط الحديدي كلينزي ـ اونيتشا .



خارطة تبين المناطق التي يعمل فيها الانصار ، قطاع شمالي ــ كانون ثاني ١٩٤١ ــ الخارطة للفيلد مارشال فون ليب •

ـ قطاع كينزي .
ـ المناطق شمال وشمال غرب سمولنسك .
ـ المنطقة المحيطة بتشرفين وبريزينو .
ـ المنطقة شمال شرق بولوزك بما فيها الخط الحديدي بولوزك ـ نيفيل والمناطق شمال غرب وجنوب شرق بولوزك .
ـ المنطقة المحيطة بلوجي ، وشمال غرب اورشا ، يسيطر الانصار هنا على كل المنطقة بين طريق مينسك ـ موسكو وطريق اورشا ـ فيتبسك حتى سونو .
ـ المنطقة شرق فيتبسك .
ـ المنطقة جنوب اورشا .
ـ كل الطرق في قطاع جوركي ـ دروبان .
ـ المنطقة حول شورافاتشي ، جنوب موجيليف .
ـ المنطقة حول لوبل .
ـ المنطقة جنوب شرق لجوبان .

في الجنوب :

وهنا فان الخطر لا يساوي خطر الانصار في المناطق الشمالية والوسطى ، الا انه قد حددت مواقع الانصار في المواقع والمناطق التالية :

ـ المنطقة جنوب خاركوف .
ـ المنطقة بقرب بولوفا .
ـ المنطقة المحيطة بنوفغورود ـ سوفيرسكي وهذه الاخيرة تقع تحت السلطة الكاملة للانصار .
ـ الجزء الجنوبي من القرم .

وقال بونومارنكو : « فيما يلي بعض من العمليات التي قامت بها العصابات ، وهي تستحق ان تأخذ مكانها في تاريخ الحرب الوطنية الكبرى تدمير الاوكرانيين للقطعات التي تحرس الفرع الحديدي لسارني ، وتخريب

الجسور الكبرى على البتيش والدريسا ، واجبار حرس محطة سلافنوي على الفرار امام انصار بيلوروسيا ، وهزيمة موقع سلوتسك وتدمير الاهداف الحربية التي تتبع هذا الموقع ، وتدمير انصار اوريل للجسور الكبرى في نافليا وفيغونيتس بعد تدمير مواقع الحرس الالمانية ، والهزيمة التي لحقت بموقع محطة بريغوري على يد انصار سمولنسك ، وتدمير القطارات الواقفة فيها ، وعمليات انصار لينتجراد التي انتهت بمقتل الجنرال فون فيرتز ، والهزيمة الكاملة للمواقع الاربعة لجزر بولشوي كريمينتس على يد الانصار الفيلنديين والكاريليين (سكان جمهورية كاريليا ــ الفيلندية السوفييتية) ، وتدمير جسر سافكين ، وتدمير موقع سوتوك من قبل انصار كالينين ، وتدمير مقر قيادة الفيلق المدرع المتمركز في اوجودسك زافود من قبل انصار موسكو ، وعمليات سداتسك التي انتهت بخسارة ١٢٠٠ ضابط وجندي الماني تابعين لفرقة القناصة الالمانية الثالثة في جنوب القرم » .

وليس من المجدي متابعة هذا التعداد . فيكفي ان نذكر امر الفوهرر الذي اصدره في ٦ (ايلول) ١٩٤٢ المتضمن ما يلي : « لقد وضعت العصابات ثقلها في الشرق ، خلال الاشهر الاخيرة ، وشكلت تهديدا لا يحتمل ، يعرض طرق تموينا للخطر الجدي » .

وكان تزايد خطورة الوضع العسكري بالنسبة للالمان يؤدي الى نشاط العصابات خلف الخطوط . ولو أخذنا تعابير احد التقارير الرسمية لوجدنا ان وحدات الانصار نبتت كالفطير عندما بدأ الالمان تنفيذ اوامر قائد القطاع الذي كان المبعوث العام للعمل ، تلك الاوامر الهادفة الى جمع الاف الروس القادرين بدنيا على العمل لارسالهم للعمل في المانيا . وسنعطي فيما يلي تقديرا للخسائر المادية التي سببها الانصار السوفييت للقوات الالمانية :

فقد كتب الجنرال بونومارنكو ما يلي : « وفقا للمعلومات الواردة ،

وخلال سنتين من سنوات حرب الانصار على خلف خطوط الالمان ، قضى الانصار على اكثر من ٣٠٠،٠٠٠ جندي ، من بينهم (٣٠) جنرالا و٦،٣٣٦ ضابطا و١،٥٢٠ طيارا . وخلال نفس الوقت اخرج عن الخط الحديدي ٣،٠٠٠ قطار ، كما دمر ما يلي :

٣،٢٦٣ جسرا من جسور الطرق او السكك الحديدية و١،١٩١ دبابة وعربة مدرعة ، و٤٧٦ طائرة ، و٣٧٨ مدفعا ، و٦١٨ عربة اركان ، و٤،٠٢٧ عربة نقل ، و٨٩٥ مستودعا ومخزنا »

وفي منطقة لينينجراد وحدها ، وحتى (آذار) ١٩٤٤ ، أكد الانصار انهم قتلوا ١٠٤،٢٤٢ هتلريا ، وخربوا ١،٠٥٠ قاطرة و١٨،٦٤٣ سيارة وعربة قطار ودبابة . وفي اوكرانيا وحتى نهاية المعركة ، يؤكد الانصار انهم قتلوا «٣١٠،٠٠٠ المانيا ودمروا ٤،٠٦٠ قاطرة و٣٩،٧٠٠ عربة بضاعة، ونسفوا او احرقوا ٦،٦٩٣ جسرا ، و٨١٠ دبابات او سيارات مصفحة و٣٢٤ مدفعا و١٠٨ طائرات » وفي خلال ستة وعشرين شهرا من حرب العصابات في القرم ، يؤكد الانصار انهم قتلوا (١٨،٩١٠) المانيا من بينهم بعض الضباط .

ولا يسجل الالمان اي رقم يتعلق بالخسائر التي سببتها العصابات ، وينبغي بالطبع أخذ الارقام المذكورة اعلاه كما هي ، ومع ذلك فقد توصلنا الى بعض شهادات الضباط الالمان . فاليكم كيف كان المارشال فون مانشتاين يلخص التقارير التي قدمها له اركانه في تلك الفترة :

« بدأ الانصار يشكلون خطرا حقيقيا منذ ان احتللنا القرم في (تشرين اول) ١٩٤١ . ففي هذه المنطقة يقوم تنظيم سري متطور ومجهز منذ مدة طويلة . وليس هناك اقل شك في ذلك . ان الثلاثين كتيبة من وحدات التدمير .. ليست الا جزء من هذا التنظيم . والقسم الاعظم من الانصار يوجد في جبال ييلا ـ داغ . فلا بد ان آلافا منهم وجدوا من هذه الجبال ملجأ منذ البدء ... ومع ذلك ، فان هذا التنظيم ليس مقتصرا

بأي حال من الاحوال على هذه الجبال • فلهذا التنظيم قواعد ومساعدين في كل مكان ، وفي المدن بصورة خاصة •

« لقد حاول الانصار الاستيلاء على طرق مواصلاتنا البرية الرئيسية وكانوا يهاجمون الوحدات الصغيرة او الاليات المنعزلة • وكان من المستحيل على الاليات ان تسير وحدها على الطرقات ، الأمر الذي جعلنا تنظم الحركة على شكل قوافل •

« فطيلة الوقت الذي بقيت فيه في القرم (حتى (آب) ١٩٤٢) ، ولم يكن في مقدورنا ابعاد هذا الخطر • وعندما تركت القرم ، كانت المهمات الجارية ضد الانصار غير منتهية بعد » •

وسئل الفيلد مارشال فون مانشتاين فيما اذا كان يتمكن من تحديد عدد الهجمات التي كان يقوم بها الانصار كل يوم فأجاب بما يلي :

« لا أستطيع ان أعطي رقما دقيقا ، الا انني أتذكر على سبيل المثال أنه في عام ١٩٤٤ ، في مجموعة جيوش الوسط ، شنت ألف غارة على السكك الحديدية في سبع ساعات • أما في القرم ، فان غارات من هذا النوع كانت تقع كل يوم » •

وهكذا نرى أن الانصار كانوا يشنون ١٠٠٠ هجوما في سبع ساعات !! اذن فالارقام التي اوردها بونومارنكو لا تبتعد كثيرا عن الحقيقة •

ومع ذلك فلا يمكن اجراء حساب الخسائر التي تعرض لها الجيش الالماني على يد الانصار بحساب عدد القتلى والجرحى فقط ، ولا بعدد المدافع والمخازن المدمرة • فيجب أن نأخذ بعين الاعتبار أيضا الخسائر الهائلة التي أصابت قوة الالمان القتالية وقدرتهم على الصدمة • ففي بادىء الامر تعرضت معنويات الجندي الالماني للانهيار لان هذا الجندي يقاتل في بلد من المحتمل ان يكون كل المدنيين فيه أنصارا ، في بلد تشكل أية ضجة غير طبيعية فيه اشارة هجوم منتظرا للانصار • وعندما يخسر

جيش يحارب بعيدا جدا عن قواعده ، وعتاده ووسائل نقله ، تسبب له هذه الخسارة تأجيل هجوم معد . كما أن فقدان العتاد قد يمنع هذا الجيش من الثبات على مواقع دفاعية ، ويجعل من المستحيل عليه القيام بأيـة حركة تراجعية . كل شيء يمكن أن يحدث !! عندما لا تستطيع القطعات التنقل او عندما لا تصل الوحدات الاحتياطية في الوقت المناسب . « ففي فترة مؤلفة من ثمانية أيام فقط ، نسفت بضعة مجموعات من الاوكرانيين ثمانية عشر قطارا متجها نحو الجبهة .... ولم يبلغ أي قطار نقطـة وصوله .. هكذا قال كريتسوك ، في مجموعة بونومارنكو الذي أشرنا اليه سابقا » .. كما أن خسارة مستودعات التموين قد تضطر القيادة الى تخفيض المخصصات الغذائية اليومية للقوات تخفيضا كبيرا . والتأثير الهام الاخير هو تناقص تعداد القوات الالمانية المقاتلة على الجبهة بعد سحب أعداد كبيرة منها للقتال على المؤخرات . وسنعطى بعض الارقام المتعلقة بهذا الامر فيما بعد . كما أن متانة هذه الجبهة كانت مهددة عندما لم يعد بامكان الالمان أن يسحبوا قطعات منها لمواجهة العصابات .

وبهذا الشكل نقدر ان نذكر هنا التصريحات التي أدلى بها ضابط أركان الماني قديم ، هو العقيد هـ . ج . لودندورف . حين قال :

« ان وجود نشاط الانصار الذين يرتفع عددهم الى ١٥٫٠٠٠ في منطقة أوشاتشي جنوب شرق بولوتزك ، في قطاع جيش البانزر الثالث ، ان نتيجـة هذا الوجود والنشاط هو قطع طريق لوبل في بريزينو ــ بارافيانوف (الذي يحاذى السكة الحديدية بين مولودتيشنو وبولوتزك) ابتداء من شتاء ١٩٤٢ حتى نهاية ربيع ١٩٤٤ . وكانت هذه الطريق هي الطريق الوحيدة المؤدية من قطاع الجيش نحو الغرب عبر المنطقة الواسعة المحرومة من الطرقات ، والمغطاة بالاحراش والمستنقعات المنتشرة علـى جوانب الحدود القديمة الروسية ــ البولونية ــ وكانت هـذه الطريق ذات أهمية كبيرة ابتداء من اللحظة التي يقطع فيها العدو عمليا وكـل

يوم الطريق الاخرى الموجودة (وهي الخط الحديدي ـ طريق أورشا ـ فيتبسك) • وقد دام هذا الوضع خلال شتاء ١٩٤٣ حتى (شباط) ١٩٤٤، في اللحظة التي اضطر فيها جيش البانزر الى نقل جبهته عدة كيلومترات الى الوراء ، كانت قوافل التموين لا تستطيع استخدام الطريق والخط الحديدي أورشا ـ فيتبسك ، وحتى نهاية ربيع ١٩٤٤ ، لم يستطع الجيش الحصول على قطعات كافية لتخليص هذا الشريان الحيوي وحراسته وابقائه مفتوحا للنقل ، بالرغم من خطورة الموقف »•

ان هتلر لم يفهم أسباب تراجع قطعاته من روسيا ؛ وقد أمرها « بالتشبث بالارض »•

وهذا يثبت أنه كان عاجزا عن فهم كنه حرب الانصار • فقد تضمن أمره « باربروس » « سيقضي على الانصار بدون رأفة »• الا أن الانصار ردوا عليه بطريقتهم « بأنهم لا يخشون الموت » • وقد اثبتوا ذلك •

الفَصْل الثّالث

تنظيم وتموين وتدريب الأنصار السوفييت

أصدر مفوضو الشعب لروسيا البيضاء واللجنة المركزية للحزب الشيوعي في روسيا البيضاء اثناء الشهر الاول أو الثاني من الحرب الامر التالي :

« الى كل اللجان ، لجان المدن ، لجان المناطق ، الى الحزب الشيوعي، الى اللجان التنفيذية في الارياف ، الى المدن ، والاقسام ، والى مجلس العمل » •

« الهدف : تنظيم الدفاع الشعبي (الانصار) »

« ان مجلس الشعب لروسيا البيضاء واللجنة المركزية للحزب الشيوعي تأمر بالتعبئة السريعة لوحدات الدفاع الشعبي (الانصار) لاجل دعم الجيش الاحمر وفقا لمرسوم الرفيق ستالين •

اولا ـ تنظيم الانصار

١ ـ تشكل وحدات للانصار في كل المؤسسات وفي جميع المنظمات الحكومية او الجماعية • ويجب ان تتألف من الرجال والنساء والفتيان القادرين على القيام بالمهمات التي تقع على عاتق الدفاع الشعبي (الانصار)• ويتكون أفراد وحدات الانصار من متطوعين وطنيين متعلقين

بمؤسساتنا . وتصبح الوحدات المؤلفة على هذا الاساس وحدات من المشاة او الخيالة .

٢ ـ تتطابق قوات الانصار هذه مع الحدود الادارية للمناطق والمدن او الارياف . ويكون على رأسها قادة وحدات وهيئات اركان .

٣ ـ يجري اختيار قادة الوحدات من قبل المجالس المختصة من بين ضباط الجيش الاحمر الاحتياطي ، او من بين الرفاق الذين تلقوا تدريبا عسكريا جيدا ، او من بين القادة السياسيين والاشخاص المنتمين الى تنظيم سياسي ، وبرهنوا على شجاعة وكفاءة واخلاص تام للقضية الاشتراكية.

٤ ـ تنقسم وحدات الانصار الى سرايا وفصائل وجماعات .

٥ ـ تنظم هذه الوحدات كما يلي :

أ ـ بفصائل مسلحة بالبنادق للقضاء على قوة القتال المعادية .

ب ـ بسرايا مسلحة بالقنابل اليدوية وبزجاجات الاحراق وتكلف بتدمير المدرعات والطائرات .

جـ ـ بجماعات خاصة تكون خلف خطوط الاعداء ، وتتشكل بحيث تكون قادرة على تدمير السكك الحديدية والجسور ومستودعات الذخائر والوقود والتموين الخ ...

د ـ بوحدات استكشاف مكلفة بمهمات استطلاعية بالعمق وراء الخطوط المعادية .

هـ ـ بوحدات مشاة وخيالة واشارة مخصصة لتأمين الاتصال بين الجماعات وبين قادتها ومع وحدات الجيش الاحمر .

ثانيا ـ مهمات الانصار

١ ـ ان المهمة العامة لوحدات الانصار المشكلة من قبل سكان المدن او الارياف هي مقاومة الفاشستية الالمانية ومساعدة الجيش الاحمر ، بمتابعة عملياته ، وتأمين سلامة خطوط تموينه ، وبالحفاظ على الارتباط

مع مختلف عناصر السكان في المدن والمصانع ووحدات الاقتصاد الجماعي ، وتأمين حماية الجسور الخ...

٢ ـ تنظيم وتنفيذ عمليات حربية بالتنسيق مع القطعات العسكرية والمظليين .

٣ ـ بناء استحكامات بغرض الدفاع ضد العدو .

٤ ـ واخيرا ، على الانصار استكشاف ارضهم حتى يعرفوها معرفة كاملة وعليهم تدمير مستودعاتهم ومحروقاتهم وشبكات اتصالاتهم ، اذا ما قام العدو بهجوم ، حتى لا يقع في يد العدو شيء يستفيد منه .

ثالثا التموين

١ ـ ان المشروعات والتنظيمات الاقتصادية الجماعية هي اساس تعبئة الانصار فهي التي تزودهم بالمؤن وبالملابس . ويتسلح الانصار من تلقاء انفسهم بالاسلحة التي يجدونها محليا بين السكان : بالبنادق ، والقنابل والمسدسات والخناجر ، والفؤوس ، والمناجل ، والجواريف ، وزجاجات الاحراق ، وفقا للمهمة التي سيتلقونها .

٢ ـ ويتجهز الانصار من تلقاء انفسهم بالاليات وبأجهزة الاتصال .

رابعا ـ التدريب

تتلقى وحدات الانصار ، فور تعبئتها ، مهماتها من قادتها المباشرين او من المفوضين . ويسهر المفوضون على ان يكون التدريب فوريا (استعمال البنادق والرشاشات والقنابل) ويتمرنون على مبادىء التكتيك الاولى بشكل يستطيعون تطبيقها في حالة المواجهة مع العدو .

خامسا ـ القيادة

« تؤلف أركان خاصة للعصابات من اشخاص ينتمون الى اللجان

التنفيذية والى مجالس الشعب (مناطق ، اقسام ، مدن ، قرى) » •

ولا يجب اعتبار هذا التوجيه كنظـام : فقد انتظم الانصار فـي الواقع ، بشكل مختلف وبطريقة اخرى ، افضل تلاؤما مع مهماتهم مـن هذا التنظيم الثابت الذي يتضمنه هذا التوجيه • ولقد سردناه هنـا ، لا لقيمته التاريخية فقط بل لنظهر ايضا ان تنظيما كهذا التنظيم ، من المستطاع بناؤه على مبدأين مختلفين : جمود التوجيه المذكور اعلاه او مرونة حركة المقاومة الحمراء كما شكلت في النهاية •

ولكي نفهم تماما تنظيم حركـة المقاومة السوفياتية ، يجب ان نحفظ في ذاكرتنا النقاط الثلاث التالية :

١ ــ كانت وحدات الانصار مشكلة تقريبا من سكان محليين قاتلوا في المنطقة نفسها طيلة الحرب •

٢ ــ كان الاعتماد الاساسي مبدئيا على المتطوعين •

٣ ــ لم تتطور الحركـة في الحقيقة تطورا هائلا الا بعد بدء القتال وعلى مراحل •

ومن الطبيعي ان جيشا نظاميا يتألف بصورة مختلفـة عن تشكيل الانصار • ان الويـة الجيش في المناطق تعبأ عادة من سكان هذه المناطق الا انها تستكمل عددها بعدد من الغرباء عن منطقتها • كما ان المنطقة التي تتمركز فيها هذه الوحدات ليست ميدان المعركـة الطبيعية • ولا تشتمل الجيوش الا على عدد صغير من المتطوعين اثناء الحرب ، على الاقـل • فمعظم الجنود هم من الجنود الاحتياطيين الذين تستدعيهم القيادة وتعبئهم• وينظم ضباط الجيش اثناء السلم ، ويحدد عددهم كما تحدد اهميتهم فـي الحرب على المستوى الحكومي •

ولا تنطبق كل هذه النقاط على وضع الانصار لذا لم تستطع عصابات الانصار السوفيات تنظيم نفسها تنظيما ثابتا طبقا للتوجيـه الذي ذكرناه• والواقع ، ان عدد وقـوة واهميـة العصابـات تبدلت حسب الظروف

المحلية ، كما ان تبعيتها وانضباطها كان برضى الانصار وقبولهم الارادي الحر ، لا بالزام نابع عن الانظمة القاسية والقوانين المفروضة . وكان على الاطار العضوي لهذه المنظمات ان يتناسب من تلقاء ذاتـه مع تغيـرات التعداد والملاك ، وقبول الاطارات ، بدلا من ان يحاول تنظيم نفسه تبعا لخطـة موضوعة سابقـا .

وهناك نقاط هامة اخرى يجب اخذها بعين الاعتبار . فالجيش في الميدان لا يختار دوما ساحـة معركته ، بينما يملك الانصار دوما اختيار المكان والزمان . ولقد اختارت العصابات دائما أهدافا تتلاءم مع مكانياتها لذا كان التعاون والتنسيق مع العصابات الاخرى محدود .

بالاضافة الى ذلك يحتل الجيش دائما جبهة متصلة بينما يعمل الانصار بنظام منتشر . لذا فحاجتهم الى نظام تنسيق مع الجوار اقـل بكثير من حاجـة الجيش لهذا النظام . ويزداد صدق هذا القول لسبب اخر هو ان تعرض عصابة من الانصار للفشل يجعلها تتحمل وحدها تبعاته ، ولا تؤثر هذه النتائج بالضرورة على بقيـة العصابات ، بينما نجد العكس في الجيش النظامي حول هذا الموضوع . ففي حرب الانصار ليس من الواجب تحديد خطوط او مناطق يجب مسكها ، وليس لموضوع خلـق السلطة العليـا والتسلسل العسكري المدروس سوى اهمية ثانوية في حرب الانصار .

وتتمتع العصابات اخيرا باستقلال ذاتي واسع . فهي تتجهز بنفسها ، ولا تحتاج الى بزات او اسلحة ثقيلة او وسائل نقل . ويتكـون مصدر الاسلحة الخفيفة للانصار وذخائرهم من عمليات الاستيلاء على اسلحـة العدو ، كما ان نجداتهم نجدات محلية ، وليس لقواتهم وحدات احتياطيـة او قواعد ثابتة . والتنسيق المعروف في الجيوش النظامية بين المؤخـرة وعناصر التمويـن ، تنسيق مخفف الى الحد الادنى ، ولا يتطلب اقامة جهـاز خاص .

ولكل هذه الاسباب ، فان حرب الانصار لا تخضع لقواعد ثابتة وقد

ادرك السوفيات اخيرا هذه الحقيقة ادراكا جيدا •

ان اصغر وحدة عضوية هي الوحدة او المفرزة • ومن الصعب ان نقول كم كان هناك من هذه الوحدات •

فالجنرال بونومارنكو يتكلم عن مئات الالوف من هــذه المفارز • وكانت هذه العصابات تضم رجال ونساء واطفال احيانا • يسرد احد تقارير الاركان الخاصة المضادة للانصار في القرم التفصيلات التالية :

« لا تضم عصابات الانصار في القرم الا عددا قليلا من افراد الجيش الاحمر ، فمعظم الانصار شيوعيون متحمسون ، اختيروا ودربوا في السابق وتضمهم جماعات تختلف اهميتها حسب التعليمات المعطاة • وقادة هؤلاء الانصار غالبا شيوعيون احتلوا مناصب عالية في الحياة المدنية • والحقيقية هي ان طبقــة « الانتليجنسيا » الروسية في القرم ، هي التي عبأتهم ، لانها كانت تحتل المراكز الهامة في النظام الشيوعي • وهذا يعني ان الانصار يملكون قيادات حسنة لا تتردد في اتباع كل الوسائل ، بما فيها الانتحار • حتى لا تقع بين ايدينا •

وفي نهايــة تشرين ثاني ١٩٤١ ، كانت مصلحة الإستخبارات الالمانية تقدر عدد الانصار في القرم بثمانية الاف رجل • وقد نظموا في القرم منذ البدء وحدات قتال جيدة ، وذلك بفضل التدريب الفني والتعبوي الــذي زودوا به من قبل متقدميهم الذين كانوا يملكون تجربــة حرب العصابات، وبفضل الحرس الاحمر الوطني الذي كان منظما في كتائب تدمير ، كانت نواة تنظيم المقاومة الجديدة •

ولقد استعد السوفيات لحرب العصابات قبل بدء القتال • ولم يكن هذا الاستعداد استعدادا متشابها في كل المناطق ، بل كــان متلائما مــع الشروط المحلية • ففي اوكرانيا والقرم ، كان لحرب الانصار تقاليدها • فقد نشبت فيها معارك متعددة اثناء ثورة ١٩١٧ • ففي هذه المناطق درب الانصار الجدد من قبــل قادة الانصار القدماء ، وعندما دخل الالمان فــي

القرم ، عام ١٩٤١ التحموا مع الانصار في نفس الاماكن التي اشتبك فيها الانصار السابقون مع القوات القيصرية قبل عشرين سنة • وفي مناطق اخرى ، كانت حرب الانصار هدفا لتمارين خاصة • وقد صرح احد افراد مفرزة استكشاف تابعة لمجموعة الجيوش (ب) ، بما يلي :

« في كانون ثاني وشباط ١٩٤١ اوكلتِ الي مهمة فحص ومراجعة الجريدة الرسمية للجيش السوفياتي ، النجمة الحمراء ، كما اوكلت الى مهمة التقاط الاذاعات اللاسلكية للجيش الاحمر — قبل بدء العمليات على الجبهة الروسية بستة اشهر — وعن طريق عملي هذا ، علمت في ذلك الوقت ان مناورات كبرى للانصار قد جرت في عدة مناطق للاتحاد السوفياتي ، وبخاصة حول موسكو وفي المنطقة الغربية واشترك في هذه المناورات السكان المدنيون » •

وكانت قيادات ومجموعات ضباط العصابات تأتي من وحدات التدمير الموجودة منذ بداية الحرب ، ولقد عبئت هذه الكتائب من الجماهير العاملة ، وربطت بالجيش الاحمر طيلة الوقت الذي يكون فيه الجيش الاحمر في مناطقها • وعندما كان من الواجب الاستعداد للقتال التقهقري ، تلقت هذه الكتائب مهمة تدمير خطوط المواصلات والمحصولات ••• الخ وعندما اخلى الجيش الاحمر القطاعات التي كانت تعمل فيها هذه الكتائب بقى عدد لا بأس به منها في مكانه للقيام بعمليات العصابات •

وكان افرادها يجيدون التدمير بكفاءة عالية • وعندما كانوا مرتبطين بالجيش كانوا يتلقون ايضا مهمات استكشاف ، ومهمات قتال ضد المظليين او المفارز المنقولة جوا ، اذ كانت هذه الكتائب مدربة بصورة خاصة على العمل ضد وحدات منعزلة معادية • كما كانت تملك السلاح اللازم لذلك• وهكذا وجد الانصار في صفوفها قيادات لها اهميتها •

وكانت الكتائب تحت قيادة ضباط محترفين • وتضم كل كتيبة منها سريتين مؤلفتين من ٢٠٠ — ٢٢٠ جنديا مسلحين بالمسدسات الرشاشة ،

والبنادق والبنادق الالية ، والرشاشات الثقيلة والخفيفة والهاونات ، والقنابل اليدوية والالغام والعبوات الناسفة .

وقد اصبحت هذه الاسلحة بعدئذ الاسلحة الطبيعية للعصابات . واضاف الانصار اليها « مسدس العصابات » وهو عبارة عن بندقية عسكرية قصيرة سهلة الحمل تحت المعطف .

وفي اواخر عام ١٩٤١ ، قدر الالمان عدد وحدات التدمير العاملة في القرم بـ ٣٣ كتيبة ، تعمل تحت قيادة اركان معروفة باسم قيادة الانصار . وفي البدء ، كانت هيئة الاركان هذه تشتمل على قائد عسكري ، ومفوض ومن ٤٠ الى ٦٠ ضابطا ، وعناصر اشغال ووحدة حماية .

وقد تحول هذا الاطار العضوي وتطور طبقا لتطور حرب الانصار . ويبدو ان بضعة كتائب من كتائب التخريب بقيت في مكانها لفترة من الزمن ، لان عددا من الوثائق الالمانية يشير الى اشتباكات معها ، الا ان معظمها اندمج بالانصار بعد ذلك . ومع ذلك فان عددا كبيرا من العصابات قد تألفت لوحدها دون مساعدة هذه الكتائب .

ثم اضيف تسلسل وسيط الى جداول الملاكات . الا ان هذه الأضافة لم تعمم ، ولم تظهر الا في الوحدات التي فرضت الضرورات الخاصة وجودها .

وبسبب الطابع هذا التسلسل الاضافي الارتجالي ، فانه لم يكن متشابها ابدا . فمدن مثل سيباستبول اومينسك خلقت بنفسها فصائل انصارها ومفارزها الاقليمية او مراكز قياداتها الخاصة . وفي القرم ، كان هناك على الاقل اربعة قيادات مناطق ، وارتفع العدد في بعض الاحيان عن ذلك . واخيرا فان بعض الوحدات شكلت مفارز اصغر منها ووحدات للعمال .

اما الانساق الاصغر ، أي المفارز الريفية ، وكتائب التخريب وفصائل المدن فقد كانت تشكل وتحضر الرجال المقاتلين . وتتضمن الانساق الاعلى

الاركان ومراكز القيادة . اما اركان الاقسام فقد كانت تنظم مراكز قيادات العمليات لتنفيذ عمليات مشتركة تساهم فيها عدة مفارز . وكانوا يصدرون في بعض الاحيان اوامر عمليات لمفارز منعزلة . وبالاضافة الى ذلك ، كانت كل المفارز ترفع الى مراكز قيادات العمليات تقاريرا عن عملياتها وكانت هذه المفارز تقدم خطتها الميدانية العامة ، التي لا بد من التصديق عليها عندما تمس المشروعات او تتعلق بالمفارز المجاورة . وكانت هيئات اركان الاقسام مؤلفة من عشرين شخصا تقريبا .

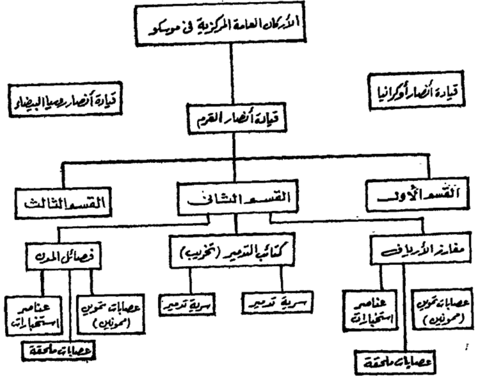
ولم تكن الوحدات الصغيرة تتلقى اوامر من اركانات الاقسام فقط، بل كانت تتلقاها ايضا من اللجنة المركزية للحزب ، ومن الجيش الاحمر ، كما سنرى فيما بعده ان هذه المرونة الكبرى في التسلسل تظهر بوضوح ليونة الاطار العضوي . فاذا كان العسكريون المحترفون لا يقرون تنظيما من هذا النوع ، فاننا نؤكد لهم ان هذه المرونة لم تخفض فاعلية العصابات السوفياتية . واذا كان للجيش ، او الحزب ، او اركانات الاقسام الحق في اعطاء المهمات للعصابات ، فذلك بالتأكيد يعني ان وحدات الانصار هذه كانت تحت تصرفهم . ولكي نحكم بالنتائج ، نرى ان وحدات الانصار نجحت في خدمة كل هؤلاء بصورة كاملة .

وهناك ايضا اركانات اعلى كان دورها تحقير الخطط . والقيادة العامة للانصار ، والمسماة الاركان العامة المركزية لقوات الانصار ، كانت تعمل في موسكو تحت قيادة الجنرال بونومارنكو .

وكانت هناك كثير من المفارز المستقلة استقلالا كاملا . وكانت هذه المفارز اما صغيرة جدا ، لا مكان لها على خرائط الاركان العامة المركزية ، او انها شكلت في اللحظة الاخيرة بهدف مساعدة الجيش الاحمر بعد ان استرجع بعض المواقع في بعض القطاعات . وكان هناك ايضا انصار لا ينتمون لاية مفرزة ، الا انهم كانوا يعملون لحسابهم الخاص ، ثم كان هناك جماعات صغيرة ، كان افرادها يتابعون اعمالهم العادية التي كانوا

يقومون بها زمن السلم ثم يلتحقون بالعصابات للقيام بعملية من العمليات عندما تسنح لهم فرصة مناسبة • وكان هؤلاء يعملون بوحي من بديهتهم الخاصة مع المحافظة على استقلالهم •

والان ، وبعد ان عرفنا الميزات الهامة لحركة الانصار الحمر ، بامكاننا ان نرسم لها اللوحة التنظيمية التي سنقدمها فيما بعد •



لم يكن للرتب العسكرية التي يحملها الضباط أي وزن في تسلسل الانصار • فقائد القسم الرابع في القرم ، كان في البدء لواء ، بينما كان رئيسه قائد انصار القرم ، برتبة مقدم ، وهكذا نرى ايضا ان وحدة تعمل في القرم يقودها عقيد • وقد كانت هذه المفرزة الاخيرة قد تشكلت من بقايا الوحدات الحمراء التي قامت بالانزال في سوداك •

ولقد أثبتت التجارب ان على الانصار ان يتبنوا تسلسلا مرنا جدا اذا شاءت العمل بنجاح • ففي حرب العصابات الروسية ، استبدلت

قواعد التسلسل الجامد بقانون التعاون المرن ٠

ولقد كان الحزب الشيوعي عاملا من العوامل الحاسمة في اعداد هذا القانون ، لان الحزب في الواقع اخذ الانصار على عاتقه وبالشكل التالي :

١ ــ كان الحزب يتوجه الى الجماهير لتشكيل الانصار منذ ان تقرر تشكيلهم ٠

٢ ــ كان الحزب يعين قواد المراتب العليا ، والقواد الوسيطين ، وقواد الوحدات ٠

٣ ــ كان الحزب ممثلا ، في كل الوحدات ، بمفوضين سياسيين وبأعضاء الحزب المحليين ٠

٤ ــ كان الحزب يدير العمليات ٠

ولننظر الى ذلك عن قرب ٠ يؤكد م٠ أ٠ كريتسول في « مجموعة بونومارنكو » ما يلي : « كان لمفارز الانصار ارتباط وثيق مع التنظيم السري للحزب » ٠ ويبدو ان هذا المؤلف يسيء تقدير أهمية هذه الروابط ٠ مع اننا علمنا ان الانتليجنسيا الشيوعية زودت وحدات الانصار بقياداتها ٠ وكان قادة هذه الوحدات في الواقع يعينون من قبل لجان الحزب ٠ وكانت اللجنة تستدعي اولا الى مكاتبها السكان القادرين على الالتحاق بحركة الانصار ، ثم تعين قائد المفرزة ،واخيرا تشكل الوحدة وطبقا لمصدر موثوق ، نستطيع القول انه « يقود العصابات في معظم الحالات ، سكرتير اللجنة المحلية للحزب ، او رئيس اللجنة التنفيذية الريفية ، او مدير مكتب مزرعة جماعية ٠٠٠ او احد اعضاء هذا المكتب » وكانت تنظيمات الحزب المحلية ، في البدء ، التنظيمات الوحيدة التي تعرف وجود ومواقع مختلف العصابات المشكلة ٠ وعلى هذا الاساس فان من الطبيعي ان يصبح عضو من اعضاء الحزب ضابط اتصال مع العصابات المتمركزة في القطاع ، وان يكون رئيس اركان وحدات الانصار عضوا في اللجنة المحلية للحزب ٠ وعندما يتم تشكيل العصابات ، تشرف عليها

اللجان المحلية اطول وقت لازم وممكن . وكانت اللجنة تأخذ على عاتقها تجنيد العناصر، وهي التي تؤمن الاسلحة ، والادوات الصحية، والاجهزة اللاسلكيـة ، ومن الممكن ان تكون مكلفـة ايضا بايجـاد الاموال اللازمة . حتى ان الكومسومول (منظمات الشبيبة) وتنظيمات الفتوة الشيوعية ، كانت تساهم ايضا في هـذا العمل : ومن صفوف هـذه المنظمات الاخيرة ، خرج فتيان صغار استخدمهم الانصار لاحضار او نقـل المعلومـات .

وبعد ان عرضنا تأثير الحزب علـى المستويات الصغيرة جـدا ، والمستويات الوسيطـة ننتقل الى لجان الحزب الاعلى . وكانت هـذه اللجان تمارس نفوذها وسلطتها بطريقتين :

١ ــ كان سكرتير الحزب يوجه جميع العمليات التي تبحث فـي القيادة العامة للانصار في موسكو .

٢ ــ كانت لجان المناطق المركزيـة ، تصدر اوامر العمليـات التي كانت ترسلها الى المفارز المختصة .

ولقد صرح الجنرال كوفباك بما يلي :

« لقد اعطتنا اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في اوكرانيا مهمة الانتقال الى الكاربات ومهاجمة آبار النفط في دروجوبيتش » .

الا ان « الارتباطات » مع الحزب كانت وثيقة اكثر من هذا ، فقـد كان على اعضاء العصابات المتعددة ان يقسموا على طاعـة اوامر الحزب ، وهناك صيغة يجب على الانصار ان يوقعوها ، تحتوي على الجملة التالية: « سأبقى مخلصا لبـلادي ، وللحزب ولزعيمي ورفيقي ستالين ، حتى الموت » . وقد صنعت الارتباطات السياسية الاقوى من قبل المفوضين السياسيين والمعلمين السياسيين. وبصورة عامة، كان المفوضون السياسيون معروفين في الجيش ، وكانوا في الجيش عبارة عن ممثلي الحزب داخـل هذه المؤسسة الخطيرة ، مهمتهم الاشراف عليها ونشر العقيدة السياسية

في صفوفها • وكانوا متغلغلين في كل الوحدات حتى مستوى السرية ، ويحملون رتبة ضابط • وكان هؤلاء المفوضون السياسيون يرتدون بزة باشارات خاصة تشتمل على نجمة حمراء واحدة ، ومنجل ومطرقة ، وكلها مطرزة على الكم • وكان المعلمون السياسيون ايضا مفوضين الا انهم كانوا من مرتبة ضباط الصف • ولم يكن المفوضون السياسيون والمعلمون السياسيون تابعين للقادة العسكريين فقط ، لان لهم تسلسلهم الخاص• وكانوا يعتبرون انفسهم اكثر المقاتلين حماسا في الجيش الاحمر•

ان عددا لا بأس به من وحدات التخريب ، كانت تحت قيادة مفوضين سياسيين ، حتى عندما كانت هذه الكتائب مرتبطة بالجيش • وقد بقي المفوضون في الجيش كموظفين سياسيين منذ ان اصبحت هذه الكتائب وحدات عصابات • كما ان بعض المفوضين الاخرين عادوا فالتحقوا بهذه الكتائب فيما بعد • ويبدو ان عدد هؤلاء المفوضين السياسيين كان كبيرا جدا وفقا لتقديرات الوحدات الالمانية المخصصة لمكافحة العصابات • ويبدو ان كل المفارز ، بما فيها المفارز الصغيرة جدا ، كان لديها مفوض سياسي وبفضل هؤلاء المفوضين السياسيين تمكن بونومارنكو من وصف حركة الانصار بانها حركة « متطورة سياسيا » •

بهذا الشكل كان الحزب الشيوعي يشرف على حركة الانصار من اكبر المستويات الى اصغرها • وكان كل شيء يأتي من الحزب ، القادة والعقيدة والمساعدة المادية • ويبدو ان الايحاء الروحي المنبعث عن الايديولوجية الشيوعية كان من الاهمية بمكان كبير • فالحماس الثوري والجرأة والشجاعة في القتال ، والمهارة والعناد ، هذه الصفات التي يتسم بها الانصار السوفيات، كانت مأخوذة من الحزب ، واخيرا فان عددا كبيرا من المفوضين السياسيين ، ضربوا المثل للاخرين واعطوا درسا في الايثار ونكران الذات لصالح وخير الايديولوجية اللينينية ــ الستالينية•

فحركة الانصار الشيوعية كانت اذن ، وعلى جميع المستويات تنظيما مرتبطا بالحزب الشيوعي . ومن المستحسن ان تتذكر ذلك على الدوام . فاذا دخل الاتحاد السوفياتي والصين الحرب ، في يوم من الايام ضد بلد اخر ، فان الحزب الشيوعي لهذا البلد سيكون مكلفا بالقيام بالمهمة التي تحددها موسكو . وسينظم هذا الحزب مفارز من الانصار تقاتل جيشها الوطني .

وها هنا نقطة هامة تستحق الوقوف عندها . فليس على سبيل الاتفاق والمصادفة ان الحزب الشيوعي احتكر كل حركات المقاومة في معظم البلدان التي تطورت ونمت فيها هذه الحركات خلال الحرب العالمية الاخيرة . فالامثلة عن ذلك كثيرة جدا لا يمكن حصرها هنا .

ولكننا سنتحدث قليلا عن الصين ، فهي مثال واضح لما نقول . عندما كان بنغ ـ تي ـ هواي يقود الجيش الاحمر الصيني قال لادجارسنو ، أثناء مقابلة صحفية : « لم تكن حرب العصابات قادرة على النجاح لو لم تعمل في الصين تحت القيادة الثورية للحزب الشيوعي ، لان هذا الحزب هو التنظيم الوحيد الراغب بتحقيق أماني الفلاحين وهو قادر على ذلك ، لانه يعرف كيف يقوم بعمل سياسي ضخم وثابت بين اوساط الفلاحين ، ولانه يستطيع الحفاظ على وعود دعايته » . ولقد قال ماوتسي تونغ ايضا : « وهكذا نستطيع ان نفهم لماذا كانت هذه الكفاحات الثورية المستمرة ... عملا من اعمال عصابات الفلاحين الذين يقودهم الحزب الشيوعي الصيني » فلنبدل كلمة الفلاحين بكلمة البروليتاريا ، حتى تتوصل على صيغة شاملة قابلة للتطبيق في البلاد الصناعية الغربية .

ولكي نرجع الى حركة الانصار السوفيات ، يجب علينا ان نتحدث قليلا عن نفوذ N.K.V.D. (او ما يسمى البوليس السياسي) فهو ممثل بقوة على كل مستويات حركة الانصار ، كما ان كثيرا من عملائه قاتلوا في وحدات الانصار. ولكن ليس هناك من سبب يدعونا الى الاعتقاد

بأن ارتباط البوليس السياسي S.D.O.L.F. بالعصابات كان أقوى من ارتباطه باية حركة اخرى كان يشرف عليها .

ان تعداد وحدات الانصار كان يتغير بصورة هائلة من وحدة الى اخرى . ويبدو ان تعداد بعض هذه الوحدات قد وصل الى ٥٠٠ جندي. وقد قيل ان معسكر باكران قادر على ايواء الفي رجل . وهناك وحدات اخرى لم تكن تضم اكثر من ١٠ الى ٢٠ رجلا . وكان كل ذلك مرتبطا بالظروف المحلية اكثر من ارتباطه بالخطط المرسومة . وغالبا ما كانت تتجمع وحدات صغيرة داخل وحدات كبيرة بينما تتشرذم المفارز الكبيرة الى عدة وحدات صغيرة . وكانت احدى هذه المفارز الضخمة تشمل : اربع سراياوفصيلة استطلاع راكبة ، وفصيلة متزحلقين على الجليد ووحدة دعاية . كما ان بعض العصابات كانت تملك مدفعية ودبابات . وكانت هذه المرونة في الملاك تسمح للعصابات بان تبتعد وتتخفى بسهولة ، وعندما كان الالمان يقضون على ٤٠ او ٥٠ رجلا كانوا لا يعرفون ابدا فيما اذا كانوا قد قضوا قضاء تاما على كل العصابة او ان هذه العصابة ما زالت باقية ، وهناك اكثر من مفرزة اعتقد الالمان انهم قضوا عليها الا انها اعادت تشكيلها وعادت الى الميدان .

وكانت بعض العصابات تضم اعضاء من نفس المهنة : جنود بوليس عمال سكك حديدية ، ميكانيكيين الخ ... وكان هذا الانتقاء المهني يساعد الانصار على التخصص في القيام بمهمات تتعلق بمهنتهم : فلقد كان الميكانيكيون متخصصين في تحسين القنابل الموقوتة ، كما كان عمال السكك الحديدية متخصصين في تخريب منظمات القاطرات الخ ..

وكان الانتساب الى العصابات يعني الالتزام بالعمل معها لمدة زمنية غير محدودة . « فعندما يصبح الانسان واحدا من الانصار » يبقى كذلك طيلة مدة الحرب . ومن هذه الزاوية كان الانضباط قاسيا جدا : ان عقوبة الفرار هي الاعدام . وصيغة الانتساب او القسم تنتهي عادة

بهذه الكلمات : « اذا لم اتمكن من الحفاظ على قسمي ، نتيجة ضعف او جبن او ارادة سيئة ، خلا لمصالح الشعب ، أحكم بالموت ، وينفذ الحكم على من قبل رفاقي » .

ومن بين العصابات ، كانت هناك مجموعتان لا تشتركان في القتال الا احيانا وهما : المرنون ، وعناصر الاستخبارات .

وكانت عصابات المموتين عبارة عن وحدات تموين انشئت في الحقبة الاخيرة اي في عام ١٩٤٣ . وكان دورها هو مساندة العصابات بكل الوسائل التي يمكن تخليها ، حتى تتحرر الى حد كبير من كل المهمات التي لا علاقة مباشرة لها مع العمليات . ويبدو ان هذه الوحدات كانت تتلقى اوامرها من تنظيم يدعى S.D.O.L.F. وهو تنظيم المتطوعين للقضاء على الفاشستية وكانت مهمة هؤلاء المتطوعين هي التالية :

١ ـ خلق نوع من الثورة في صفوف الشعب ضد الالمان وتغذيته.

٢ ـ تعبئة عناصر جديدة تخصص للعصابة الرئيسية ، تتكون من عناصر مستاءة عمرها اقل من ١٥ عاما .

٣ ـ تأمين نقل انصار جدد الى مراكز العمل .

٤ ـ الحصول على وسائل لتأمين هذا النقل .

٥ ـ تزويد الانصار ببطاقات شخصية مزورة .

٦ ـ القضاء على محاولات الالمان التي تستهدف اخلاء المحاصيل والمواشي عند اقتراب الجيش الاحمر .

وكانت بعض العصابات الرئيسية تملك مفارز من هذا النوع ويجب عدم التقليل من فائدتها . وبصورة عامة ، كان رجال العصابات يتمركزون في اماكن لا يمكن الوصول اليها ، ولم يكونوا ليقبلوا ايا كان في مخابئهم حتى ولو كان روسيا ، خوفا من ان يكون عميلا للعدو . وكانت العصابات حذرة وعاقلة في هذا المضمار . وتشكل المساعدة الخارجية التي تتخذ شكل مفارز المموئين ميزات هامة للانصار . وبالاضافة الى ذلك ،

فان المقاومة السلبية التي كانت تغذيها هذه المفارز في اوساط السكان المحليين ، كانت تتمم اعمال التدمير التي ينفذها الانصار .

وكان رجال استطلاع الانصار يشكلون المجموعة الاخرى الاكثر اهمية . ولكل عصابة رجالها العاملون لصالحها في خارج المعسكر . مع استمرارهم في متابعة اعمالهم المدنية . وكانت مهمة هؤلاء الرجال التفتيش عن المعلومات من اجل العصابات . وقد تلقت نساء وفتيات اشتغلن ظاهريا كغسالات او خادمات ، مهمة تحقيق تماس واتصال مع الضباط وضباط الصف الالمان للحصول على معلومات منهم . كما عمل لصالح الانصار اطباء وممرضات عينهم الالمان في مستشفياتهم الميدانية ، ومترجمون ، وعمال سكك حديدية ومتطوعون في سرايا العمل ، وجيش حقيقي مكون من اشخاص اخرين ، حتى ان المتسولين كانوا يشكلون جزء من هذا الجيش ، ويجمعون معلوماتهم اثناء جولاتهم حول المنشآت العسكرية المعادية . وساهم الاطفال ايضا في اصطياد المعلومات والاخبار . وكانت هذه المعلومات تصل بصورة عادية الى الانصار بواسطة رجال اتصال مكلفين ايضا بمكافأة اكثر رجال الاستخبارات نشاطا .

وكان رجال الاستخبارات ورجال الاتصال يتعارفون فيما بينهم بواسطة كلمات السر . وفي يوم من الايام ، سأل جندي ارتباط رجلا من رجال الاستخبارات فيما اذا كان لا يزال يعمل في نفس « المعمل » فرد عليه الرجل قائلا : « نعم ، لا زلت اعمل فيه دون انقطاع منذ سبع سنوات » ثم استطاع الالمان اخيرا معرفة السر وتوقف المعمل عن العمل . وفي مناسبة اخرى ، كان على رجل اتصال ان يقول ما يلي : « لقد حضرت لرؤيتك امس ، لانني أهتم كثيرا بالنحل الذي تربيه » .

فشك الالمان بذلك وارسلوا جاسوسا سأل رجل الاستخبارات الواثق من نفسه قائلا : « هل انت مسرور دوما من النحل الذي تربيه؟ »

فتكلم الرجل كثيرا وعاد اليه الجاسوس ليتحدث معه عدة مرات .

وفي بعض الاوقات ، كان رجال الاستخبارات يقيمون وكالات للمعلومات . فمثلا في لوسوايا ، كان هناك مركز في المستشفى نفسه ، وفي خاركوف كان المركز في بيت معروف تحت اسم «العمة ليز» . وكان رئيس الاطباء الجراحين في لوسوايا رجلا مهما من رجال الاستخبارات . « فقد تدبر امره لانشاء علاقات صداقة مع الشرطة الالمانية ومع مقر قيادة الجيش حيث كان موضع تقدير خاص » . كما يقول الملف الالماني المنظم حول موضوعه وقصته . « وقد حاول ضباط المان التدخل لصالحه » . حتى بعد اسره .

وكان تجنيد رجال الاستخبارات يتم من قبل العصابات نفسها . وكان التنظيم السري للحزب يهتم بذلك ، كما يهتم بالممونين . وفي بدء الحرب ، كان بعض الانصار ، يحضرون احيانا بالقوة الى العصابات ، ثم اقتصرت العصابات فيما بعد على المتطوعين . وكانت بعض العصابات تفرض على اعضائها التوقيع على عقود بالانتماء ، وبعد التوقيع ، يتعهد العضو باحترام قوانين وواجبات الانصار . من الممكن ان العصابات كانت تستخدم نفس صيغة القسم .

ولم يكن الانصار يرتدون البزة الروسية ، او شارة الساعد (كالفرنسيين) ولقد قبض على بعضهم وهم يلبسون البزة الالمانية او الروسية الا انهم كانوا دوما يخفون اسلحتهم .

وقد وصف اسلوب العمل في احد مكاتب تجنيد العصابات ، ضمن وثيقة من وثائق مصلحة مكافحة التجسس الالمانية بما يلي : « اكتشف بعض المخبرين ، في ساباروجه مكتب تجنيد في مجموعة من البيوت اختفى فيها عدد من المدنيين الذين فروا من عملية التهجير والاخلاء ، وبعض الروس المتعاونين معنا والذين هربوا من الخدمة ، وكلهم كانوا قد جمعوا من قبل مجموعة من العصابات . وبالتعاون مع الفصيلة ٣٠٣

مكافحة تجسس . والشرطة العسكرية حاصرت هذه المجموعة وفتشت، ووجدنا بين الاشخاص الموقوفين ، ثلاثة من الذين يقومون بالتجنيد ، واثنين وعشرين مجندا جديدا من بينهم خمسة ممن كانوا يتعاونون معنا ثم هربوا . ويعتقد انه كان عليهم انيلتحقوا بعصابة بالقرب من ساباروجه بمعرفة بعض المساعدين الذين يتظاهرون بالتعاون معنا . وكان على المجندين الجدد ان يتدبروا انفسهم لايجاد سلاح وذخائر ، وكان على الخمسة المتعاونين معنا سابقا ان يسرقوا اسلحة لرفاقهم » .

ان تدريب المجندين ، وخاصة فيما يتعلق باستعمال السلاح . كان يقع على عاتق العصابات نفسها . ومع ذلك ، فقد كانت هناك دورات تدريبية للمتخصصين تنظمها لجان الحزب في المناطق . وهكذا نرى ان رجالا من جماعة كوفباك قد اتبعوا دورة الغام ، تعلموا فيها استعمال الالغام .

وبالاضافة الى ذلك ، فان عددا معينا من المدارس النظامية كانت تعمل في موسكو ولينينجراد وستالينجراد ومناطق اخرى . وكانت الدورات تدوم فيها ما بين ثلاثة ايام وستة اسابيع ، وكان برنامج احدى المدارس يضم ما يلي :

١ ـ دراسة تخريب السكك الحديدية ، والجسور والطائرات ، واراضي النزول بواسطة المتفجرات ، والصمامات الموقوتة الخ ...

٢ ـ الهبوط بالمظلة .

٣ ـ تدريب على السلوك الواجب اتباعه على المؤخرات الالمانية : كيفيةالحصول على بطاقات تحقيق شخصية المانية، كيفية الدخول بالتماس مع الشيوعيين ، كيفية خلق حجة معقولة تثبت وجود رجال العصابات خارج مكان المعركة في حالة التوقيف .

٤ ـ قراءة الخارطة .

٥ ـ تدريب يستهدف تنفيذ مهمات استكشافية لصالح مصلحة

الاستخبارات في الجيش الاحمر •

ولقد كان لمدارس اخـرى فصائل خاصة للجواسيس ، ودورات للمختصين بتخريب السكك الحديدية ، وقطع المواصلات وللاشارة من الارض للطائرات ، ولاشعال الحرائق •

وكان ما يسمى بالبوليس السياسي N.K.V.D. يملك مدارس خاصة لقطعات الكشافين (الاستطلاع) ولعمال اللاسلكي وللمخربين • وكانت هذه المدارس تدرب بعض التلاميذ على سرقة الوثائق والتقارير بصورة خاصة •

كما أن نظام العصابات يتضمن تعليمات عامة عن قيادة العمليات • ويحتوي ايضا على توجيهات مفصلة عن الخدمة في الميدان ، وعن بناء الملاجيء ، وعن استطلاع الارض وعن العمليات (التكتيكية) ، ووصفا للاسلحـة الروسية والالمانية •

وكانت هناك توجيهـات اخرى تصدر بواسطة نشرات وصحـف ينشرها الانصار • وكانت احدى هـذه الصحف (النجمة الحمـراء) كراسنايا سفيسدا تتضمن التوجيهات الاتية :

« ان الجيش الالماني ، معتمدا على تجهيزه الفني ، يحتاج الى خطوط مواصلات متصلة مع الخلف لتأمين تموين قطعاته بالمحروقـات والذخائر والمؤن وقطع التبديل ••• ولهذا السبب ، من الضروري تنفيذ التخريبات على طول خط تموين وانسحاب العدو ، فلكي نحطم العوارض الفولاذيـة لجسر من الجسور لا بد من تحطيم القضيبين الطولانيين في الاعلى والاسفل بالمتفجرات • وفي حالة تدمير جسر خشبي ، يشتمل العمل الرئيسي على قطع الركائز السفلى ، وحـرق بقية اجزاء الجسر اذا امكـن •

« وتخريب السكك الحديدية أكثر أعمال التدمير جدوى وفائدة ، اذا نظمت في نقاط يصعب اجراء التصليح فيها ، أي في المنعطفات ، وفي

المضائق وفي أمكنة الطمى (حيث يرتفع مكان السكة الحديدية عن سطح الارض) • ويجب أن توضع المتفجرات بشكل يقطع فيه الخط في ثلاثة نقاط • ولكي نخرج قطارا عن سكته ، ينصح بفك (صواميل) تجميع السكك ، ورفع المسامير التي تثبت القضبان ــ لان هذا العمل لا يمكن اكتشافه من قبل سائق القطار وحراسة ــ خلافا لقطع الخط •

« ولكي نمنع العدو من ابطال الالغام ، نضع ألغاما مزيفة . ولكي يكون تدمير الطرق فعالا يجب اجراء التخريبات في أماكن يصعب العمل فيها ، أي في المناطق المحاطة بالغابات ، وفي خنادق عميقة ، وفي الامكنة التي يمر فيها الطريق على طمى (حيث يرتفع مكان الطريق عن سطح الارض المجاورة) ، وفي القرى ، وعلى المنحدرات القوية ، وفي المنحنيات •

« من الممكن قطع السير في المدن والقرى بنسف بعض البيوت في اللحظة المناسبة • ان أحسن وسيلة لتدمير الدبابات والآليات هي استخدام ألغام متنقلة فاذا ربطت عدة الغام بحبل وسحبه أحد الانصار وهو يختف في ملجأ ، فهناك احتمالات كبرى كي تسحق السيارة المستهدفة لغما من هذه الالغام •• »

ونرى أيضا في التوجيهات السوفييتية ما يلي :

« جرى تخريب خط اتصال ، ثم نصب الانصار كمينا لفصيلة تصليح المانية ودمروها •

« ثبتت عبوات ناسفة على طرفي جسر خشبي طوله ستون مترا ، وحمولته ٢٤ طنا ، واقع على طريق من الطرق الكبرى • ثم أشعلت هذه العبوات بواسطة قش مشبع بالبترول »•

وقد خصصت الاذاعة السوفييتية برنامجا خاصا بالانصار كانت تبثه مرتين في اليوم ، في الصباح والمساء • وكانت مدة البرنامج ١٠ دقائق في كل مرة وكان يبث نشاط الانصار ، وعمليات القضاء على المتعاونين الروس • واليكم احدى هذه الاذاعات كما سجلها أحد موظفي مكتب

الاستماع التابع لمصلحة استعلامات الاذاعة :

« كيف يمكن القضاء على حارس الماني ؟ » . وقد عالجت الاذاعة هذا الموضوع على الشكل التالي : « ينبغي مطاردة الالمان واصطيادهم كما نصطاد الحجل ، تقترب ببطء من الحجل عندما تغنى ، وتتوقف مختفين عن الانظار عندما تبدأ في التأمل حولها . ينبغي تطبيق نفس الطريقة مع الحراس الالمان .. تقربوا في الظلام من الحارس الذي تريدون قتله ، وبيدكم فأس صغير . فاذا كان يتحرك أو يتأمل حوله ، قفوا ولا تتحركوا ، واذا كان شاردا في تفكير عميق ، ازحفوا اليه خلسة ، خطوة خطوة ، حتى تضحوا على مقربة منه . وعندما تصبحون من القرب بحيث يمكنكم الوصول اليه بالتأكيد ، أضربوه بالفأس بسرعة وقوة على أم رأسه ، واعملوا بسرعة حتى لا يتسنى له أن يصرخ ».

ويظهر ان الغربيين بحاجة لتدريب طويل قبل ان يتعلموا صيد الحجل بمهارة !

وكانت العصابات تختار الاماكن التي يصعب الوصول اليها كي تختفي : كالمناجم ، والاحراش والجبال والمستنقعات . ومن الصعب ان تتخيل كيف كان بامكان الانصار أن يعيشوا في مستنقعات ، وأن ينطلقوا من مثل هذه القواعد . وفي عام ١٩٤٣ ، قالت الاذاعة الالمانية عن هذا الموضوع ما يلي :

« يعتقد المستمعون احتمالا ان معظم هذه المستنقعات لا يمكن اجتيازه أو استخدامه ، ولكن الامر مخالف لذلك . فقد انتشر جنودنا في يوم من الايام أمام مستنقع عميق ، وحاولوا عبوره دون جدوى . وفجأة ، لاحظ أحدهم أن الوحل في المستنقع لا يصل الا الى حزامه . ودلت استكشافات دقيقة فيما بعد على ان ألواحا من الخشب قد وضعت تحت الماء ، وامتدت من طرف المستنقع الى الطرف الآخر ، بشكل نشأ فيه ممر يؤدي الى جزيرة غير منظورة في قلب المستنقع ».

وكانت العصابات تسهر على ان لا يكون لمعسكر ما الا مدخل واحد، حتى يسهل الدفاع عنه ، كلما آمكنها ذلك . وفي بعض الاوقات ، كانت تترك مخابئها مفتشة عن ملجأ أفضل ، وعن أرض صيد مناسبة أو لكي تتجنب الاسر . الا انها نادرا ما كانت تبدل منطقة عملياتها .

وقد قام ب. ك. ايغناتوف بوصف جبيل لملجأ في الجبال قائلا ما يلي : « لا يمكن الوصول الى هذا المخبأ من الاعلى ، حتى ان الغزال لا يستطيع ان يتجرأ على نزول جرف الصخور المنحدر . وأما بداية العنق الذي يشكله المدخل فمسدودة بموقع أمامي وبحواجز ، والمسلك الوحيد الذي يؤدي الى المعسكر ضيق كثير الانحدار حتى أن اتباعه يحتم المسير على جانب من جوانبه . وهناك موقعي حراسة يرميان المسلك بنيران جبهية ونيران جانبية ، كما ان كل التدابير قد اتخذت لرميه من مراكز اقامتنا . ومن الممكن حصده برشاشات مفرزة استطلاعنا البعيدة . وكان المعسكر يملك أخيرا مخرجا للنجاة يسمح لنا بالطبع بالانقضاض بسرعة على مؤخرة المهاجمين . ويكفي عدة رماة مهرة للدفاع عن المعسكر ، حتى ولو كانت قوات العدو متفوقة ».

وكان معسكر الغابات يتشكل عادة من براكات خشبية غائرة تحت الارض ، على مقربة مباشرة من الابراج الاسمنتية الموضوعة غالبا بشكل مثلث حتى يتمكن كل واحد منها مساعدة الابراج الاخرى في حالة الهجوم . وتملك المعسكرات المهمة براكات للمطابخ والمستشفى والاسطبلات والمخازن .

أما المسالك التي تؤدي الى المعسكرات ، فغالبا ما تكون ملغومة ومموهة تمويها جيدا . وهي تنطلق من مسالك مطروقة بصورة عامة ، الا أن أول المسلك يكون وراء شجيرات صغيرة بشكل يستطيع الانصار بلوغه بقفزة واحدة ابتداء من المسلك الرئيسي . « ولا ينبغي أبدا ان تؤدي الى المعسكرات ، المسالك التي تنتهي بطريق كبيرة أو متوسطة

الاهمية ــ هذا ما تقوله احدى النشرات الروسية عن اقامة الانصار ــ وفي حالة اقامة وحدات على مقربة من طريق لاسباب مناسبة للعمل ، ينبغي أن تخلى البراكات عندما تقتضي الضرورة ذلك ، باستخدام مخرج يبعد عن الطريق ، كما يجب محو كل الآثار بصورة دقيقة ».

وكانت العصابات تنتقل ؛ بصورة اعتيادية ليلا . وتستخدم دوما المسالك المعروفة من الانصار ابناء المنطقة فقط . وكانت الدوريات تسير امامارتالهم ، بشكل مقدمات تستكشف الطريق ، ومؤخرات لحماية مؤخراتهم .

وكان انضباط المسير المطبق على رجال الارتال قاسيا حازما ، وغالبا ما كانوا يبدلون خيولهم في القرى . وكانت العصابات تقطع عادة ٦٠ كيلو مترا في الليلة الواحدة .

يبقى علينا بعض المواضيع الواجب بحثها ، وتتعلق بتنظيم العصابات وهذه المواضيع ، هي الاتصالات (الاشارة) ، والتموين ، والتعاون مع الجيش الاحمر . وسنهتم اولا بمصلحة الاشارة .

ففي البدء ، كانت المعلومات تستقصي بصورة طبيعية من قبل رجال استخبارات العصابات ، وتسلم الى رجال الاتصال الذين ينقلونها الى العصابات . الا ان هذا الاسلوب لم يكن يطبق الا لاستقصاء ونقل المعلومات المحلية . ومن وقت لآخر ، كانت هناك جماعات صغيرة تجوب على اقدامها مسافات طويلة لتلقي التعليمات . وكانت مختلف جماعات الانصار العاملة في القرم تستخدم الهاتف . فقد كانت تستعمل شبكة اتصال اقامتها كتائب التدمير عندما كانت مرتبطة بالجيش الاحمر . الا ان رجال الانصار كانوا في معظم الاحيان يتصلون ببعضهم بواسطة اللاسلكي اذ كانت هذه الوسيلة، الوسيلة الوحيدة عمليا للاتصال مع الوسطاء الذين يتمركزون وراء الجيش الاحمر . واليكم خلاصة تقرير لمصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) .

« تلقت جماعة من جماعات مكافحة العصابات مهمة التفتيش عن

مخطة لاسلكية واكتشاف الشبكة الكاملة لاتصالات (اشارة) منطقة معينة • وقد عين بعض العملاء المدنيين موقع بيت مـن البيوت في قرية روتليتن . بقرب شاني ، وقالوا بأنه الموقع المحتمل للمحطة اللاسلكية • وقامت هذه الجماعة بالهجوم بعد اتخاذ كل تدابيـر الامـن الخـاصة • فوجدت في هذا البيت امرأة وفتاة • وخلال الاستجواب الفوري : انكرتا كل شيء • وعند التفتيش الاعتيادي ، وجد مع الفتاة سكـين وساعـة ، وهي ادوات تشكل جزء من تجهيز عمال اللاسلكي الروس • ثم اكتشفت هذه الجماعة في مخزن الغـلال التابع للبيـت ، جهـازا لاسلكيا (للبث والالتقاط) مموها بشكل ذكي جدا » •

وبالاضافة الى اجهزة اللاسلكي العادية ، كان الانصار يستعملـون اجهزة لاسلكية سهلة الحمل • كما ان الاشخاص الذين ينقلون الـى الارض المحتلة للقيام بمهمات خاصة ، كانوا مجهزين دوما بأجهزة للارسال وكان هؤلاء الاشخاص ، رجالا ونساء ، يهبطون بالمظلات او ينزلون على الشواطىء ، او يتسللون عبر الخطوط • وهناك فرد على الاقل من بـين كل مجموعة من هذه المجموعات الصغيرة ، عامل لاسلكي مدرب ، وكان يرسل برقياته مباشرة الى المصلحة التي يتبع لها • ومع ذلك ، ففي حـالة الفشل ، كان لديه امر بمحاولة الاتصال بأقرب عصابة • وفي بادىء الامر لم تكن معظم العصابات تملك اي جهاز لاسلكي ، ثم انزلت اجهزة لاسلكية بالمظلات لعدد من العصابات خلال عام ١٩٤٢ ، كما انزل بالمظلات عدد من عمال اللاسلكي ، وزودت وحدات اخرى باللاسلكي من قبل الحزب •

وكان الانصار يستخدمون الشيفرة عادة في نقل برقياتهم • وقـد سقطت بعض كلمات الشيفرة في يد الالمان ، فتمكنوا من ارسال برقيـات مزورة للانصار ، وتمكنوا من الدخول مع الروس بتماس صغير ، ولكـن الروس كانوا حذرين جدا في الاجابة بصورة مفتوحة • ومما لا شك فيه ان « الشيفرة » التي وقعت لم تكن كاملة وكان الالمان يجهلونها •

ولولا اللاسلكي ، لما كان نجاح الانصار كاملا ، ولولا الطيـران ، لخلقت لهم مشكلة التموين صعوبات لا يمكن التغلب عليها • وبالطبـع ، كان بامكان الانصار ان يتزودوا بكل ما يحتاجون اليه ، باغارات يقومون بها على مخازن العدو • ولكن عندما كان عليهم ان يقاتلوا ضد جيـش منظم ومجهز بصورة جيدة ، لم يكونوا في حالة يحسدون عليها ، لانهـم كانوا يرتبطون في هذه الحالة ارتباطا كبيرا بالتموين الـذي يأتيهم مـن الاراضي غير المحتلة من قبل الاعداء •

ولقد استفاد الانصار السوفييت من ميزة كبرى ، اذ انهم دخلـوا القتال بأعتدة كانت مخزنة • فقطعة من الانصار لا تستطيـع بسهولة ان تقاتل بقبضات ايديها ، وان تملىء مخازنها بما تستطيع الاستيلاء عليه من حراس منعزلين ، ومن الجنود المتخلفين الذين يسيرون ببطء خلف الارتال او من الالمان الفارين • وقد نجح عدد من الانصار مع ذلك في التزود بعتاد كثير عند دخولهم الحرب ، فقد وجدوا هذا السلاح فوق حقول المعـارك السابقة ، وهذا امر كبير الاهمية ، فعندما تراجع الجيش الاحمر ، تـرك كميات كبيرة من التموين لكتائب التدمير ، وعندما انتقلت هذه الكتـائب لتعمل مع العصابات ، كانت احتياجاتها الاولية مؤمنة بشكل جيـد • ان البلد الذي ينوي القيام بحرب من هذا النوع ، يجب ان يستفيد من هـذا الدرس : وعليه ان يعين ضباط الانصار عندما يحتل الجيش الارض التي يراد تنظيم العصابات فيها ، حتى ولو كان ذلك بغرض تسليمهم المـؤن الاولية • وفي حالة عدم تنظيم هذا الموضوع ، فان الانصار يجدون انفسهم في وضع سيء • ومن السهل فهم هذا الموضوع ، ذلك ان افضل القوات الجوية تجهيزا لا تتمكن من تموين العصابات بكميات كبيرة من العتـاد عند بدء تشكيلها ، في وقت لا يكون فيه تسليحها كافيا لتدافع عن نفسها •

وقد تكلمنا سابقا عن التسليح الطبيعـي للعصـابات • فباستثناء (مسدس رجل العصابات) توجد اسلحة من كل النماذج والانواع • ومع

ذلك ، فقد كان لدى العصابات عتاد تصنعه محليا لعمليات التخريب . ومن عادة الروس تغطية المتفجرات بنوع من الغراء ، وتمريغ المتفجرات في الفحم الناعم المسحوق ، ووضعها بين اكداس المحروقات من هذا النوع .

وها هي بعض الحيل المتبعة من قبل الانصار . ان مؤلف هذه الوسائل هو شيانغ ــ بو ــ لي :

« وضع السكر في خزان البنزين : يذوب السكر في المحروقات ، ويسبب ترسب الفحم في الاسطوانات فتتوقف الالية وتتعطل . ولا يمكن اكتشاف وجود السكر في الوقود من قبل الاعداء . وعندما تلاحظ الطائرة او الدبابة ذلك ، يكون الوقت قد فات .

« من الممكن استخدام الفحم بتدمير منشآت صناعية ، ولهذا يحفر المخربون قطعة ضخمة من الفحم ويملؤونها بالمتفجرات ، فعندما تدخل قطعة الفحم هذه في مرجل مصنع او باخرة ، تحدث الكارثة بعد لحظات »

« وهناك وسائل فعالة اخرى اتبعها المقاتلون السريون كالرصاص الحارق ، والمواد الكيميائية المخصصة لحرق تموين العدو او جعله غير صالح للاستعمال ، والمتفجرات القوية التي تتخذ شكلا من السهل استخدامه ، هي ايضا التسليح الرئيسي المستعمل في عمليات التخريب » .

وقد سئل الفيلد مارشال فون مانشتاين ، خلال محاكمته امام المحكمة العسكرية ، سئل من قبل رئيس المحكمة الجنرال السير فرانك سامبسون ــ عن مسألة تموين الانصار :

الرئيس : والان ان السؤال الذي ارغب في توجيهه اليك يتعلق بتصريح ادليت به هذا الصباح حول موضوع تنظيم وحدات الانصار . فقد قلت ان مخازن هامة نظمت للعصابات مسبقا ، اي قبل اشتراك هذه الوحدات في القتال ، وقد قلت لنا ، بالرغم من اننا لم نطرح عليك اي سؤال حول هذا الموضوع ، ان هذه المستودعات ، كانت تزود بالعتاد من آن لآخر بعد قيام الانصار باغارات على المستودعات الالمانية . هل تريد

الان ان تقول لنا ، ما هي المعلومات التي حصلت عليها عن اهمية محتويات هذه المستودعات الكبرى وهذه المخازن ؟

الفيلد مارشال فون مانشتاين : لا اعتقد اني تكلمت عن مستودعات كبرى • بل تكلمت عن مخازن كثيرة • وقد استولينا على بعضها فوجدنا فيها ذخائر ومؤن ومتفجرات • ويبدو ان هذه المخازن كانت تجهز من الاغارات التي كان الانصار يشنونها في المنطقة كلها •

الرئيس : كان لا بد لهم من وقت غير قصير ، كي يشكلوا هذه المخازن الهامة •

الفيلد مارشال فون مانشتاين : نعم ولهذا فانني أظن ان هذه الحرب قد اعدت قبل وصولنا الى القرم • واني ارى ان السوفييت قد قضوا ما لا يقل عن شهرين لتحضير ذلك لاننا وصلنا شمال هذا البلد قبل شهرين تقريبا ، ولا بد ان السوفييت عرفوا اننا سنخترقه •

الرئيس : اشكرك ، لقد اجبت على سؤالي بشكل جيد • فقد كانت ارغب ، في الواقع ، معرفة القيمة التقريبية للمستودعات والوقت الضروري لتشكيلها • وانا الان على علم تام بهذه النقطة » •

وليس من السهل اعطاء معلومات صحيحة عن هذه المخازن • وفي هذا الوقت ، كان انطباع الفيلدمارشال فون مانشتاين ان هذه المستودعات تمون مجموعات من ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ جنديا ، الا ان بعضها كان يستطيع مع ذلك تلبية احتياجات مائة او عدة مئات من الانصار • ولقد كان من المستحيل الحصول على معلومات دقيقة عن قيمة المستودعات الاولية التي تركها الجيش الاحمر خلفه ، ولكن من المهم ان نستخلص من هذه الوقائع الدرس التالي : قبل الشروع في حرب الانصار من الضروري انشاء مستودعات لها • وكلما انتشرت هذه المخازن كانت قيمتها اكبر ، ووجود مستودعات كثيرة ، يضع امام الانصار فرصا اكبر واسرع للنجاح في مشروعاتهم الاولية • وبهذا الشكل يتمكنون من استثمار اثر المفاجأة ،

وهو عنصر اساسي من عناصر عملياتهم .

وقد اكتشف الالمان مخازن في اقبية المصانع ، والبيوت المنعزلة ، والانفاق ، والغابات ، والقبور المهجورة في المقابر واجراس الكنائس والمعابد .

وقد تكلمنا قبل ذلك عن الاغارات التي جرت للحصول على مؤن . وقد نفذ عدد لا بأس به من هذه الاغارات على مستودعات العدو ، الا ان الانصار كانوا يفضلون نهب مستودعات قراهم للحصول على المؤن . « كانوا عادة يخرجون من مخابئهم او من المناطق التي كانوا يحتلونها لغزو قرى تقع خارج مدى عملهم الطبيعي ، وقتل المخاتير المعينين من قبل الالمان والمتعاونين معهم ، وجنود الحرس الوطني ، والمدنيين المتصلين بالعدو . وكانوا يوزعون المواشي والقمح على المواطنين الذين يساعدونهم بارادتهم او رغما عنهم . وكان يحدث ايضا ان يمون السكان المحليون ، بقيادة (المختار) الانصار بارادتهم . ومن ناحية اخرى كانت تصلهم ايضا مواد مختلفة من تنظيمات الحزب السرية ، ومن وحدات المموئين .

وقد نقل الطيران الاحمر جميع انواع العتاد ، او اسقطه بالمظلات . وكان يقوم احيانا بنقل رشاشات او هاونات جديدة ، واجهزة لاسلكية ، وبطاريات كهربائية ، وعبوات واعتدة لازمة للاستخبارات ، ومؤن ، وكانت الطائرات تنقل غالبا شخصيات هامة من موسكو . وعملت مصلحة النقل الجوي بصورة فعالة جدا اعتبارا من (نيسان) ١٩٤٢ ثم توسع نشاطها وتزايد فيما بعد . وهبط عدد كبير من الطائرات في المنطقة المحتلة . وبهذا الشكل تم نقل عصابات من الانصار الى مطارات صغيرة مرتجلة .

ان هذا النوع من الجسر الجوي معروف لدينا تماما ، وليس من المجدي ان ندرس هذا الموضوع بعمق . فخلال الحرب الاخيرة نظم الحلفاء الغربيون مصلحة خاصة من هذا النوع ، وفيما بعد ، شكل الامريكيون فصيلة عمليات خاصة مرتبطة بمكتبهم للخدمات الاستراتيجية

واصبح بذلك من الممكن اسقاط الاف من اطنان الاسلحة والمتفجرات بالمظلات في فرنسا لمساعدة رجال المقاومة السرية هناك ، وفي مناطق اخرى ايضا • الا ان طريقة العمل هذه ليست بالبساطة التي تبدو فيها • فلكي تنظم عمليات نقل من هذا النوع ، من الضروري وجود معدات متعددة ومعقدة بالاضافة الى اللاسلكي والشيفرة واشارات التعارف • ويبدو ان العصابات السوفييتية استخدمت بصورة خاصة اللاسلكي باتجاه واحد كما استعملت الاشارات المضيئة والنيران •

وقد وصلنا الان الى اهم نقطة في تنظيم العصابات الحمراء ، وهي تعاونها مع الجيش • لقد قال ماوتسي تونج كلمته المشهورة : ان الجيش والانصار ذراعا جسم واحد ، واذا لم تنسق حركاتهما ، فليس من المستطاع قيامهما بأي عمل صعب » •

ولقد رأينا ، كيف كانت العصابات توجه من قبل الحزب الشيوعي، كما كان الجنود يقاتلون ضمن اطار الجيش الاحمر • وكان على رأس الجيش والانصار ، على اعلى مستوى ، لجنة الدفاع الوطني التي كانت موضوعة بين يديها كل مقاليد الدولة • وكان ستالين آنذاك مفوض الشعب للدفاع ، ويرتبط به تسلسلان مختلفان : تسلسل الانصار في الارض المحتلة ، وتسلسل الجيش في الارض الحرة • فالارتباط بين الجيش والانصار يتم اذن على مستوى عال ، وكانت الخطط توضع من هيئة الاركان العامة المشتركة •

ومع ذلك ، اذا رغب الجيش قيام مفرزة من الانصار بمهمة من المهمات ، فهو لا يحتاج الى وسيط يربطه مع الانصار • فكل مفرزة مهما كانت اهميتها على اتصال لاسلكي يومي مع هيئة الاركان العامة للجيش الاحمر ، ومنه كانت تتلقى الاوامر • وبالاضافة الى ذلك ، كانت وحدات الجيش على ارتباط مع مقارز الانصار العاملة في منطقتها ، وتعطيها الاوامر مباشرة • وكثيرا ما كان يحدث هذا بين الجيش والانصار العاملين على

مقربة من الجبهة . فمفارز الانصار وبخاصة المفارز التي كانت تعمل بقرب الخطوط ، ترتبط ارتباطا وثيقا مع الجيش اكثر من ارتباطها مع قيادتها . وكانت الاوامر الصادرة من قبل الجيش محددة ودقيقة جدا . فقد كان الجيش يحدد مثلا للعصابات النقاط الدقيقة التي ينبغي عليها الوصول اليها ، كما كان يعطيها خطة كاملة للتشتيت ، في خطوطها الكبرى . او يطلب اليها ضرب نقطة معينة او مهاجمة سجن او معسكر اعتقال ، تاركا المبادرة في هذا النوع من العمليات للانصار .

ونستطيع القول ، كقاعدة عامة ان الجيش الاحمر لم يشتبك بأي قتال بهدف مساعدة العصابات . وبالطبع كان الجنود المنعزلون ، والاسرى الفارون ، والمظليون العسكريون ، يلتحقون بالعصابات ، الا اننا لا نجد ابدا في الملفات ما يجعلنا نعتقد ان الجيش السوفييتي قد خطط عمليات لصالح الانصار ، او لدعمهم في اتمام مهماتهم . وفي العمليات المنفذة بالتعاون مع القوات المسلحة ، اعتبر الانصار دوما كقوة مساعدة للقوات المسلحة . ولم يقم الجيش النظامي بأية عملية من عمليات الانصار وراء الخطوط الالمانية الا في المناطق المحرومة من العصابات .

واسباب ذلك طبيعية . فقد كانت حركة المقاومة قوية بشكل يجعلها قادرة على ان تقوم لوحدها بالمهمات المكلفة بها ، وخاصة عندما تقدمت الجيوش السوفياتية ، بعد ستالينجراد دون توقف .

وقد اشرنا في الفصول السابقة الى عدة امثلة للعمل المشترك بين الانصار والجيش . فقد كانت هناك في بادىء الامر كتائب التدمير وهي نواة مفارز الانصار ، التي جهزها الجيش وعززها بالرجال والسلاح والتجهيزات من كل نوع . ورأينا ايضا كيف كان الجيش والعصابات يعملان بالارتباط في بعض مهمات الاستعلامات . وفي كثير من الحالات وعلى طول شواطيء القرم بصورة خاصة ، تلقى الانصار اوامر محددة لارشاد المراكب الروسية الى شواطىء الانزال باشارات ضوئية .

واستخدمت الاشارات الضوئية ايضا من قبل الجيش لاخطار مفارز الانصار • وفي هذه الحالات ، قبل الهجوم مثلا ، يعتبر قذف الصواريخ الزرقاء الاشارة التي ينتظرها الانصار ليتدخلوا في المعركة ولينفذوا عمليات التدمير وليسببوا الفوضى في صفوف العدو •

لقد قدمنا قبل الان عملية مشتركة ، هي انزال جوباتوريا حيث قاتل الانصار الى جانب الجيش الاحمر •• وامام موسكو ، في عام ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ ، ضرب الانصار بصورة منظمة كل اجهزة الاشارة خلف الخطوط الالمانية ، بينما كان الجيش الروسي يهيىء اختراقه لها •

« ومن الممكن ان يكون ابرز مثل للتعاون التكتيكي بين الانصار والجيش ، اثناء المعركة الحاسمة في الحرب ، عندما خرق الروس المواقع الالمانية في منطقة بوبرويسك ــ فيتبسك ، في نهاية (حزيران) ١٩٤٤ • وقبل الهجوم قام الانصار بتدخلات مستمرة على مؤخرات الالمان ، فضعفت من جراء ذلك المواقع الوسطى في الجبهة الالمانية •

وكانت هناك مناطق واسعة بين يدي الانصار ، فقد الالمان كل سيطرة عليها • وقد اصبح الانصار ايضا اكثر نشاطا وفاعلية في الاسابيع التي سبقت الهجوم العام للسوفييت • فهوجمت مواقع استناد المانية وقطعت المواصلات الهاتفية ، ولغمت الطرق ، ودمرت قطارات وقوافل التموين •

« وفي ٢٠ (حزيران) ١٩٤٤ ، التقطت برقية صادرة من موسكو تأمر وحدات الانصار بزيادة حدة اعمالهم دون الاهتمام بما قد يصيب المدنيين•

« واثناء الليل الذي سبق الانقضاض ، قام الانصار بأكثر من عشرة الاف اغارة على طرق التموين والمواصلات التلفونية واللاسلكية العدوة ، فشلوا بأعمالهم هذه القيادة ، ثم ضربت الوحدات المدرعة الروسية هذه الجبهة بعد ان اضعفها الانصار ، واطبقت على شمال وجنوب الطريق الكبير مينسك ــ موجيليف ، وتابعت تقدمها وهي تدخل مناطق نشاط الانصار منطقة اثر منطقة •• وقد تعرضت القطعات الالمانية لخسائر كبيرة

اثناء انسحابها ، لانها كانت تقع دوما فوق اعشاش متتابعة للانصار » .

ومن الممكن الاسهاب في لائحة هذه العمليات المشتركة ، التي كانت متماثلة ، فقد كان الانصار يشتبكون في القتال بغية السماح للجيش ببلوغ اهدافه الاستراتيجية . والواقع يجب ان يدرس هذا التعاون مع اخذ هذا الاحتمال بعين الاعتبار .

لقد كان الهدف الاستراتيجي للجيش الاحمر ، ككل الجيوش في الميدان ، هو القضاء على القوات العدوة . وقد تلقت حركة المقاومة مهمة مساعدة الجيش لبلوغ هدفه بالتدخل على المؤخرات المعادية . ومن هذه الزاوية يتضمن تنفيذ هذه المهمة مرحلتين اختلفت فيهما درجة وطابع التعاون بين الانصار والجيش الاحمر ويمكن تعيين هاتين المرحلتين كمايلي:

١ ـ مرحلة انسحاب الجيش السوفييتي .

٢ ـ مرحلة ثبات الجبهة وتقدم الجيش الروسية الى الامام .

ولم يكن هناك فرق واضح بين فترات التراجع والتقدم . فقد كان هناك دوما هجمات مضادة من كلا الطرفين ، سوى ان كل ذلك لا يغير ابدا المبدأ العام ، الذي يشغلنا نحن . فقد كان التعاون اثناء الانسحاب بين الجيش والانصار مرنا جدا . وقد نخطيء لو عزينا هذا الى انه كان على حركات المقاومة في باديء الامر ان تتشكل وان تقيم اتصالها ببطء بعد عدة عمليات جس واخطاء متعددة . فلقد كان لهذه العوامل بالطبع اهميتها الا انها كانت محدودة جدا ، وبخاصة خلال النصف الثاني من عام ١٩٤٢ والسبب الحقيقي لهذه المرونة هو : ان الفرص التي تتاح للعصابات لمساعدة جيوشها المنسحبة ، اثناء انسحاب طويل ، فرص نادرة. لذا تكون المهمات التي تتلقاها مهمات عامة .. ان عليها ان تبطيء تقدم العدو في كل مكان وبكل الوسائل ، واثناء قتال الجيش تراجعيا ، يبقى الانصار في المؤخرة ، فالذين كانوا بتماس مع جيوشهم اليوم ، يصبحون غدا منفصلين عن ميادين العمليات بعديد من الكيلومترات . ففي هذه

الشروط يكون التعاون مفقودا . ويستهدف اهدافا عامة (فيما عدا التعاون الذي يهدف الى الوصول الى المعلومات) .

الا ان الشروط لم تكن دوما متشابهة ، فعندما نجح الجيش الاحمر في تثبيت جبهته وانتقل الى الهجوم واستعاد المبادرة ، كان باستطاعة العصابات ان تتهيأ لمهاجمة مؤخرات العدو ، في اللحظة التي يتهيأ فيها الجيش الاحمر لمهاجمته وجها لوجه في الجبهة . وكان الجيش الاحمر المهاجم قادرا على ان يعطي للعصابات مهمات خاصة في امكنة محددة جيدا وفي اوقات معينة . فحيثما كان هناك اعداد للاختراق كان بامكان العصابات ايضا ان تنتقل الى تنفيذ بعض الاعمال : كاستطلاع مواقع العدو أو قطع بعض طرقه الاستراتيجية ، او احتلال ممرات اجبارية على انهار صغرى او كبرى ، وتطهير القطاعات التي كانت تستعد الجيوش لدخولها والقيام بعمليات التشتيت في المنطقة الامامية الخ ... ويصبح التعاون اثناء هذه المرحلة الثانية اكثر توثقا وافضل تحديدا .

ويتطور تكتيك حرب الانصار ، كما تتطور الحرب نفسها ، الا انه يظهر ان الاطار الذي تطور ضمنه تنظيم العصابات السوفييتية توقف بوضوح برغم التحسينات المتعددة التي كان من الممكن اجراؤها عليه . ولهذا قمنا بسرد تفصيلي لهذا الاطار التنظيمي ضمن الحدود التي اتاحتها لنا الوثائق الصالحة للاستخدام .

فالتنظيم السري السوفييتي موجود ،
وقد وضع هذا التنظيم موضع الاختبار ،
وهذا التنظيم جاهز للقتال .

ان تنظيم حركة من حركات المقاومة لا يعتبر هاما جدا لنجاح هذه الحركة فحسب ، بل ان الوضع الشرعي للعصابات يرتبط به ايضا . ولاول وهلة يبدو اننا نعالج هنا موضوعا خصبا قليل الجاذبية . الا انه مع ذلك موضوع انساني في اعلى درجات الانسانية .

فطريقة معاملة الاسرى من الانصار متعلقة بنموذج التنظيم المختار . وهنا يجب معرفة ما اذا كان الانصـار الاسرى سيعاملون كأسرى حرب ، ام انهم سيعدمون بالرصاص ، كالجنود غير النظاميين

ونستطيع القول ، اولا : ان الوضع الشرعي للعصابات ليس ظاهرا جـدا ولكن عدم وضوحه لن يبعدنا عن مناقشته ، فاذا انطلقنا من احكام قضى بها في مشاكل جرائم الحرب ، امكننا التأكيد بأن الانجليز والامريكيـين والهولنديين متفقون على المبادىء الاساسية .

١ ـ المظاهر العامة للمسالة :

لا تعتبر نشاطات العصابات انتهاكا لقواعد اتفاقية لاهاي عن الحرب البرية ، ولكن اذا لم يخضع الانصار لهذه القواعد ، يحرمون من الحماية التي تتيحها لهم هذه الاتفاقية . وهكذا يكون الانصار اعداء شرعيين او لا يكونون . فان تصرفوا بشكل غير شرعي اعتبرهم العـدو مـن الناحيـة القانونية كالجنود غير النظاميين ، والقواعد المتعلقة بذلك موجودة فـي المادة الاولى من اتفاقية لاهاي التي تشترط ما يلي :

« لا تنطبق القوانين والحقوق والواجبـات زمن الحـرب ، علـى الجيوش فحسب بل تنطبق ايضا على المليشيا وعلى وحدات المتطوعين التي تتوفر فيها الشروط التالية :

« (١) ان يقودها قائد مسؤول عن مرؤوسيه .

« (ب) ان يحمل افرادها اشارة ثابتة مميزة يمكـن التعرف عليهـا عن بعـد .

« (ج) ان تحمل السلاح بصورة ظاهرة .

« (د) ان تقود العمليات تبعا لقوانين الحرب وتقاليدها .

فاذا تقيد الانصار بهذه الشروط الاربعة ، اعتبروا اعـداء شرعيين ، وعوملوا كمقاتلين للبلد الذي يعملون لحسابه ، وفي حالة الاسر ، يكونون محميين بوضع اسرى الحرب » .

ولقد كان الانصار الروس لا يقبلون حمل الشارة المميزة المطلوبة ، او حمل الاسلحة بصورة ظاهرة • ويبدو انهم امتنعوا عمدا عن تطبيق هذه الاتفاقية لحماية انفسهم • وبتخليهم عن حقوقهم في الحماية بعد الاسر ، كانا يزيدون من فاعليتهم في القتال •

وهناك تصريحان يوضحان هذا الرأي • فقد عبر الفيلد مارشال كوشلر عن وجهة النظر الالمانية بالشكل التالي : « ان هذا النوع من الحرب ، نوع خاص لان من الممكن التعرف على الجندي الالماني بسهولة بينما لم يكن التعرف على الانصار سهلا ، لانهم كانوا يرتدون ثيابا مدنية» وها هي المسألة كما يراها الجانب الروسي : « ان القوات الالمانية عاجزة عن السير بأمان فكل دغل هادىء مسالم ، قد يخفي بين اوراقه واغصانه رشاشا، وكل فلاحة شابة ساذجة قد تحمل او تنقل قنبلة يدوية في سلتها»

وتنطبق حيثيات حكم المحكمة العسكرية في القضية التي سميت قضية الجنوب الشرقي على الانصار السوفييت ايضا : « انهم لم يكونوا يلبسون بزة رسمية • بل كانوا يلبسون بصورة عامة البسة مدنية ، وقطعا من البزات الالمانية الرسمية احيانا ، وبزات ايطالية وصربية • وكانت النجمة السوفييتية هي شارتهم الوحيدة ، سوى اننا لا يمكن ان نقول انها منظورة عن بعد • ولم يكونوا يحملون سلاحهم بصورة مكشوفة الا عندما كانوا يجدون في ذلك ميزة من الميزات • ولا يمكن القول ان العصابات التي كنا نجابهها ، كانت تنفذ شروط العداوة الشرعية • وهذا يعني بالطبع ان الافراد المأسورين من هذه المجموعات غير الشرعية لا تستطيع المطالبة بتطبيق وضع اسرى الحرب عليها • فلا يمكن توجيه تهمة الجريمة للمتهمين لقضائهم على افراد قوات الانصار الاسرى ، لانهم كانوا من الجنود غير النظاميين » •

ولقد صدر حكم آخر يثبت ان هؤلاء الرجال « من المحتمل الحكم عليهم بالموت اذا ثبت انهم مسؤولون عن المخالفة التي اتهموا بها » ومن

الممكن في كل الاحوال مناقشة نوع الدليل الواجب تقديمه لتثبيت هـذه المسؤولية : اي لكي يمكن معاملة الاسير من الانصار كجندي غير نظامي ان البريطانيين والامريكيين ليسوا متفقين في الرأي حول هـذه النقطة . فالامريكيون « يشككون في الزام القانون الدولي احالة المتهمين امـام محكمة » ، بينما يرى الانجليز ان حكم المحكمة ضروري . وقد قدم هذا الرأي في خلاصة قضية فون مانشتاين امام المحكمـة العسكرية : وهـي خلاصة اوردها جستس كولنجوود بالشكل التالي :

« ان اشتباك الروس في حرب العصابات على نطاق هائل امر طبيعي. وان التهديد المستمر الذي شكلته هذه الحرب للقوات الالمانية ظاهر ايضا كل الظهور .

« ان اي شخص مقتنع بأنه عمل كجندي غير نظامـي ، لا يقدر ان يطالب بمعاملته طبقا لمعاملة اسرى الحرب . ولكن هذا يفترض مسبقا ان المعنى بالامر قد مثل امام المحكمة كما هي الحالة بالنسبة للجواسيس .

ولا يمكن قبول جواب الجنرال ليست عندما قال : انه لم يكن هناك وقت لجمع المحاكم . اذ لا يمكن اهمال احتـرام قوانين الحـرب لمجرد انها تزعجنـا » .

ويجب ان نضيف ايضا ان الالمان انفسهم يشاركون البريطانيين رأيهم فكل الجنود الالمان يملكون « الوصايا العشر للجندي في الميدان » وتقول ثالث هذه الوصايا : « لا يجب قتل الخصوم الذين يستسلمون حتى ولـو كانوا انصارا او جواسيسا بـل ينبغي ان ينالـوا جزاءهم العـادل فـي محكمة عادلة » .

ومع هذا ، فقد اعدم الالمان رميـا بالرصـاص في روسيا ، جميـع الاشخاص الذين اشتبهوا بأنهم انصار « دون محاكمة » . وهذا عمل غير شرعي .

وكان الالمان في روسيا يميزون بـين ثلاثة انـواع مـن الانصار :

المشبوهون ، والموالون ، والانصار انفسهم . وسنورد فيما يلي القواعد الشرعية التي يمكن تطبيقها على هذه الانواع الثلاثة :

(ا) الاشخاص المشبوهون : ان اعدام شخص مشتبه به رميا بالرصاص لمجرد الاشتباه بأنه من الانصار عمل غير شرعي « فالاشتباه هي حالة ذهنية للمدعي ، وليست حالة ذهنية او عملا من اعمال المتهم . ومن الامور الرهيبة الفوضوية ان تكون حالة المدعي الذهنية هي العامل النهائي في الحكم على المتهم رغم عدم وجود جرم مشهود ، وخاصة اذا كان الحكم يؤدي الى اعدام المتهم » .

(ب) الموالون (او المتعاطفون) : ان اعدام الموالين عمل غير شرعي، عندما لا يقومون بعمل يضعهم في عداد الجنود غير النظاميين ، ولكن الالمان اعدموا فتاة عمرها ١٩ عاما لانها كتبت اغنية معادية لهم ... اما اذا ثبت بالدليل القاطع ان نشاطهم ساعد الانصار وساندهم او انهم اشتركوا معهم بعملية من العمليات ، فان تنفيذ حكم الاعدام بهم شرعي . وهنا لا بد من المثول امام المحكمة ، وصدور حكم الاعدام .

(ج) الانصار : — لقد كان من عادة القيادة الالمانية ان تفرق بين عدة انواع من الانصار ، وان تعرف كل نوع من الاوامر والتوجيهات . وبهذه الطريقة اضافت اسم كل الاشخاص الذين تعتبرهم مشبوهين الى قوائمها ولم يكن الالمان يكتفون باعدام الجنود غير النظاميين شنقا او رميا بالرصاص ، بل كانوا يقومون باعدام اشخاص آخرين بدون سبب وجيه غير السبب الذي ابداه هتلر عندما اصدر امره التالي : « تخلصوا من كل الاشخاص المعادين » .

واثناء مؤتمر عقد في فارسوفيا ، في ١١ (حزيران) ١٩٤١ ، اعطى الجنرال موللر التعليمات التالية للمحكمة العسكرية التابعة للقوات المسلحة « ينبغي ان يعتبر كل مدني يزعج او يشجع الاخرين على ازعاج القوات المسلحة الالمانية ، رجلا من رجال الانصار ، ويشمل هذا الامر المحرضين،

وموزعي المنشورات ، والاشخاص الذين لا يحترمون الاوامر المعطاة ، ومشعلي الحرائق ، والاشخاص الذين يخربون العلامات على الطرق . والذين يهاجمون قوافل التموين او مستودعاته الخ ... » وكان الجيش الحادي عشر الالماني يعتبر جنود الجيش الاحمر كالانصار . وقد اوصى بما يلي : « ان الجنود الروس ووحدات الجنود التي تختبيء بعد القتال ، لتجتمع من جديد فيما بعد « حاملة » السلاح وتهاجم مواصلاتنا بديهتها الخاصة ، ان هؤلاء الجنود سيعاملون كجنود غير نظاميين » . وهكذا شمل تعبير الانصار كل الجنود ، والوحدات العسكرية وجماعات المدنيين المشتبكين في نشاطات سرية ، على المؤخرات (الهجوم على آليات منعزلة ، وعلى المعسكرات ، او الجسور ، الخ ..)

ووفقا لرأي القيادة العليا للحلفاء التي تعبر عن الرأي العام حول هذا الموضوع فان من غير الشرعي اعدام الافراد الذين ينتمون الى النماذج التالية ، والذين تضعهم الاوامر الالمانية مع الانصار :

١ ـ جنود وحدات الجيش الاحمر التي تتابع القتال وراء خطوط العدو .

٢ ـ الجنود ببزاتهم العسكرية ، والتابعون الى الجيش الاحمر والذين انضموا الى الانصار .

٣ ـ المدنيون الذين يزعجون او يشجعون الاخرين على ازعاج القوات المسلحة الالمانية « لا تسمح قوانين الحرب ولا القوانين الدولية بمعاملة مثل هؤلاء الاشخاص كجنود غير نظاميين او انصار ، او عصابات »

٢ ـ التمرد العام :

لا تعطي اتفاقية لاهاي حمايتها فقط للانصار بل تمنحها ايضا للمدنيين الذين يشتركون بثورة عامة . وتقول المادة الثانية من اتفاقية لاهاي مايلي :

« ان اهالي ارض غير محتلة يحملون السلاح فورا لمقاومة الغزاة عند اقترابهم من مناطقهم ، دون ان يتاح لهم الوقت لتنظيم انفسهم وفقا

للشروط المذكورة في المادة الاولى ، يعتبرون اعداء شرعيين ، اذا حملـوا السلاح بشكل مكشوف ، واحترموا قوانين الحرب وتقاليدها » .

ان المواطنين السوفييت لم يحملوا السلاح ابدا بشكل ظاهر لـذا ، فلسنا بحاجة للمناقشة كثيرا حول هذا الموضوع ، ولكننا نؤكد مرة اخرى ان لهؤلاء المواطنين المأسورين ، قبل اعدامهم كامل الحـق بالمثول امـام المحـاكم .

ومن المعروف ان الانصار السوفييت الذين تجاهلوا حماية اتفـاقية لاهاي لهم لم يكونوا يتوقعون الرحمة من خصومهم .

الفَصْل الرابع

المهمات التكتيكية للأنصار السوفييت

اوجز الجنرال بونومارنكو ، رئيس الاركان العامة للانصار ، المهمات التكتيكية للانصار السوفييت على الشكل التالي :

« لقد بدأ الانصار السوفييت بتشكيل وحدات لرجال العصابات وجماعات للتخريب . عند مطلع الحرب الوطنية الكبرى ردا على النداء الذي وجهه اليهم جوزيف ستالين ... وكانت مهمتهم العمل ضد القطعات المعادية ، وتجميد الطرق ، وقطع المواصلات الهاتفية واللاسلكية ، وتخريب المخازن والمستودعات ، ووضع العدو وشركاءه من المتعاونين في اوضاع لا يحسدون عليها ، وازعاجهم بصورة دائمة ، والقضاء عليهم قضاء تاما ومقاومة كل التدابير التي قد يضطرون الى اتخاذها » .

ويجب علينا هنا اعطاء بعض التفسيرات كي نفهم جيدا « المهمات التكتيكية » للانصار . فعندما كان الانصار يقاتلون في المنطقة المحايدة Uo Man's Land لم تكن النتائج التي حصلوا عليها نتائج هامة . فلم يكن امامهم في الواقع اي هدف للهجوم عليه ، سوى عدو كان قد تورط فعلا في القتال . وهذا النوع من المهمات هو من مهمات الجيش . وليس من عمل الانصار القيام بمثل هذا الدور ، كما ان تجهيزهم لا يسمح لهم

بذلك . ولقد ذكر ستالين ذلك في امره الذي اصدره في (١) أيار ١٩٤٢ ، عندما قال : « ان الارض المناسبة للانصار هي مؤخرات العدو » .

وينتج عن ذلك ان غزو الارض واحتلالها ليست مهمة من مهمات الانصار . والواقع ان الانصار لم يقاتلوا للاحتفاظ بالارض ، الا عندما كان عليهم يهيئوا بعض المواقع للجيش الاحمر . فمهمتهم الاساسية هي ارباك العدو بمهاجمته دون توقف ؛ والتعرض للاقسام الحساسة من تشكيلاته وترتيبه . وقد رأينا ان رأي ماوتسي تونج متفق مع هذا الرأي وهو في ذلك محق جدا .

ويقول كارل ماركس : يجب على الانصار ان يمارسوا تكتيكا يسمح « لقوة ضعيفة بالتغلب على خصم اقوى واكثر تنظيما » . ولهذا من الواجب ان يتجنب الانصار العدو في كل مكان يتفوق فيه . ولقد طبق ماوتسي تونج هذه القاعدة في الصين بكل نجاح .

وتوصل ماو من هذه القاعدة الاستنتاج التالي : ينبغي ان يشن هجوم الانصار بالمفاجأة . وان ينفذ بسرعة قبل ان يتاح للعدو الوقت لجلب قوات متفوقة ، وعلى الانصار ان ينسحبوا بسرعة ، عندما ينفذون ضربتهم . والقاعدة الاساسية هي البقاء بتماس مع العدو اقل وقت ممكن . ان التكتيك الذي كان يعلمه الكولونيل لورانس لجيشه العربي، صالح ايضا ، وعلى كل وحدة من وحدات الانصار ان تطبقه . ويتضمن هذا التكتيك « استخدام الاعداد الصغيرة ، في ابعد مكان ممكن ، وبعيدا جدا ، وراء الخطوط » ولا ينبغي ان يترك للخصم الوقت لاعادة تماسكه.

وعلى قائد الانصار ان يختار اهدافه بعناية ، على ان تكون اهدافا هامة ، ثم يختار بعد ذلك اكثر الاهداف حساسية للخطر .

ولهذا يحتاج هذا القائد الى جهاز استخبارات ممتاز . ويتعلق نجاح مشروعاته حقا بقيمة جهاز استخباراته . ويجب ان يحقق هذا الجهاز ، لدى الانصار ، هدفين : على القائد ان يعرف ماذا يجري لدى العدو :

« فقد كان القائد يعرف كل ما كان ينوي الالمان القيام به ضده ، وبفضل ذلك ، كان قادرا على تغيير ترتيبه او اتخاذ التدابير اللازمة في الوقت المناسب » ولا بد ان يعرف القائد كل ما هو ضروري لنجاح عملياته • فليس من المستحسن القيام باغارة ضد مخزن معاد اذا كان هذا المخزن فارغا ، او تخريب خط حديدي اذا كان القطار المقبل قطارا مدنيا •

الا ان كل الاهداف الهامة والحساسة ليست اهدافا للانصار • فلنفترض ان جهاز استخبارات لوحدة من وحدات الانصار اكتشف ان جسرا للخط الحديدي لا يحرس من قبل العدو حراسة كافية ، وان ثلاثة قطارات للقوات بالاضافة الى عدد كبير من قطارات التموين تمر فوقه كل ليلة ، وان المعلومات تقول ان مهاجمة هذا الجسر ممكنة مع كل فرص النجاح ، في لحظة تبديل الحرس ، في الساعة ٢٠،٠٠ • فمن الممكن ان يكون هذا الجسر هدفا لهجوم يقوم به رجال المظلات التابعون للجيش في الليلة نفسها • فاذا لم يتم تنسيق عملية التخريب ولم يتفق عليها ، أدت الى ازعاج قطعاتنا اكثر من ازعاج العدو • وان سكون الانصار بناء على خطة مدروسة قد يشكل احيانا مساهمة حيوية في انتصار قوات الجيش النظامي •

وهناك مثال معروف لوجهة النظر هذه ، اعطاه الانصار انفسهم في ربيع عام ١٩٤٤ ، فحتى هذا التاريخ ، كان الانصار يبذلون نشاطا هائلا في المنطقة المحتلة من قبل مجموعة جيوش الوسط الالمانية ، التي كانوا يدمرون باستمرار شبكتها الحديدية • وفي الفترة الكائنة بين (تموز) (تشرين الاول) ١٩٤٣ ، هاجموا ٤٨٠٠ مرة تقريبا السكك الحديدية ، وعطلوا ١٢٠٠ قاطرة ، وفي (تشرين الاول) دمروا ٤٧ جسرا واخرجوا ٢٨٥ قطارا عن سكته • وتابع الانصار ايقاع عملهم بهذه السرعة حتى الربيع • في هذا الوقت توقف نشاطهم فجأة • فما السبب ؟ كانت جبهة مجموعة جيوش الوسط الالمانية تتمتع بخط متعرج • وكانت هذه الجبهة

تشكل بمجموعها نقطة استفهام ضخمة ذات رأس كبير • وبعمليات تشتيتية ذكية اعطى الجيش الاحمر انطباعا عن استعداده لمهاجمة الجزء الجنوبي من الجبهة الالمانية • وبهذا الشكل دفعت مجموعة الجيوش الالمانية ، في هذا الاتجاه ، بكل قواتها الاحتياطية التعبوية ، وبعض وحدات سحبت من الشمال والجنوب لتعزيز مكان الهجوم المنتظر • وقد استخدمت هذه الوحدات في جميع حركاتها الخط الحديدي الوحيد الذي كانت تملكه : اورشا ــ برست المار بمينسك • فأوقف الانصار الذين اعتادوا مهاجمة هذا الخط كل عملياتهم ، ولم يهاجموا القطارات الا نادراء وكان الجيش الاحمر في الواقع يرغب في ان يقوم الالمان بتنفيذ هذه التحركات بهدوء فأعطى اوامره للانصار بالتزام الهدوء ، وعدم اعتراضهم وعند وصول النجدات الالمانية الى الجنوب ، هاجم كبد الجيش الروسي في الشمال ، بشكل مفاجيء • وعندما اضطر الالمان لاعادة النجدات الى الشمال لمساندة الجبهة المتداعية ، قام الانصار بقطع كل حركة النقل ، تنفيذا لامر صدر اليهم من قيادة الجيش الروسي من جديد ، وقاموا بتخريبات شاملة لم يعرف لها مثيل من قبل • وهكذا انهارت مجموعة جيوش الوسط ، نظرا لنقص القوات وانقطاع النجدات » •

فعند انتقاء الاهداف ، لا بد لقائد العصابات ان يضع ترتيبا لافضلية الاهداف ، فهناك في المقام الاول العمليات التي تستهدف الحصول على السلاح والتجهيزات والمؤن لعصابته ، وبدونها لا يستطيع عمل اي شيء • وقد اعطى الجيش الاحمر ايضا لانصاره مهمات خاصة تنفذ حسب ترتيب الافضلية كما تلقى الانصار في بعض الاحيان امرا للقيام بالاف عمليات التخريب على الطرق او السكك الحديدية في ليلة واحدة • فتفكيك جهازا النقل المعادي يتطلب اعدادا دقيقا لعمل العصابات •

وفي بعض الاوقات تلتزم العصابات الهدوء الكامل • فقد وجدت الجيوش الالمانية نفسها في هذا الوضع عندما كانت تحتل منطقة لاول مرة

وكانت رغبة الانصار هي ان يشعر الجنود الالمان في بادىء الامر بالامن الكامل ، بشكل يستطيعون فيه بعد فترة ، ضرب العدو بقوة اكبر لان مباغتته ستكون مفاجأة كاملة .

وفي حرب العصابات هذه ، يستفيد عامل المباغتة من ظروف مختلفة عرف الانصار الحمر كيف يستثمرونها بصورة جيدة . وكما عرفنا فيما سبق ، لم يكونوا يرتدون البزة الرسمية الا في المناسبات ، حيث كانوا يرتدون البزات الالمانية ، والرومانية ، كما انهم ايضا لم يكونوا يحملون سلاحهم بشكل ظاهر ، فقد كان الانصار السوفييت يعرفون اساليب الاختفاء . ثم ان الجبهة الالمانية كانت طويلة وعميقة ، وقد تمكن الانصار انتقاء اهداف لم يكن العدو ليتوقعهم فيها او كان توقعه لوجودهم فيها قليلا . وكانوا يتنقلون ، بدون تجهيزات وتحت جنح الظلام . فكانت حركيتهم كبيرة جدا . وكانوا يعملون بصمت كما يعمل لصوص الفنادق ، كما كانوا يعرفون الارض معرفة تامة وكانت هذه ميزة من اكبر الميزات .

يقدر الانصار اذن انتقاء الاهداف التي تتيح لهم استثمار ميزاتهم الخاصة ، وان يوازنوا بهذا الشكل التفوق الفني للعدو . والميزات التي تقدمها اهداف لا يمكن الدفاع عنها الا بصعوبة واضحة لا تحتاج الى تفسير . ومن اهم هذه الاهداف : الطرق او السكك الحديدية ، ومنشآت الغاز والكهرباء العامة ، والشبكة الهاتفية ، والابار غير المحروسة ، ثم تأتي بعد ذلك الاهداف التي هي بالاساس ضعيفة الحراسة : كالجسور ، والمخازن ، والورشات ، والمستودعات واخيرا ، هناك الاهداف البشرية المنعزلة : الحراس المهملون ، والقوافل الصغيرة ، والمدافع المنعزلة المتمركزة ومفارز القيادات .. الخ وفي النهاية ، هناك الاهداف التي ترد فورا على الهجوم : كالمواقع ، او الوحدات المتحركة ولكن ، بعد ان اصيب الانصار السوفييت بالفشل تلو الفشل ، تجنبوا مثل هذه الاهداف ، وعندما كان عليهم ان يهاجموا قطعة من القطعات ، كانوا يقومون بالهجوم بشكل

غارات مباغتة متعددة على النقطة الضعيفة والحساسة في الترتيب ، وكانت هذه النقطة بصورة عامة هي : القائد أو رتل الوحدة المهاجمة . وفي سبيل تنفيذ هذه العمليات في وقت قصير جدا ، كان لا بد من القيام بالاستكشاف قبل تنفيذها . وقد أوصى ماوتسي تونج بذلك في كتاباته .

ولم تنفذ كل مهمات الاستكشاف التي قام بها الانصار بهدف التفتيش لصالح العصابات عما يجري في أرض عملهم . فقد عملت مصلحة الاستخبارات التابعة للانصار مرارا لصالح ادارة مخابرات الجيش . وكان الانصار صالحين بصورة خاصة لهذا النوع من العمل . وكان من السهل على الجيش الدخول بتماس معهم لان اماكنهم معروفة لديه ، ولانهم مجهزون بأجهزة لاسلكية للارسال والاستقبال . وكانوا يعرفون الارض بصورة جيدة ، كما ان البحث عن المعلومات ، كان عملا مألوفا عندهم

وقد رأينا كيف بعثر الانصار عددا كبيرا من العملاء في المواقع الهامة: في المعسكرات والمستشفيات العسكرية ومصالح التموين ، حيث كانوا على إتصال دائم مع الضباط والجنود الالمان .

وكان كثير من الروس يتقنون اللغة الالمانية بصورة جيدة، ويفهمون ما يقال في مطاعم الضباط ، خلال الاحاديث الدائرة بينهم حول الحرب. وهناك معلومات من نوع آخر ، كانت العصابات تستقصيها ، الا أن هذه المعلومات كانت تتطلب أحيانا صبرا ووقتا . فقبل تدمير خط حديدي ، كان من الضروري اعداد توقيت لهذه العملية . ولهذا الغرض ، كان أحد الانصار يتسلق شجرة بجوار الخط الحديدي ويسجل نوع القطارات التي تمر عليه ، وحمولتها ، وأسلوب الحماية المستخدم في كل قطار ، وساعات المرور ، بصورة يصبح فيها من المستطاع تدمير القطار في الساعة والنقطة المختارتين .

وكانت ادارة المخابرات السوفييتية تستخدم في كثير من الاحيان عملاءها الذين ينزلون بالمظلات على المؤخرات الالمانية . وكانت تنفذ

هذا العمل عندما تريد الحصول على أختام ووثائق أصلية ، وبعض الزائط، أو نوع معين من بطاقات تحقيق الشخصية المطلوبة من السكان المحليين للانتقال من قرية الى أخرى ، أو مخطط موقع العدو المحصن مع كل المعلومات الضرورية عن تنظيمه . وفي مثل هذه الاحيان كان على رجال الاستخبارات نقل المعلومات بأنفسهم، دون ان يستعملوا لاسلكي الانصار .

وقد يرى الانصار ، مع تطور وسائل الاتصال الحديثة تناقض أهميتهم في هذا الموضوع ، وهنالك حالات لم يستخدم الجيش فيها جهاز مخابرات الانصار . وبصورة خاصة ، عندما كان للمعلومات المطلوبة طابع خاص جدا ، او انها كانت هامة جدا ، ولا يجب ان تعرف من قبل الاشخاص الغرباء عن الجيش كما لا يجوز نقلها باللاسلكي . وعندما كان الجيش الاحمر يرسل عناصره الخاصة على مؤخرات العدو ، لم تكن هذه العناصر تلتقي مع عناصر الانصار حتى ولو كانوا يعملون معا . وكانت « صناديق البريد » تستخدم في مواضع مموهة جيدا ، وتوضع الرسائل فيها لتجنب اتصال شخصي .

ومع ذلك ، فان العصابات كانت مزودة تماما لتلبية احتياجات جهاز مخابرات الجيش . ويجب ان لا ننسى ، ان التاريخ لم يعرف في خلال الحروب السابقة ، جيشا كان يملك مثل هذا العدد من العملاء المنتشرين بكثرة في منطقة احتلال لها مثل هذا الاتساع . لذا وجد الالمان منذ ابتداء عمل الانصار الجدي ان لا امل لهم في المحافظة على اسرارهم داخل هذه الاستعلامات . ويقول تقرير احد الفيالق الالمانية في ٥ (اذار) ١٩٤٢ ما يلي : « لقد عرفنا ان العدو كان يعرف حركات قطعاتنا بشكل لا يمكن تصديقه » .

اذن فحركة الانصار تقدم خدمات تعادل اضعاف اضعاف ما يبذل لانشائها او تغذيتها وتنميتها نظرا لقيمة عملها الثمينة في مجال البحث ونقل المعلومات . وقد كان الجنرال بونومارنكو على حق عندما قال :

« اصبحت حركة المقاومة السوفييتية احد اهم اسباب هزيمة الغزاة »

ولو تركنا فحص الاهداف المباشرة للانصار وفحصنا اهدافهم العامة للاحظنا ان هذه الاهداف تنقسم الى نوعين :

١ ـ ارباك افراد العدو بغية اضعاف الجبهة العدوة .

٢ ـ القيام بعمليات ضد تحركاته بشكل نحرمه فيه من اسلحته ومعداته وتموينه .

ويبلغ الانصار هدفهم الاول بمجرد وجودهم ، فهم يضطرون العدو الى تبديل قواته لتأمين مؤخراته وقوافله . وتزداد اهمية هذه القوات المخصصة للامن بازدياد عدد الانصار ونشاطهم واتساع مناطق عملهم . وسنعطي لاحقا ، بعض المعلومات الدقيقة عن اهمية القوات الالمانية المستخدمة لتأمين حماية المؤخرات .

وان أفضل وسيلة لانهاك القوات المعادية هي في تكبيدها خسائر مادية . ويتذكر القارىء ، دون شك ، ان الجنرال بونومارنكو قد قدر عدد الجنود الالمان الذين قضوا ضحية الانصار أثناء السنتين الاوليتين لحرب العصابات بـ ٣٠٠٠٠٠ جندي على الاقل . وهذا الرقم يعادل من ١٥ الى ٢٠ فرقة ألمانية ، وقد يكون فيه بعض المبالغة . ولكن اذا قارنا هذا الرقم (أو أي رقم آخر أقل منه) مع تعداد القوات الالمانية المتمركزة في البلدان المحتلة ، عام ١٩٤٣ (١٧ فرقة في الغرب ، ١٤ فرقة في ايطاليا قبل استسلامها ، ١٧ فرقة في البلقان) برزت لنا فاعلية حرب الانصار في حقل استنزاف قوات العدو ، ولنذكر أخيرا ، أن قدرة العصابات على الخصم تتناسب مع سرعتها وقدرتها على التملص .

ان سهولة التملص التي يتميز بها الانصار مهمة لسبب آخر . فعصابة عاملة من الانصار تجمد بالطبع العدو أمامها . أما العصابة التي يقضي عليها فتترك العدو حرا طليقا للقيام بأعمال أخرى .

لذا فالمهمة الاولى لعصابة من العصابات ، هي اذن أن تبقى موجودة،

وان تقوم « بانسحاب استراتيجية » أكثر من أن تجمد أمام الخصم . لان ثباتها ، أمام العدو هو الانتحار ، وقد كان ماوتسي تونج من هذا الرأي ، كما طبقه الانصار السوفييت أيضا . ان على الجندي النظامي أن يدافع عن الموقع الذي أوكل اليه ، مهما كان الثمن . أما رجل الانصار، فعليه ان يختفي عندما يتردى الوضع بالنسبة اليه .

ولقد اكد الجنرال كوفباك هذه النقطة في كتابه : فقد حوصرت تقريبا كل مفارز أنصاره ، كما ان ذخائرهم قد نفذت . فقرر ايقاف القتال نهائيا . ويكاد الامر الذي أعطاه لمفرزته ، أن يكون أمرا تقليديا :

« لكي نحافظ على قواتنا لخوض معارك في المستقبل ، تخلى غابة سباد شتشانسكي في أول (كانون أول) ١٩٤١ : في الساعة ٢٤ : مع اجراء محاولة للخروج منها باتجاه غابات بريانسك ».

وفي نفس الوقت ، فان أفضل وسيلة لحرمان العدو من أسلحته ومعداته وتمويناته هي في تدميرها أو منع العدو من استخدامها . وهذه نقطة بديهية لا تحتاج الى توضيح .

ان حركة الانصار لا تستطيع القيام بمهماتها التكتيكية بصورة جيدة الا اذا حققت شرطين : (١) يجب على الانصار أن يكونوا في كل مكان ، أي التفرق الكامل قدر الامكان . يجب ان يكونوا مستقلين أيضا . وقد تشكلت حركة الانصار السوفييت بناء على هذين الشرطين .

فكم كان هناك من الانصار ؟ ليس هناك من يقدر الاجابة على هذا السؤال فالتقدير الروسي يعطى رقم ٥٠٠ر٥٠٠ر١ ، وهو رقم يبدو مبالغا فيه . وسبب تناقض الارقام هو أن الانصار الروس كانوا في كل مكان خلال فترات الحرب الاخيرة ، وقد اثبتت حرب الانصار الروس ان الفا من العصابات ، كل عصابة تتألف من خمسين رجلا أكثر قوة من خمسين عصابة ، كل عصابة مؤلفة من ألف رجل .

وهناك مبدأ يقول أنه اذا عملت العصابات بصورة مستقلة ، كانت

قوة صدمتها أضخم • وينبغي أن تملك كل عصابة أجهزتها اللاسلكية وأسلحتها وذخائرها ومستودعات مؤنها الخاصة • ومن هذه الناحية كانت العصابات السوفييتية منظمة بصورة جيدة • وكانت مفارز الانصار تتمتع باستقلال ذاتي كبير ، الا عندما تكون العمليات عمليات مشتركة مع مفارز أخرى •

ولقد أدرك الانصار بأنفسهم ، وفي وقت مبكر جدا ، نوع العمليات التي كان عليهم ان يقوموا بها ، فأتاحوا للخبراء التكتيكيين فرصة دراسة هذه المهمات وشروط تنفيذها موضوعيا • ولقد لخصها الجنرال كوفباك، وهو رجل خبير لا يمكن انكار تجربته في هذا الموضوع ، على الشكل التالي :

« لقد كلفتنا المعارك الدفاعية التي اجبرنا عليها العدو كثيرا من التضحيات • فلا يستطيع الخصم استغلال تفوقه العددي ، والتقني الا في هذا النوع من القتال • وقد حصلنا على انتصاراتنا الكبرى في كل مكان استطعنا فيه المحافظة على حرية عملنا • وكانت كل خططنا وحساباتنا ، ابتداء من اللحظة التي تركنا فيها غابة سبادشتشانسكي ، مستندة الى مسيرات سريعة طويلة ، وحركات سرية ، وهجمات مباغتة • فاذا تحركنا دوما ، وناورنا باستمرار ، وبقينا في كل لحظة قادرين على تغيير اتجاه مسيرنا، تعذر على العدو الوصول الينا • وأضاع أثرنا ولم ينجح في حشد قواته لضربنا فاذا ما تمكن من احتوائنا بقوات متفرقة ، فان حركيتنا ستسمح لنا دوما بالتهرب منه » •

ولو رغب ماوتسي تونج في ان يتكلم ، لما أضاف شيئا الى هذه السطور • فقد برهن الانصار السوفييت أنهم نفذوا تعاليم ماو بصورة جيدة •

القِسمُ الثاني

مواجهة الالمان للانصار

الفصل الخامس

مرحلة المحاولات والتجارب والاخطاء

- **أيها النمر ، أيها النمر .**
- **كيف اصبحت ، ايها الصياد الجسور ؟**
- **اخي ، لقد كان الانتظار طويلا، وكان الليل باردا .**
- **والفريسة التي تريد القضاء عليها .**
- **اخي ، انها ما زالت تجري في الادغال .**
- **فأين تلك القوة التي صنعت غرورك ؟**
- **اخي ان قوتي تتلاشي من جانبي الجريحين .**
- **اذن ، لماذا تركض بهذه السرعة؟**
- **اخي ، احاول الوصول الى رعيني لاموت فيه .**

من كتاب الادغال (روديارد كبلنج)

عندما شن هتلر معركته في روسيا ، كان يظن ان كل شيء سينتهي في ستة أسابيع أو بضعة أشهر . وانها ستنتهي مهما ارتبكت الامور قبل مطلع الشتاء .

فليس من الغريب اذن ، ان هتلر وقيادته العامة ، لم يوجهوا انتباههم قبل بدء النزاع الى النشاط المنتظر للانصار الروس .

الا ان الغريب اكثر هو تأكدنا من ان كبار القادة الالمــان ، كونوا فكرة خاطئة جدا عن حركة المقاومة الحمراء . ولهذا فــأن كــل التدابير المتخذة من قبل الالمان لمواجهة هذا التهديد لم تكن متلائمة مع الهــدف المطلوب . فحيثما كان الالمان ينتظرون هجمات من الانصار ، وينقلــون قواتهم لمجابهتها كان الانصار يختفون ليقوموا بهجومهم على نقاط لا يكون الالمان قادرين على مجابهتهم فيها . وعندما بدأ الالمان في وضــع تدابيــر دفاعية ، كانت عصابات الانصار قد تشكلت . وعندما ارادوا القضاء على الانصار بطرق ارهابية ، كانوا يصبون الزيت في النار ، وكانت عصــابات الانصار تتضاعف . وقد حاول الالمان اصلاح اخطائهم الاستراتيجية فيما بعد ، واقاموا تنظيما لمكافحة العصابات اكثر قوة ، الا انهم لم يحاولــوا ابدا اصلاح اخطائهم النفسية . بل ارتكبوا اخطاء جديدة ، ومــن بينها خطيئة ارسال العمال الروس الى المــانيا ، حيث كانــوا يخضعون لاردأ معــاملة .

وكان على مؤسستين مختلفتين ان تهتما بالانصار هما :

الجيش ، وشرطة الامن ومصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.)

وكان من الواجب ان يعمل هذان التنظيمان بصورة منفردة في قطــاعــات مختلفة ، ومهمات خاصة وتسلسل هرمي خاص بكل تنظيم .

ولقد تم الاتفاق على عمل الجيش منفصلا عــن مصلحــة الامــن العسكري للرايخ (S.D.) — التي تضــم شرطة الأمــن ، ومجموعــات الكوماندوس الخاصة Einsatz Gruppen ، وسرايا وقوات الكوماندوس الخاصة — قبل دخول الجيش في المعركة بثلاثة اشهر . ولم يكن توزيــع المهمات تابعا من ضرورات عسكرية بل لاعتبارات سياسية . فالشعبيــة التي كان يتمتع بها الجيش الالماني بعد معركة بولونيا ومعركة فرنســا كانت تهدد بالقضاء على توازن القوى الذي انشأه هتلــر بكــل عنــاية داخل الدولة . فلقد اضحى الجيش المنتصر عاملا سياسيا . ولهذا قــرر

الحزب مجابهة نفوذ الجيش حيثما كان ذلك ممكنا • ولهـذا فـان ادارة البلدان المحتلة ، هذه الادارة التي بقيت بين يـدي الجيش اثنـاء كـل الحروب السابقة ، اخذ القسم الاعظم منها والقى على عاتـق الموظفـين النازيين • وكانت مصلحة الامن العسكري للرايخ تأمل بهذا الشكـل ان تحصل على حصتها من المجد الذي حصل عليه الجيش الالماني في الاتحاد السوفييتي • ولهذا الغرض وقع اتفاق في ٢٦ (آذار) ١٩٤١ بين الجنـرال واجنر ، ممثل الجيش ، وهيدريخ ، ممثلا عن مصالح الامن العسكـري للرايخ • وقد بين هذا الاتفاق مسائل التنظيم ، والمهمات والعلاقات بـين ومصلحة الامـن (S.S.) الجيش من ناحية ، والجستابو ، وقطعات الـ العسكري من ناحية اخرى •

وقد اكد الاتفاق ان « تنفيذ مهمات شرطة الامن الخاصة التـي لا تتعلق بالقطعات يتطلب وجود وحدات خاصة وفصائل كوماندوس خاصة (Sonder Kommandos) تابعة لشرطة الامن في منطقة الاحتلال » •

ومن الغريب حقا ان يعتبر واجنر وهيدريخ ان تدابيـر مكافحـة العصابات « خارجة عن مهمات القطعات » • ولكننا نجد السبب عندمـا تتابع قراءة الاتفاق • فمصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) احتفظت لنفسها بالعمل على مؤخرات الجيوش ومجموعات الجيوش • ولعلها كانت تظن ان الجيش لا يقاتل الا على الجبهة نفسها •

ووفقا لتعابير الاتفاق ، الحقت وحدات من مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) بالجيوش ومجموعات الجيوش ، الا انها لم تكـن ملحقة بهذه الوحدات الكبرى الا في التحركات والاقامة والتموين فقط • وكانت تخضع لاوامر هملر حيث تتلقى منه التعليمات مباشرة • وكـان عليها ان تعلم قواد الوحدات التي ترتبط بها بهذه التعليمات • وكان علـى هـذه الوحدات ان تقدم لها كل التسهيلات للقيام بمهماتها ، وجميع التعليمـات اللازمة لتجنب تدخلها في العمليات العسكرية البحتة •

وهكذا كان كل شيء معدا للقضاء قضاء تاما وجماعيا على كل عناصر الشعب المعتبرين معادين للايديولوجية النازية .

وكانت عدد مجموعات الكوماندوس الخاصة (اربعة ، مرقمة بالاحرف أ ، ب ، ج ، د . وكل مجموعة منها تعد من ٨٠٠ الى ١٢٠٠ رجل موزعين على سرايا كوماندوس خاصة .(Eineatz Kommandos) وفصائل كوماندوس خاصة (Sonder Kommandos) وجماعات كوماندوس خاصة (Teil Kommandos) وبحسب الاتفاق، كانت المهمات الموكلة لمصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) هي التالية :

١ ــ في مؤخرات الجيوش « التأكد من الحصول على بعض المعدات قبل بدء العمليات (عتاد ، ملفات ، ملفات عائدة لتنظيمات او مؤسسات ، او جماعات معادية للرايخ او للدولة ، او افراد لهم وزنهم الخاص ــ مهاجرون مهمون ، مخربون ، ارهابيون ــ الخ ...) » .

٢ ــ في مؤخرات مجموعات الجيوش « البحث عن كل من يعمل ضد الدولة والرايخ ومحاربته ، وخاصة الاشخاص الذين لا يتعلقون بالقوات المسلحة المعادية والتفتيش ايضا عن كل المعلومات العامة عن الوضع السياسي لصالح قائد منطقة مؤخرات مجموعات الجيوش » .

ونرى جليا اذن كيف كانت مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) تفهم دورها في مكافحة العصابات : لقد كانت تحاول ان تعرف كل شيء عن حياة ايفان وفلاديمير وديمتري ، وهي مزودة بالملفات وبمصنفات المعلومات وبأدوات التصنيف اللازمة . اما المهمات الاخرى اي : توقيف الزعماء والقادة ، والقضاء على العصابات قبل دخولها في القتال فهي من صلاحية الغستابو ، ولم يكن قادة قوات الكوماندوس الخاصة عسكريون بل كانوا يتبعون دورة تدريبية في بريتش لمدة اسبوعين او ثلاثة اسابيع قبل دخولهم روسيا ، ولم تكن هذه الدورة تشمل الا على تمارين في النظام المنضم ، ورمايات بالبندقية . وكان من الطبيعي انهم كانوا يرسلون

الى روسيا لا كجنود ، بل كممثلين للايديولوجية الفاشيستية .

وفي المعارك ، كانت مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) نوعـا من المكتب المركزي المتحرك لأمن الرايخ . ونوعا من الغستابو المنقول .

فهذا المفهوم الغريب لمكافحة العصابات ، وبخاصة بعد الحوادث ، كان مسنودا في واقع الامر بمصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) فقد كان يعكس بالتأكيد افكار هيدريخ عن الوضع . وقبل بدء الاشتباكات بعدة ايام ، اجتمع القادة الرئيسيون لمصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) في مقر المكتب المركزي لأمن الرايخ في برلين . وقد تحدث هذا المؤتمر « الجلاد » هيدريخ الساعد الايمن لهملر . والذي كان يمارس رئاسة شرطة الامن (اي الغستابو والشرطة الجنائية) ومصلحة الامن العسكري منذ عام ١٩٣٦ . وكان قد نشر الرعب بين السكان البولونيين .. وكـان عليه ان يتحدث في ذلك اليوم ، عن مهمة الامن العسكري فـي الاتحـاد السوفييتي .

وقد حكم على كل هؤلاء الذين حضروا هذا الاجتماع بالموت : فقد اغتيل هيدريخ في احد شوارع براغ التي كان يحميها . وقد حكـم على خلفه كالتنبرونر بالاعدام ايضا من قبل المحكمة العسكرية الدولية ، كمـا ان عددا كبيرا جدا من قادة مجموعات الكوماندوس الخاصة ظلوا علـى قيد الحياة فترة كافية الى ان سمعوا الحكم بالاعدام مـن قبل محاكـم الحلفاء العسكرية .

وكانت مهمتهم واضحة جدا : وهي قمع شعوب روسيا السوفييتية . وبعد اربع سنوات ، لخصت محكمة نورمبورغ هذه المهمة مع التحفظات القانونية الاعتيادية كما يلي : « استخدم الغستابو ومصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) لاعمال اجرامية . وقد سببت هذه الاعمال .. كثيرا من الاذى لادارة البلدان المحتلة » .

وقد اصر هيدريخ في خطابه على ان مصلحة الامن العسكري للرايخ

«...» ستكون مسؤولة عن «امن» قطعات الجيش الالماني في المناطق التي ستجتازها ، وان عليها ان تدمر دون شفقة على كل معارضة للحزب الاشتراكي ــ الوطني . وان تعمل بعنف ضد الانصار الذين يتوقع نشاطهم في مناطق واسعة . ومن المؤكد ان مصلحة الامن العسكري للرايخ (.S.D) كانت تعلم التدابير التي يجب اتخاذها امام الخطر المنتظر وبالنسبة لهيدريخ ، لم يكن الموضوع هو اعادة زمام الامن الذي لا يمكن ان يضطرب ، وانما « المحافظة على الامن » طبقا لطرق الغستابو .

وبايجاز ، يجب على مصلحة الامن العسكري للرايخ (.S.D) التي تنفذ اوامر هملر ان تقضي على حركة المقاومة في المؤخرات قبل ان تتشكل.

وكما سنرى ، اجبر الجيش ، بامرة قادته ، الى التدخل ضد الانصار ومنذ ان تمركز القسم الاعظم من القطعات على الجبهة ، وعلى مقربة مباشرة منها اعتبرت هذه المنطقة الارض الرئيسية لمطاردة الانصار .

وقد تنبأ الفوهرر بذلك في أمره « باربروس الموجه لادارة المحكمة » وهو الامر الذي اشرنا اليه بايجاز قبل ذلك . وقد ظهر الامر في ١٣ ايار ١٩٤١ ، ونقرأ في هذا الامر ما يلي :

« مرسوم متعلق بممارسة المحكمة العسكرية في المنطقة « باربروس » والتدابير الخاصة الواجب اتخاذها من قبل القطعات .

ان الهدف الاول للمحكمة العسكرية التابعة للقوات المسلحة هو المحافظة على النظام .

« ان تزايد منطقة العمليات في الشرق ، واسلوب القيادة التعبوية التي اصبحت ضرورية لهذا السبب ، وميزات عدونا ، كل هذه الامور تضع المحاكم العسكرية أمام مشكلات لن تتمكن ايجاد حلول لها أثناء العمليات .. ولا يمكن أن يعود السلام والهدوء الى المناطق المحتلة ويصبح سلاما فعليا ، الا اذا اقتصر هذا التشريع على تنفيذ مهمته الرئيسية بسبب قلة عدد الموظفين المكلفين بتنفيذه .

« ولا يمكن هذا الا عندما تدافع القطعات نفسها دون شفقة

ولا رحمة ضد كل تهديد يصدر عن السكان المدنيين الاعداء .

« بناء على ذلك ، وبالنسبة لمنطقة « باربروس » يوصى بما يلي (لقطعات العمليـات ، ومؤخرات الجيوش والمناطق الخاضعة للادارة السياسية) :

١ ـ « اسلوب معالجة الجرائم المرتكبة من قبل المدنيين الاعداء .

« ١ ـ **الجرائم الخاضعة للقانون** والتي يقوم بها أعداء مدنيون ـ ليست من صلاحيات المحاكم العسكرية الميدانية ومجالس الحرب المشكلة.

« ٢ ـ **الانصار ، يقضي عليهما** ، دون شفقة ولا رحمة من قبل القطعات ، سواء أكان ذلك أثناء القتال أم أثناء تراجعها .

« ٣ ـ **كل هجوم يقوم بـه اعداء مدنيون ضد القوات المسلحـة** أو ضد أفراد هذه القوات . أو العناصر المرتبطة بها ، يجابه من قبـل القطعات ، في منطقة عملها ، وبكل الوسائل الممكنة ، حتى يتم القضاء التام على المهاجمين .

« ٤ ـ وحيث لا يمكن القيام بالتدابير اللازمة ، او حيث لا يمكن تطبيقها منذ البدء ، **تحضر كـل العناصر المشبوهة امام ضابط وهو الذي يقرر اعدامهم او عدمه .**

« **وتتخذ تدابير جماعية .** فورا بأمر من ضابط لا تقل رتبته عـن رتبة قائد كتيبة ، ضد القرى التي تصدر عنها الهجمات ضد القوات المسلحة اذا كانت الظروف لا تسمح بالتوقيف السريع للمجرمين .

« ٥ ـ يحظر حظرا تاما التحفظ على الاشخاص المشبوهين لاحالتهم الى المحاكم بعد اعادة السلطة القضائية التي ستهتم بالسكان المحليين .

« ٦ ـ يستطيع قادة مجموعات الجيوش ، بالاتفاق مـع القادة المعنيين البحريين والجويين ، اعادة السلطة القضائية العسكرية علـى المدنيين في المناطق التي اضحت تتمتع بالسلام بصورة ملائمة .

٢ ـ « اسلوب معالجة الجرائم المرتكبة من قبل افراد من القوات المسلحة والموظفين المرتبطين بها ضد السكان

« ١ ــ ليس هناك ملاحقات اجبارية ضد الاعمال المرتكبة من قبل افراد القوات المسلحة أو العناصر المرتبطة بها ضد المدنيين العدوة حتى ولو كان الفعل نفسه يشكل بحد ذاته مخالفة أو جريمة عسكرية » •

« ٢ ــ • • • • • • • • »

ثم اعترفت القيادة العامة الالمانيــة بعدم قانونية هــذا المرسوم فأصدرت في ٢٧ (آب) أمرا باحراق كل نسخة ، كي لا يقع بين يدي العدو•

الا أنهم عندما اشتركوا فعلا في القتال ، وجهوا ضرباتهم للألمان في أضعف نقاطهم ، وفي أكثرها حساسية وتعرضا للخطر في مؤخراتهم ؛ بينما كانت هذه المؤخرات محمية بصورة ضعيفة لدرجة لا تصدق • وكانت قوات الكوماندوس الخاصة التابعة لمصلحة الامــن العسكري للرايخ ، (S.D.) تشمل على ٤٠٠٠ جندي وبعض فرق الامن التابعة للجيش ؛ والتي كان من الممكن استخدامها ضد الانصار ، سوى أنها كانت مبعثرة على جبهة واسعة في كل المنطقة الخلفية لمجموعات الجيوش•

ومع ذلك فلم تكن هجمات الانصار موجهة فقط ضد المؤخرات الموضوعة تحت اشراف مصلحة الامن العسكري للرايــخ (S.D.) بل كانت الهجمات تستهدف أهدافا واقعة في منطقة العمليات ، وهي منطقة متقدمة بالنسبة للمنطقة المخصصة لمصلحــة الامــن العسكري للرايــخ (S.D.) ، وأهدافا مباشرة خلف هذه المنطقة الامامية • وفيما يتعلق بمكافحة العصابات ، فان هذا الجزء من منطقة العمليات لــم يكن على عاتق الجيش ولا على عاتق مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) • وكان من الطبيعي ان تعمل القطعات المتمركزة فيــه فيما لو هاجمها الانصار ، الا انه لم يكن هناك قطعات معينة فيها للشروع بمجابهة العصابات بصورة منظمة • وقد حاول الالمان مجابهــة الخطر بثلاث طرق مختلفة :

في مقر المكتب المركزي لامن الرايخ في برلين • وقد تحدث هذا المؤتمر

اولا : أرسل الى منطقة العمليات جزء من قوات الامن العسكري للرايخ (S.D.)

ثانيا : أعطيت وحدات خاصة لمكافحة العصابات •

ثالثا : أخيرا طبق الجيش ومصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) طرق أكثر قوة وعنفا ضد الانصار •

وسنبحث بصورة عامة النقطة الاخيرة بالتفصيل ؛ لانها تنطبق بنفس الوقت على الجيش • وعلى مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) فالتقرب النفسي من مقاومة العصابات : عمل هام يستحق دراسة تفصيلية وايجابية • وبالاضافة الى ذلك ، فان الوقائع التي سنسردها وقائع جديدة •

لقد رافق الحرب المتمدينة ؛ منذ وقت قريب ؛ اتفاقان دوليان هامان : اتفاقية لاهاى في ١٨ (تشرين أول) ١٩٠٧ ؛ التي تعالج القواعد المتبعة في الحرب البرية ، واتفاقية جنيف حول تحسين وضع الجرحى والمرضى العسكريين • وفيما يتعلق باتفاقية جنيف ، فقد صرح الاتحاد السوفييتي بتاريخ ١٦ (حزيران) ١٩٢٥ ، انه يعتبر نفسه ملتزما بهذه الاتفاقية • ولكن بالرغم من ان روسيا القيصرية قد ساهمت في وضع اتفاقية لاهاى ؛ الا ان الاتحاد السوفييتي لم يقدم أي تصريح عنها • كما ان كوروين الذي كان يتمتع بمنصب هام في الاتحاد السوفييتي قال ما يلي :

« ان مرسوم ١٦ (حزيران) ١٩٢٥ ، لا يعنى قانونية الاتفاقات التي وقعتها روسيا قبل الثورة »• بما في ذلك اتفاقية لاهاى •

ومع ذلك فلأسباب يعلمها الاتحاد السوفييتي افضل منا ، فقد صرح في (آب) ١٩٤١ أنه يعتبر نفسه ملتزما باتفاقية لاهاى واتفاقية جنيف ، مع التحفظ بان الحكومة السوفييتية ستلتزم بهذه الاتفاقات اذا التزمت بها المانيا •

ومن الغريب ان نلاحظ ان هذا الالتزام لم يمتد الى الاتفاق الدولي الثالث والهام وهو : اتفاقية جنيف لعام ١٩٢٩ المتعلقة بمعاملة اسرى الحرب .

ولنؤكد هنا ان اتفاقية لاهاي واتفاقية جنيف حول معاملة أسرى الحرب ، ان هذه الاتفاقات معترف بها كمراسيم دولية ، وتطبق بصورة عامة من قبل كل المتنازعين سواء كانوا من الاطراف التي أبرمت هذه الاتفاقات أم لا . ويعبر حكم المحكمة العسكرية الدولية أيضا عن هذا الرأي ، كما أن كل القضاة الدوليين ؛ بما فيهم القاضي الذي عينته روسيا السوفييتية ، كانوا متفقين حول القرارات التي اصدروها بهذا الشأن .

فلماذا لم يقر الاتحاد السوفياتي هاتين الاتفاقيتين قبل الحرب ؟ ولماذا لم يصبح الاتحاد السوفياتي ، حتى في عام ١٩٤١ ؛ عضوا موقعا لاتفاقية لاهاي ؟ لماذا صرح الاتحاد السوفياتي انه مستعد للالتزام باتفاقية جنيف اذا احترمها الالمان ؟ ولماذا استثنى الاتحاد السوفياتي الاتفاقية الاخرى ؟ ولماذا لم يحترم الاتحاد السوفياتي عمليا قواعد الحرب المتمدينة أثناء حربه ضد المانيا ؟ سنحاول فيما يلي الاجابة على هذه الاسئلة .

لقد اضطرت روسيا السوفياتية خلال الحرب ، الى التصرف بشكل يتناقض مع الوعود التي قدمتها . واليكم أمر لمفوضي شعب الاتحاد السوفياتي ، مؤرخ في ١ تموز ١٩٤١ :

يمنع منعا باتا :

أ ـ شتم اسرى الحرب ومعاملتهم بعنف .

ب ـ استخدام الاكراه والتهديد ضد اسرى الحرب للحصول منهم على معلومات عن الوضع العسكري لبلادهم او عن أي موضوع اخر .

جـ ـ الاستيلاء على ملابسهم العسكرية ، او البستهم الداخلية ، او احذيتهم ، او اي لباس من البستهم الشخصية . كما يمنع منعا باتا

الاستيلاء على وثائقهم الشخصية واوسمتهم الخ ... ينبغي ان تؤخذ امتعتهم الشخصية وأموالهم من قبل اشخاص مخولين بذلك ، ولقاء ايصالات استلام رسمية ، بغية تأمين المحافظة عليها » .

فماذا كانت الحقيقة ؟ انه بالرغم من كل المحاولات الرسمية والخاصة ، لم يستطع اقرباء اكثر من مليون جندي من جنود القوات المسلحة الالمانية ان يتوصلوا الى اية معلومات عنهم .

وكنا نريد ان ننشر هنا خلاصة بعض المستندات التي وقعت بين يدي الالمان لتظهر عدم اهتمام السوفيات بالقواعد الدولية المعترف بها وحتى يعرف الرأي العام ما ارتكبه الخصمان المتحاربان من مخالفات لاصول الحرب والتقرير التالي ، صادر عن الجيش الثالث والثلاثون السوفياتي . وهو مؤرخ في ٨ ايلول ١٩٤١ . ونقرأ في هذا التقرير ما يلي :

« اعدم مائة اسير اوقفتهم فرقة المشاة الاولى رميا بالرصاص بأمر مفوضي الفرقة السياسيين نظرا للوضع الدقيق الذي نحن فيه .. » .

« قائد فصيلة استطلام اركان الجيش ٣٣ ـ النقيب بوتابوف ».

« تقرير رقم ١١ صادر عن اركان فرقة المشاة ٢٦ : بتاريخ ١٣ تموز ١٩٤١ :

« ترك العدو ٤٠٠ قتيلا في ميدان المعركة ، وقد اعدم رميا بالرصاص ثمانون جنديا استسلموا » .

خلاصة امر المعركة السوفياتي رقم ٨٦ ، المؤرخ في ٢ كانون اول ١٩٤١ ، وقد كتبه رئيس اركان قوات السواحل في سيباستبول .

« وكقاعدة عامة ، تقضي القوات على الاسرى دون استجوابهم استجوابا اوليا ودون نقلهم في باديء الامر الى اركان الفرقة .

« ويذكر الجميع انه لا يمكن القضاء على الاسرى الا في حالة مقاومتهم مقاومة واضحة او في حالة الفرار .

« بالاضافة الى ذلك ، فان اعدام الاسرى في مكان اسرهم او في

الجبهة ، هذا العمل الذي يمارس على نطاق واسع ، يثير عناد الجنود الاعداء ، ويمنعهم من الفرار والاستسلام » .

وتحتوي وثائق وزارة الخارجية الالمانية كثيرا من اعترافات الجنود والجنرالات عن الاعمال المرتكبة ضد اسرى الحرب . وقد عرف الجيش الالماني بهذه الاعمال بسرعة ، فرد عليها بأعمال انتقامية .

وربما تتمكن ان نجد في هذه الوقائع سبب تردد روسيا السوفييتية في الانضمام الى اتفاقية لاهاي . وبوعدها الشعوب الاخرى بالانتماء اليها ، كانت روسيا السوفييتية تحاول إن تبدو دولة متمدنة كالدول الاخرى ، ولكنها بارتكابها تلك الاعمال دفعت الجنود الالمان للقيام بأعمال في منتهى العنف والوحشية بغية اطفاء الشعلة التي تحرك الانصار في كل روسيا المحتلة . فكان رد الفعل عكسيا ، وتأججت نار المقاومة مع تصاعد العنف ، فهل كان هذا مخططا من قبل القيادة السوفييتية ؟

ومهما يكن من امر ، فان الجندي الالماني قد رد بالطريقة التالية : اثناء الاشهر الخمسة الاولى من الحرب ، لم يسمع بالانصار الا نادرا ، رغم امر « باربروس » والاوامر التالية التي هي من نفس النوع والتي سنبحثها فيما بعد . ولكن ابتداء من شتاء ١٩٤١ — ١٩٤٢ ، قاتل الجندي الالماني الانصار دون رحمة .

واول امر من هذه الاوامر اصدرته القيادة العليا الالمانية العليا في ٢٥ (تموز) ١٩٤١ . ويعالج هذا الامر السلوك الواجب اتخاذه ضد المدنيين الاعداء . وقد ذكر الامر ما يلي : « لوحظ ان القسوة المطلوبة لم تطبق في كل مكان » .

« ان التسامح والميوعة دليل على الضعف ، ويؤديان الى الاخطار »

« يجب ان يقمع بشدة كل هجوم ، وكل عمل من اعمال القسوة او كل محاولة من محاولات العنف ضد اشخاص او اهداف عسكرية حتى يتم القضاء على العدو قضاء تاما .

ولقد علق هالدر رئيس اركان الجيش الالماني على امر ريخناو السابق قائلا : يجب على كل جنرال عاقل ان يلقى به في سلة المهملات .

وسنسرد فيما يلي المقطع الذي يبحث موضوع الانصار في امر قائد الجيش السادس الفيلد مارشال ريخناو الصادر في ١٠ (تشرين الاول) ١٩٤١ :

« اننا لا ننظر الى القتال الذي يدور في مؤخرة الجبهة على محمل الجد . فلا زلنا نوقف الانصار الخونة والقساة والنساء المنحلات . ولا زلنا نعامل الجنود غير النظاميين والمشردين الذين يرتدون البزة العسكرية او المدنية كجنود .. لذا فلا بد من اتخاذ تدابير عنيفة ضد الانصار الذين يلقى عليهم القبض واسلحتهم بأيديهم على مؤخرات الجيش . وتطبق هذه التدابير ايضا على السكان الذكور الذين كان بامكانهم منع تنفيذ الاغارات المعدة واعلامنا بها في الوقت المناسب ، فلم يفعلوا ذلك . ان لا مبالاة جزء كبير من العناصر التي تدعي بأنها معادية للبلشفية ، هذه اللامبالاة المتجسدة بسوقف « الانتظار والمشاهدة بسلبية » ؛ يجب ان تستبدل بقرار حاسم للتعاون بصورة فعالة في المعركة ضد البلشفية . وفي الحالات المعاكسة ؛ ليس لاحد الحق في الشكوى اذا اعتبر وكأنه جزء لا يتجزأ من الجهاز السوفييتي وعومل بناء على ذلك . وعلى الناس ان يخشوا اعمال الانتقام الالمانية اكثر من التهديدات التي يوجهها اليهم الشيوعيون الذين ما زالوا احرارا طليقين » .

وقد اعتبر البعض امر ريخناو ، في ذلك الوقت ، كنموذج من نوعه لان الفيلد مارشال فون رونشتدت ، وهو الرئيس الاعلى لريخناو ، تحدث عنه الى قواد جيوشه ونصحهم بتقليده قائلا : « اصدروا اوامر في قطاعاتكم للتوصل للهدف نفسه .. فالاهمال واللامبالاة السائدان بعد القتال امور لا يمكن التسامح بها » .

ولم يكن امر ريخناو فريدا في نوعه ، الا انه امر مناسب لتحديد

اتجاه تفكير الالمان آنذاك • واخيرا فان اعمال الالمان لم تبق مقيــدة بالاوامر الصادرة عن هيئات الاركان • فقد قتل رميا بالرصــاص الاف عديدة من الانصار والمشبوهون والرهائن البريئة ، وقام بعمليات الاعدام مصلحة الامن العسكري للرايخ (.S.D) بالتعاون مع الجيش ، او مصلحة الامن العسكري للرايخ (.S.D) لوحدها بعد ان سلمها الجيش هــذه العناصر • وسنورد عددا كبيرا من الوثائق عن هذه الفظائع ، وهي وثائق كتبها ضباط وموظفون المان بشكل تقارير رسمية ، عندما سنهتم بتطبيق التدابير المتخذة ضد الانصار واسباب فشلها : وقد عرفنا حتى الان نتائج الطرق الانتقامية للالمان : لقد كان من ابــرز نتائجها تزايــد العصابات ونموها في كل مكان •

ثم اصبح من الضروري ارسال وحدات من مصلحة الامن العسكري للرايخ (.S.D) الى مختلف قطاعات العمليات ومساندتها بالنجــدات • تدابير امن منطلقة من استنتاجات وضعتها مصلحة الاستخبارات ، توصلت وفي نفس الفترة ، بدلت مصلحة الامن العسكري للرايخ (.S.D) لطر عملها • فبدلا من الاقتصار على التفتيش في المصنفات ، او على اتخــاذ مصلحة الامن العسكري للرايخ (.S.D) الــى تفتيش الارض لطــرد العصابات منها ، وحماية الالمان ضد عمليات الانصار • وكانت النجدات تصل من منبعين : الجيش والمليشيا ، وسنفهم فيما بعد الاسباب التــي دفعت الالمان لعدم زج قطعاتهم الممتازة في هذه المعركة ، كما سنفهم مثلا لماذا ضمت مجموعة جيوش الجنوب اليها فرقتين رومانيتين •

وفوق ذلك ، نجد في امر من اوامر احدى الفرق ما يلي : « لقــد نظمت المصلحة الخاصة مفارز مليشيا محلية في عدة اماكن • وقد جرى انتقاء رجال المليشيا المحليون باعتناء كبير • وكانوا يقومون بواجبــات الشرطة المحلية في القرى بواسطة دوريات وحراسات ، وكان تسليحهم : بندقية دون ذخائر » •

ويبدو من المستحيل ان تتخيل فائدة مليشيا مسلحة بالبنادق دون ذخائر • ولم يكن الجيش قادرا على تخصيص قطعات اخرى لعمليات مكافحة العصابات لان قطعاته كانت مشتبكة في قتال شديد في الجبهة • فلقد ابتدأ ، الجيش الحادي عشر على سبيل المثال بمهاجمة القرم في نهاية (ايلول) ١٩٤١ ، وفي منتصف (تشرين ثاني) كان قد احتل شبه جزيرة القرم تقريبا • وكان الجيش مضطرا ، في كل لحظة للقتال ضد قوات متفوقة ، كما كان مضطرا ايضا لحراسة ساحل يمتد مئات الكيلومترات •• معرض لعمليات الانزال الروسية عليه في اي وقت . نظرا لان الروس كانوا يملكون السيطرة الكاملة على البحر الاسود • وقد حاولوا ذلك مرارا • فخلال هذه المرحلة الحرجة وفي منطقة هذا الجيش ، كان هناك لواءان رومانيان جبليان ، ولواء خيالة ، وفوج آلي ، وعدد كبير من التشكيلات الالمانية المعادية • وقد اتبعت هذه التشكيلات في العمليات المضادة للانصار •

وكان على الجيش اذن وعلى مصلحة الامن العسكري للرايخ ان تقوم بالعمليات في نفس القطاعات ، وكانت لها نفس المهمات • وكان من الجلي ضرورة اتخاذ التدابير اللازمة لتنسيق اعمال هذين العنصرين• فلم يتأخر الالمان كثيرا اذ اقاموا تنظيما مشتركا للسلاحين وانشأ الجيش الحادي عشر افضل تنظيم ضد العصابات • وسنقوم بوصف هذا التنظيم كمثال من الامثلة فيما بعد •

وقد اكتفى اولا بنوع من الارتباط بين الجيش ومصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) ثم صدرت اوامر تؤكد ضرورة ارسال تقارير مصلحة الاستخبارات الى مركز واحد مكلف بدراسة هذه التقارير ، والافادة منها ، ويتصل هذا المركز بمصلحة استخبارات الجيش • على أن ترسل كل التقارير والمعلومات المتعلقة بالأنصار الى هذا المركز حالا وقد اتفق ايضا على ان تعمل مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.)

مع الجيش بارتباط . وتنفذ العمليات الهادفة لتدمير جماعات صغيرة للانصار ، تحت قيادة مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) . بينما تبقى العمليات الواسعة النطاق بين يدي الجيش . وتبعا للظروف ، تجهز القوات المشتبكة في هذه العمليات باسلحة مشاة ثقيلة ؛ وببعض المدافع بصورة مناسبة .

ان لهذه التدابير ضعفا واضحا ، يتجلى في عدم وجود « تعاون تام » بين مختلف الوحدات المضادة للانصار . فقد كان من الواجب اقامة مركزية في ادارة عمليات هذه الوحدات . وقد فهم الالمان وجود هذا الضعف ، فبعد خمسة ايام ، وفي ١٩ (تشرين ثاني) ١٩٤١ ، عين قائد الجيش الحادي عشر ، رئيس مصلحة الاستخبارات في منصب مدير العمليات المضادة للانصار في داخل منطقة الجيش . وقد وضع تحت قيادته فصائل الكوماندوس الخاصة التابعة لشرطة الامن ، ولمصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) وقطعات مكلفة بالدفاع عن المؤخرات ، لكي يستخدم هذه القوات في عمليات الاستكشاف ولقيادة العمليات ذات المدى المحدود الى نتائج حسنة .

وكان من الضروري ارسال كل التقارير وكل المعلومات عن وجود الانصار فورا اليه . وكان من مهماته مقابلة وانتقاء العناصر المدنية الراغبة بالتطوع للقيام بالاستكشاف او للعمل كأدلاء . فاذا ما تحدد مكان جماعات من الانصار ومراكز مقاومتهم بدقة ، يطلب هذا الضابط من الجيش القوات الضرورية للعمل فورا .

الا ان المعلومات عن الانصار ، وعن مستودعات الذخيرة وقوة وحدات الانصار لم تكن تصل بالسرعة الكافية حتى يمكن استخدامها من قبل الجيش . فقرر رئيس الاركان العامة عندئذ مكافأة الروس المدنيين الذين يتقدمون لاعطاء معلومات من الممكن الاستفادة منها . وكان الالمان

يعرفون بوجود مستودعات للاسلحة والمؤن ، الا انهم كانوا لا يعرفون مكانها .

ولقد تركت كمية كبيرة من الاسلحة على الارض ، بعد المعارك التي جرت بين الطرفين . وكان من الضروري جمعها قبل ان يستولي عليها المدنيون ، او الانصار ويخفونها او يستعملونها .

وقد حدد رئيس الاركان قائمة بالمكافآت التي يمكن منحها في حالة تسليم هذه الاسلحة :

- للبندقية : ٥٠ روبل
- للرشاش الخفيف : ١٠٠ روبل
- للرشاش الثقيل : ١٥٠ روبل

ونحن لا نعرف المصدر الذي كان يمول الجيش بالاموال اللازمة لذلك كما نجهل هل تمكن الجيش من جمع هذه الاسلحة ام لا . الا ان ما نعرفه معرفة تامة هو ان الانصار كانوا يشترون الاسلحة من الاهالي بسهولة اكثر من الالمان ، او يحصلون عليها مجانا .

ان الامر الذي تكلمنا عنه اعلاه ، والذي وقعه رئيس الاركان ، هو مع صنع مختلف مكاتب الجيش التي كانت مكلفة باقامة تنسيق فعال بين الجيش ومصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) ، وتحديد تبعية هذه المصلحة الى الجيش على كل المستويات . وفي نفس الوقت اعطيت التوجيهات بصورة عامة « بضرورة الزام كل القطعات للمشاركة في القتال ضد الانصار » .

وقد اخذ الالمان حوالي خمسة اشهر لفهم ضرورة وجود تنظيم جدي للقتال ضد العصابات ، وقد استطاع الجيش خلال هذه الفترة الاشراف على مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) فيما يتعلق بكل العمليات الجارية ضد العصابات . واثناء هذا الوقت ، فهم الجيش ايضا ان مكافحة العصابات اضحت امرا واقعا وثابتا ينبغي اخذه بعين الاعتبار

في كل لحظة . ولو كان الجيش الالماني اكثر توقعا للمستقبل ، ولو اهتم منذ البدء بهذا التهديد الذي يشكله الانصار ضده ، لكان بوسعه ان يحصل في هذا المجال على نتائج عظيمة .. ولو كان رائده المنطق والرحمة بدلا من القسوة والارهاب ، لما كان عليه مقاتلة عدد كبير من الانصار ، او على الاقل ما كان عليه ان يقوم بالقتال ضد الانصار على نطاق واسع .

الفصل السادس

التنظيم الالماني المضاد للانصار

ثم بدأ الالمان يعلمون تدريجيا ان عمليات الانصار تشكل خطرا جديا ؛ وان من الواجب اتخاذ تدابير فعالة مختلفة عن تدابير القمع العادية لمواجهة هذه الحرب الجديدة . وكان الجنرال فون مانشتاين قائد الجيش الحادي عشر اول قائد الماني يتخذ قرارات عملية في هذا الصدد .

وكان القائد العام للجيش الفيلد مارشال فون براوختيش قد اصدر قبل ذلك في ٢٥ (تشرين اول) ١٩٤١ تعليمات خاصة وزعت حتى مستوى الكتائب تحت اسم « توجيهات حول القتال ضد الانصار » .

ولقد كتبت هذه التعليمات دون اعداد كاف ، ودون ان تتوقع الاحداث الممكنة في المستقبل . ولم يكن فيها اية توجيهات مبنية على الدروس المستقاة من المعارك ضد الانصار . ولم تكن اكثر من تذكرة بتدابير الامن والحيطة المعروفة آنذاك ، مع التأكيد على ضرورة تعيين اماكن معينة لتجميع اللاجئين والجنود الروس الذين تتجاوزهم القوات الالمانية المهاجمة .

كما كانت تؤكد على ضرورة استعمال الاجهزة المضادة للتجسس

خلال العمليات المتوقعة ضد الانصار • وكانت قيادة الجيش العامة متناسبة في اوامرها مع العقيدة الالمانية الاساسية حول اسباب معاملة الانصار والمخربين السوفييت •

ولم يكن فون مانشتاين راضيا تمام الرضى ، اذ لاحظ ان التدابير المتخذة داخل حدود منطقته غير كافية لابعاد الاخطار • لذا قرر اعادة تنظيم اركانه لتناسب هذه المهمة ، واستبدال ضابط الاستطلاع العامل معه بضابط من العمليات •

وفي خلال محاكمة فون مانشتاين في نورمبورغ سأله محاميه الدكتور لاتيرنسير عن سبب تشكيل اركان خاصة لمجابهة الانصار ، فأجابه قائلا: « لقد كان من الواجب تركيز قيادة العمليات ضد الانصار بغية تنظيم التعاون فيما بينها ، ولتأمين استخدام المعلومات التي يتم الحصول عليها افضل استخدام• علما بأنه كان **للانصار انفسهم قيادة سرية مركزية** » ولهذه الاجابة معنى كبيرا ، فلقد رفع فيها فون مانشتاين شأن الانصار عندما اعلن بأنه كان يقلدهم ويسير على خطاهم •

وفي ٢٩ (تشرين ثاني) ١٩٤١ اصدر فون مانشتاين تعليماته « لتنظيم وادارة القتال ضد الانصار » وعينت هذه التعليمات الرائد ستيفانوس من الشعبة الثالثة (العمليات) في الاركان العامة مكان ضابط الاستكشاف الذي كان مكلفا قبله بهذا العمل • وتمتع الرائد ستيفانوس كما سنرى بسلطات واسعة حقا سمحت له بان يعمل على مسؤوليته الخاصة • وكانت التعليمات الخاصة بهذا الموضوع كما يلي :

١ – القضاء على مجموعات الانصار المتعددة التي يتم كشفها ، ومنع تشكيل جماعات جديدة وتأمين حماية مؤخراتنا هي التدابير الهامة اللازمة لتطهير بلاد القرم والسيطرة عليها سيطرة تامة • وعلى جميع تشكيلات الجيش الحادي عشر ، وخاصة القطعات التابعة لمصلحة الامداد والتموين والمستودعات ان تشترك في تنفيذ هذه المهمات •

٢ ـ تتم هذه **المهمة القتالية** في القطاعات المعينة سابقا على مسؤولية قادة الفيالق ، ومسؤولية الجنرال المدير العام لمؤخرات الجيش .

٣ ـ ولقد شكلت القيادة العامة للجيش الحادي عشر اركانا لمجابهة الانصار تسمح بتحقيق شكل **نمطي موحد** لاساليب البحث عن المعلومات الخاصة بعمليات الانصار ، كما تؤمن تدخل القوات الضرورية لذلك . ووضعت على رأس هذه الاركان الرائد ستيفانوس من القيادة العامة ، على ان يكون مقر قيادته في سيمفيروبول . ويرتبط هذا ارتباطا مباشرا مع قيادة الجيش العامة .

٤ ـ المهمات :

(ا) **البحث عن المعلومات** حول* عمليات الانصار في منطقة عمل الجيش بالتعاون التام مع الضابط المكلف بالعمل ضد عمليات الاستكشاف المعادية (الرائد ريسين) ، وعلى مختلف القيادات في الجيش ان ترسل الى هذه الاركان الجديدة مباشرة وفورا تقاريرها عن نشاط الانصار في قطاعاتها ، على ان تذكر هذه التقارير في كل مرة : المكان ، والزمان ، والقوات المعادية المكتشفة ، والاعمال المتخذة ضدها ، ونتائج هذه التدابير ، مع تحديد المصالح والادارات التي تم اعلامها بذلك .

(ب) **البدء بالعمليات ضد الانصار** في جميع قطاعات الجيش التي لم يتخذ الجيش او الفيالق فيها حتى الآن تدابير امن وحيطة عامة . لهذا يوضع تحت امرته مجموعة المقدم ايورت . ومن الضروري الانتباه الى ان القتال ضد الانصار مهمة من المهمات الاساسية لضباط شعبة العمليات في كل هيئة اركان .

(ج) انشاء تنظيم مضاد ملائم مؤلف من عملاء الاستطلاع والعناصر الموثوقة التي يتم اختيارها من الاهالي المدنيين .

(د) تنظيم شروط تنفيذ العمليات بالتعاون التام مع قيادات الفيالق وقيادات الفرق . اذا كانت العمليات منتظرة في حدود مناطقها او قرب

مؤخراتها .

(هـ) اعداد وتنفيذ... خاصة في كل منطقة عمل الجيش .

٥ ــ الرائد ستيفانوس مكلف في الحالات الخاصة العاجلة باصدار الاوامر نيابة عني وباسمي بالنسبة لجميع الامور الخاصة بالقتال ضد الانصار . الا اذا كانت العمليات واسعة النطاق . وعليه ان يكون على ارتباط دائم مع الشعبة الثالثة (العمليات) في قيادات الفيالق والفرق .

٦ ــ ستصدر اوامر لاحقة لجميع قيادات الفيالق والفرق بغية معاونة الاركان المضادة للانصار الى ابعد الحدود ، ومساندة فصائل الكوماندوس الخاصة وقطعات الجيش التي تستدعي للعمل معها . وذلك بتقديم المساندة والتموين اللازمين . ولقد تلقت ادارة الامداد والتموين اوامر خاصة بهذا الصدد .

٧ ــ على جميع قطعات الجيش اعتبار تأمين الحماية الذاتية ضد الانصار ، ومهاجمة جماعات الانصار الصغيرة الموجودة قرب مراكز الاقامة وتدميرها ، مهمات دائمة في جميع الاحيان . ويمنع سير العربات منعزلة في الجبال ، وتسير المفارز والارتال وهي جاهزة للاشتباك في القتال فورا خلال السير ، وتوضع على ظهر عربات النقل رشاشات مستعدة للرمي فورا ، ويمنع المرور على الطرقات الخطرة جدا ، او يوقف سير العربات المنعزلة في نقاط مراقبة مشكلة من مفارز حراسة آلية ، ثم يتم عبور مناطق الخطر بقافلة تحرسها هذه المفارز الميكانيكية .

« لقد تعرضت بعض قواتنا بعد تدمير وتنظيف معسكرات ومستودعات العدو الى خسائر لا مبرر لها نظرا لسحب عناصر العملية قبل الاوان ، او لالغاء تدابير الرصد والانذار بعد ذهاب القطعات مباشرة .

« لوحظ ان الانصار يلبسون احيانا الزي العسكري الالماني ، او البسة النساء .

« على الوحدات ان تعلم قيادة الجيش عن عدد الجنود المتحدثين

باللغة الروسية ، والذين تستطيع الاستغناء عنهم لوضعهم تحت تصرف « الاركان المضادة للانصار » • يجب استعمال المترجمين على اوسع نطاق وتشكيل فصائل الكوماندوس الخاصة فورا • امر العمليات يتبع • على كل فرقة ان تقدم جنديين على الاقل لهذه المهمة •

(التوقيع) فون مانشتاين

وهكذا كان الرائد ستيفانوس يتبع قائد الجيش الحادي عشر مباشرة عن طريق رئيس اركان الجيش الذي كان يراه كل يوم • وكانت ملاكات الاركان آنذاك ملاكات قتال • لذا كان عدد افرادها قليلا • وكانت الاركان المضادة للانصار مشكلة من الرائد ستيفانوس ، وملازم اول مساعد ، وضابط اشارة مسؤول عن الاتصالات السلكية واللاسلكية وكان مركز هذه الاركان كما نعرف في سيمفيروبول • ومن اعجب الامور ان كل اتصالاتها الهاتفية كانت تتم عن طريق مركز هاتف (سنترال) سيمفيروبول ، ولم يكن ذلك عملا يتناسب مع اهمية اتصالات هذه الاركان وسريتها • ولقد استفاد الانصار من هذه الخطيئة فوائد كثيرة•

وكانت المهمة الرئيسية لهذه الاركان العمل كمقر عمليات للعمل لمجابهة الانصار ، مع القيام بتنظيم التنسيق مع مختلف القيادات • وكان تنظيم التنسيق يتطلب منها ما يلي :

١ ـ استلام ودراسة جميع المعلومات والتقارير حول عمليات الانصار ووحدات الحماية والامن •

٢ ـ تحويل العمليات الهامة الى الشعبة الثالثة (العمليات) في اركان الجيش •

٣ ـ تقديم الارشادات حول العمليات التي يراها ضرورية ، والاجراءات التي على اركان الجيش القيام بها •

٤ ـ تقديم المعلومات لكافة القيادات والقطعات الموجودة في بلاد القرم حول نشاط الانصار ، واعطاء جميع المعلومات اللازمة عن

الطرقات المدمرة . ومناطق تجمع الانصار .. الخ .

٥ ــ الاتصال الدائب مع ادارة الامداد والتموين لتزويد القطعات المشتبكة بعمليات ضد الانصار بالذخائر والوقود اللازمة .

وكانت « الاركان المضادة للانصار » تستلم التقارير من القطعات والعملاء المنتشرين في بلاد القرم ، وتصنف المعلومات التي تحتويها الى معلومات هامة واخرى بلا اهمية .

ولقد اشترك المراسل الحربي جيرهاردت شنيدر التابع لتنظيمات الـ (S.S.) في بعض حملات ضد الانصار ، وكتب عن مشاهداته خلال الاحداث دون تحليل وبأسلوب صحفي بحت فقال :

« كنا ننتظر في مكان ما داخل مركز الشرطة ومصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) عندما ابلغنا قائد مجموعة القتال هاتفيا بأن المختار السوفييتي لقرية «ل» اخبره عن تسلل الانصار المستمر الى القرية ، واستيلائهم على المواشي ، ومحاولاتهم ضم الشباب الى صفوف المقاومة السرية . كما اعلمه ان الانصار يهددونه بالشنق ... وان من الواجب التدخل بسرعة . ووضع تحت تصرفنا خمسين رجلا من رجاله .

« وفي خلال العملية تم اسر اثنين من الانصار ، وصرح الاسيران ان هناك مئات من الرجال المسلحين يتمركزون داخل الغابة ... » ويتابع المراسل الحربي كلامه :

« وكان مقر قيادة الانصار في بيت منعزل قروي على بعد ٣ كيلومترات داخل الغابة . وكان في البيت عدد من المتطوعين الجدد القادمين من القرى المجاورة . وعرفنا ان المكان محروس بشكل جيد وان علينا ان لا نزج بأنفسنا بلا روية في غابة عمقها عشرون كيلومترا . فقرر قائدنا البحث عن معلومات اضافية تفيد في عملية مقبلة ...

« وتقدمنا داخل الغابة تغطينا مقدمة صغيرة ، وسار وسط المفرزة خلفها على مسافة مناسبة آخذا على عاتقه مهمة تأمين المؤخرة حتى تخوم

الغابة . وكان علينا ان تتحاشى المحاصرة ... وسرنها بهـذه التشكيلة خلال نصف ساعة تقريبا ، ونحن نراقب ما حولنا بحذر نظرا لكثافة الغابة وتشابك اشجارها ، ولم نكن نرى الا الى مسافة عدة خطوات امامنـا . ووصلنا خلال مسيرنا الى بقعة صغيرة جـرداء ، وفيهـا عش مقـاومة (بلوكوس) لا يكاد يبعد عنا اكثر من عشرين مترا . وفجأة فتـح علـى رتلنا الصغير سيل ناري حقيقي اجبر رجالنا على الالتجاء خلف الاشجار. ثم ظهر امامنا عش رشاش واسلحة آلية اخرى . ويبـدو ان الحـراس السوفييت رأونا مسبقا وانسحبوا لينذروا رفاقهـم . ورددنـا علـى الرمايات بمثلها مستخدمين مسدساتنا الرشاشة وبنادقنا . وهنا لاحظنـا ان في نوافذ البيت الريفي المنعزل ٣ رشاشات موجهة الينا ، بالاضافـة الى رماة آخرين يقبعون خلف البيت او علـى التـلال المقابلـة للارض الجرداء . وبدا تفوق العدو العددي علينا واضحا . ومع هذا اعطـى قائدنا اوامره بتطويق المنزل من جانبيه ، واستطعنا اسكات الرشـاشات بالقنابل اليدوية . وعندما لاحظ الانصار اننا نقوم بحركة تطويق بدأوا انسحابهم . وغادر البيت من بابه الخلفي عشرون شخصا تحميهم نيـران الرماة المتمركزين على التل المقابل .. واختفى الجميع وسـط الغابـة الكثيفة قبل ان نستطيع اصابتهم ...

« ثم دخلنا المنزل ، فوجدنا فيه قتيلا وعدة اسلحة رشاشة ، وجبال من الرمانات ، والذخيرة والوقود .. الخ ، وتم تنفيذ المهمة بنجـاح . وقررت قيادة القطاع القيام بعملية اوسع نطاقا ، مبنية على استكشافات دقيقة ومعلومات تفصيلية . وحوصرت الغابة من جميع الجهات ، وجرى تفتيشها بدقة متناهية بالتعاون مع وحدات من الجيش . ووقعت خـلال العملية عدة اشتباكات استطعنا بعدها اخراج ١٥٠ رجلا مسلحا مـن اوكارهم واسر معظمهم بعد مقاومة عنيفة جدا .

وبينما كان الرجال الملتحمون مع الانصار يتحدثون عن اعمالهم ،

كانت التقارير تذكر الاحداث بلهجة رسمية لا تخلو من بعض الزخرف . وها هو تقرير كتبه ملازم تابع لسرية من سرايا راكبي الدراجات :

« عندما اكتسحت القوات الروسية مقدمتنا التجأت مع ضابط آخر وبعض الرجال بالجبل ، واندفعنا في شعابه بغية الالتحاق بقرية شوري. وقابلنا في الطريق جماعة مؤلفة من ١٤ رجلا من الانصار يرتدون الالبسة المدنية ويحملون البنادق الالية . وطاردنا هؤلاء الانصار عدة كيلومترات بمساعدة كلب بوليسي . ولكننا استطعنا تضليلهم والفرار منهم . وما ان سرنا فترة من الزمن حتى قابلنا مفرزة اخرى مسلحة بالرشاشات ومدافع الهاون ، وخسرنا في المعارك التي تلت رجلين ، ولكننا تمكنا مع ذلك ان تتخلص . وفي وادي لامارتا ... شاهدنا عدة عربات تسير على طريق يبدو في حالة جيدة ، وتحرسه جماعات الانصار بخفراء مزدوجين ، كما سمعنا مدفعا يرمي باتجاه بيجا ـ سالا » .

وكانت هذه التقارير تمر على قيادة الفوج فاللواء فالفرقة لتصل الى « الاركان المضادة للانصار » وقد خلت من معظم مبالغاتها . وها هي بعض الامثلة :

« تقرير فرقة المشاة ٥٠ ليوم ٢١ (تشرين ثاني) ١٩٤١ .

(أ) في ١٨ تشرين ثاني تعرضت عربة نقل تابعة للمفرزة المضادة للدبابات رقم ١٥٠ الى هجوم بالقنابل اليدوية ، فقتل جندي وجرح جنديان آخران ، ونجا جنديان استطاعا حماية الجريحين واسر اثنين من الانصار ، تم تسليمهما الى مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.)

(ب) في ١٧ و١٨ (تشرين ثاني) اشتبكت المفرزة رقم ١٥٠ المضادة للطائرات مع جماعة من الانصار تعمل قرب مزرعة ... وارغمتها على الفرار وتم اعدام رجل وامرأة .

(ج) في ١٩ (تشرين ثاني) ابلغ سكان ايوي ـ سالا العريف بارمان المتمركز مع جماعته في القرية عن وجود انصار داخل القرية ...

فقام هذا العريف النشيط بعمليات تفتيش سريعة قتل خلالها روسيان اظهرا بعض المقاومة . وكان احدهما يرتدي اللباس العسكري الالماني ويخفي تحت سترته سروال جندي روسي .. »

ويتتابع التقرير هكذا خلال صفحات وصفحات . وكانت التقارير الموجزة ترسل كل اسبوع الى مكتب العمليات . فيصدر الرائد ستيفانوس ما بين آونة واخرى معلومات عن نتائج العمليات ضد الانصار مع ذكر الاماكن التي وقعت فيها المعارك وخسائر الطرفين فيها .

وفي يوم ٥ (كانون اول) ١٩٤١ ابلغ الجنرال فون مانشتاين رئيسه المباشر قائد مجموعة جيوش الجنوب عن التدابير المتخذة والمضادة للانصار والنتائج التي تم الوصول اليها في هذا المضمار قائلا :

« وازاء هذا الخطر (يقدر عدد الانصار في بلاد القرم بحوالي ٨٠٠٠ محارب) تم اتخاذ تدابير سريعة ، الامر الذي اضطرنا في بعض الاحيان الى اشغال بعض القطعات عن مهماتها الاساسية لاستخدامها في القتال ضد الانصار وهذه الوحدات هي :

(١) الاركان المضادة للانصار (الرائد ستيفانوس من الاركان العامة) مهمته جمع المعلومات وتقديم كافة المعلومات المفيدة .

(ب) الفيلق الجبلي الروماني مع لواء الخيالة الثامن واللواء الجبلي الرابع .

(ج) الكتائب المضادة للدبابات ٢٤ و٥٢ و٢٤٠ ...

(د) في قطاع الفيلق ٣٠ : فوج الخيالة الرومانية الالية وبعض وحدات اللواء الجبلي الاول .

(هـ) في مناجم كيرش : كتيبة مهندسين ، وبعض مفارز الاستطلاع من افواج المشاة في فرقة المشاة ٤٦ .

(و) مجموعات من الحرس ودوريات صاعقة على عدة طرق جبلية.

« النتيجة التي تم التوصل اليها حتى الان : تطهير ١٩ معسكرا من

معسكرات الانصار • وتكبيد العدو ٦٤٠ قتيلا و٥٢٢ اسيرا مع تدمير عدد كبير من الاسلحة والذخائر والمعدات المختلفة والاستيلاء على اعداد كبيرة منها • ومنها ٧٥ هاونا ، و٢٢ رشاشا ، و٢٠ دراجة نارية ، وعدة عربات نقل ، و١٢ مستودع اعاشة ، بالاضافة الى كمية من الذخيرة والمواشي والزيوت والمحروقات ومحطتين لاسلكيتين » •

ولهذا التقرير اهمية كبيرة لانه يكشف ان القوات المخصصة لمجابهة الانصار في منطقة عمل جيش واحد تعادل فيلقا تقريبا ، وذلك في وقت كانت حركة الانصار فيه بعيدة كل البعد عن الشكل الواسع الذي اخذته فيما بعد • وهذا « ما اجبر القيادة في بعض الاوقات على اشغال بعض القطعات عن مهماتها الاصلية » •

وفي حوالي منتصف (كانون اول) ١٩٤١ كان الرائد ستيفانوس قد جمع وناقش كل المعلومات المفيدة المتعلقة بالمعارك ضد الانصار ، فبدأ يصيغ مذكرة تبحث اسس وقواعد السلوك الواجب اتباعه ازاء الاهالي المدنيين والانصار الاسرى • ويمكن مقارنة هذه المذكرة مع تعليمات قيادة الجيش الالماني العامة التي برزت بعد خبرة ٣ سنوات في هذا الصدد •

« ٢ — ••• يجب ان يخشى الاهالي من تدابير القمع التي نقوم بها اكثر من ان يخشوا تدابير الانصار •

« تم تشكيل مفارز مليشيا في بعض القرى ، فقدمت هذه المفارز لنا فوائد جلة • ولقد اعدم الانصار بعض افرادها ، الامر الذي يثبت كرههم لها ويدفعنا الى زيادة عددها وتوسيع نطاق اعمالها •

« يجب تقديم مكافأة مالية ومعنوية مجزية لافراد المليشيا ، والادلاء المتطوعين ، وجميع المدنيين الذين يقدمون معلومات هامة عن الانصار •

« يجب افهام الاهالي ان ما يأخذه الانصار منهم ضائع لا يمكن استعادته • وان للقوات الالمانية هدفا واحدا هو : تأمين سلامة المواطنين (كذا) •

« ٢ ــ قدمت لنا **عملياتنا ضد الانصار في بلاد القرم** خبرة واسعة في هذا الموضوع ، ولقد جمعت هذه الخبرة وركزت في مذكرة كتبها احد الضباط ثم استخدمت اهم فقرات هذه المذكرات ومختصرات التقارير الهامة الاخرى لتحضير « مبادىء الحرب ضد الانصار » المتعلقة بالشروط الخاصة التي يعيش فيها الجيش . وسنرى هذه المبادىء فيما يلي :

« II ١ - **تشمل العمليات ضد الانصار عادة ثلاث مراحل :**

(أ) الاستكشاف

(ب) الهجوم والقضاء على نقاط مقاومة الانصار .

(ج) الحماية .

« وتختلف هذه المراحل الثلاث حسب كثرة الانصار ، وحالة البلاد الداخلية ، واحوال منطقة العمليات في وقت ما ، ونوعية القوات المتوفرة لدينا .

« يلعب الجو دورا هاما في هذه العمليات .

« عندما تجري المعركة ضد الانصار في منطقة جبلية ، يتم نسف نقطة المقاومة التي تحددها مصلحة المخابرات العسكرية بهجمات تنطلق من عدة جهات متجهة نحو المركز .

« اما في الاراضي المكشوفة (اراضي مزروعة وغابات) فمن الافضل تطهير مناطق واسعة وذلك بانشاء جيوب حصينة تنطلق منها قوات استكشاف قوية .

٣ ــ الاساليب المتبعة للبحث عن المعلومات :

« ــ احاديث المدنيين مع العملاء او مع الجنود الذين يرتدون الزي

المدني (معرفة اللغة الروسية ضرورية في هذا الحقل) •

« ـ اعترافات المدنيين

« ـ اعترافات الانصار الهاربين من صفوف زملائهم •

« ـ اعترافات اهل الانصار واقرائهم

« ـ دراسة الوثائق والخرائط •• الخ التي يتم الحصول عليها خلال العمليات ضد الانصار •

« ـ التقارير حول هجمات الانصار •

« ان اعترافات الاشخاص الذين ساهموا في انشاء مستودعات الاعاشة والذخيرة اعترافات هامة • ويمكن استخدام هؤلاء الاشخاص كـأدلاء بعد اتخاذ احتياطات الامن اللازمة •

« يمكن ان تقدم دراسة الارض او الخرائط معلومات اضافية ثمينة ، على ان يتم العمل دائما تحت حجاب كثيف من السرية ، والا اخذ الانصار حذرهم وبدلوا مواقعهم •

« يجب ان تكون وحدات الاستطلاع المسلحة قوية وقادرة على التحول من الاستطلاع الى الهجوم في كل لحظة •

« يجب ان لا تترك للانصار اية فرصة للشعور بالنصر •

« يجب اختيار الجنود المشتركين في الاستطلاعات بكل عناية حسب وظائفهم في الحياة المدنية (حراس مزارع ، موظفو امن ، رعاة ••• الخ) حتى يتمكنوا من دراسة كل آثار العدو على الارض ، ويستطيعوا معرفة الطرقات وخصائص الارض ، ويخرجوا منها باستنتاجات عملية • وينبغي ان تكون عملية الاستطلاع مشابهة لعمل الهنود الحمر السائرين الى ساحات القتال او « لعبة عساكر وحرامية » • واصلح العسكريين لهذه العمليات اولئك الذين يحبون الصيد والقنص ••• ثم تقدم نتيجة الاستكشافات الى الضابط المكلف بقيادة العملية المتوقعة في المستقبل حتى يكون عنده فكرة واضحة عن الارض وقوة العدو وامكانيات

الدفاع او التراجع .. الخ .

٣ ـ **مهاجمة وتدمير مواقع مقاومة الانصار :** يجب ان يكون هذا الهجوم معدا بكل اعتناء . ويحمل الرجال معهم تجهيزات جبلية (حقائب ظهر . تجهيزات انقضاض . بوصلات . مناظير ... الخ) ومواد غذائية قابلة للحفظ (شكولاتة . خبز ميدان ... الخ) ويمكن تعيين بعض الرجال لحمل المؤن والذخائر . ويزود كل رجل بسلاح فردي خفيف وقنابل يدوية . ويرافق المفارز عدد من الممرضين .

تنشأ على مقربة من ارض العمل قاعدة عمليات يعرف مكانها جميع الرجال . وتفيد هذه القاعدة باستخدامها كمركز قيادة وتموين خلال العملية ، مع اتخاذ افضل التدابير للقيام بالاسعافات الاولية .

« **تزداد احتمالات وفرص النجاح بتزايد دراسة الاستعدادات واتقانها** »

هناك نوعان من الهجوم :

(أ) عندما يكون الاستكشاف الدقيق المسبق ممكنا : في هذه الحالة يتم الهجوم بعد الحصار ، ويمكن مهاجمة نقطة المقاومة من كل الجهات بآن واحد (مع تجنب السير على الممرات القريبة من العدو . والانتقال بصورة مخفية ... الخ) او باغلاق جميع المداخل ، ودفع مفرزة قوية نحو نقطة المقاومة ، تحت حماية نيران الاسلحة الخفيفة او المدفعية . وتنظم نقط مقاومة الانصار عادة مع ترك سبيل واحد يستخدمونه ويدافعون عنه جيدا . وقد اثبت استخدام الهاون ، ومدفعية المشاة ، والمدافع المضادة للمدرعات ، والمدافع الجبلية ، فائدة هذه الاسلحة في قطع هذا السبيل ، وتدمير نقاط المقاومة .

(ب) اذا لم يسبق الهجوم استكشاف واسع (نظرا لانعدام الوقت او لوعورة الارض .. الخ) فان الهجوم الجبهي هو الحل الوحيد الذي يمكن استخدامه بنجاح . ويمكن استخدام هذا الاسلوب عندما تقدم وحدة من الوحدات تقريرا عن قيام الانصار بهجمات في قطاعها ، وعن

احتمال القيام بمهاجمتهم ومطاردتهم بقوات كافية متوفرة لديها •

(ج) على القوات في كلتي الحالتين ان تتقدم مستخدمة الارض احسن استخدام ، وتفضل الحركة ليلا او مع الفجر بدلا من السير خلال النهار الذي يسبق العملية وقضاء الليل في مواضع امينة بغية بدء الهجوم في فجر اليوم التالي • وعلينا ان نلاحظ هنا ان الانصار قادرون على التملص من بين صفوفنا في الاراضي الجبلية والغابات ، والتملص من هجومنا اذا علموا به مسبقا •

٤ ـ **الغاية** : تهدف كل عملية الى ابادة الانصار ونسف اسلحتهم ومعسكراتهم ومستودعات اعاشتهم وذخيرتهم • ويستحسن بعد انتهاء عملية ما العودة الى ارض المعركة خلال عدة ايام • اذ يقدم لنا هذا العمل رصيدا كبيرا من المعلومات ، كما ان الانصار يعودون غالبا الى معسكراتهم المدمرة ليروا فيما اذا كانت مخابئهم الفردية سليمة ام لا • وهم يعتقدون ان عدوهم لن يرجع الى الهدف ثانية بعد تدميره ، ويعتبرونه مكانا امينا يمكن التمركز فيه من جديد •

٥ ـ الحماية : يجب تأمين حماية العمليات منذ البدء بالمهمة حتى العودة الى المعسكرات • وتحمل جميع الاسلحة دائما جاهزة للرمي ، ويمكن استخدام تشكيلة القنفذ قرب نقاط المقاومة المعادية وعند التراجع وقد يترك الانصار العدو يدمر معسكرهم ونقاط مقاومتهم بدون دفاع جدي ، ليقوموا بتدميره عند الانسحاب بفضل عدد من الكمائن • وعلى كل فرد من المشتركين في العمليات ضد الانصار ان يعرف :

« ـ الغاية •

« ـ المهمة الفردية •

« ـ السلوك الواجب اتباعه عند المباغتة •

« ـ السلوك الواجب اتباعه عند الابتعاد عن وحدته او الوقوع في الاسر •

« تنعدم الجبهة في هذا النوع من القتال . وليس هنالك جبهة ومؤخرات . وعلى الجميع ان يتحضروا للاشتباك بالسلاح الابيض في كل لحظة .

« تحمى سيارات القيادة من كل الجهات بواسطة راكبيها . وتوضع عادة في امكنة تؤمن لها الحماية من نيران الاسلحة الفردية . ويتم اختيار مكان تجمع عربات النقل والعربات الاخرى بكل اهمية .

« على جميع الرجال ان ينتظروا المباغتة على مختلف انواعها . ويتوقعوا وجود الكمائن في كل مكان ، وان يبحثوا عن مستودعات العدو ومعسكراته في كل بيت اذ ليس لهذه المستودعات ما يميزها عن غيرها . ولا تحمل ابوابها ونوافذها اية شبكات معدنية للحماية من السرقة .

« يجب تخريب مستودعات الانصار ومخائبهم واماكن اقامتهم بكل اعتناء ، حتى ولو وقعت الحملة عليها ووجدتها خالية خاوية .

« على القوات عندما تتقدم او تتراجع ان تعتبر كل مدني يوجد قرب الهدف مشبوها ، وان تعمل على ايقافه وتفتيشه ، ولا تطلق سراحه حتى ولو برهن على براءته الا بعد انتهاء العملية . فاذا ما حامت حوله اقل الشبهات وجب تسليمه الى اقرب مركز شرطة ، واعطاء هذا المركز معلومات دقيقة عن مكان وزمان توقيفه ، والظروف الخاصة المحيطة بذلك .

« يجب على كل جندي ان يعرف انه يقاتل ضد عدو مجهز وخطير . ومن الضروري استخدام كافة الاسلحة المتوفرة بلا استثناء . والعنف والقسوة امران ضروريان ، لان الرحمة في غير محلها تعرض رجالنا للخطر .

« من الغلط استخدام طريقة واحدة تقليدية في العمليات ضد الانصار ، والخبرة المستقاة من القتال خبرة عامة ، فالعمليات مختلفة

عن بعضها اختلافا بينا ولكل حالة طريقتها •

« يجب ان نفهم ان الانقضاض هو عبارة عن لعب جميع الاوراق الرابحة •

« ٦ ــ **الاتصالات** : يؤدي استعمال جميع وسائل الاشارة الى تسهيل العملية ، ويشارك في تحقيق النصر • وفي الهجوم على نقطة مقاومة من عدة اتجاهات تكون اجهزة اللاسلكي الخفيفة وسيلة الاشارة الرئيسية ويمكن استعمال شهب الاشارة ، والشهب المضيئة للاعلام عن الوصول الى نقطة معينة متفق عليها • ولكن لهذه الشهب مساوئها لانها تنذر العدو وتدله على مكان قواتنا • ويستحسن عدم استخدامها قبل محاصرة نقطة المقاومة تطويقا كاملا •

« يمكن استخدام الطائرات في العمليات الهامة لابلاغ القائد عن الامكنة التي وصلت اليها وحداته المتعددة ، وذلك بواسطة اللاسلكي او الرسائل المثقلة الملقاة من الجو • ولا يفيد الاستكشاف الجوي في الجبال والمناطق المشجرة الا اذا كان الجو صحوا (الطيران على ارتفاعات منخفضة) • ويقدم هذا الاستطلاع خلال العمليات العادية معلومات حتمية عاجلة لكشف نقطة المقاومة المعادية ، فهو يحدد وجودها بمجرد اكتشاف طرق ومسالك وآثار مختلفة ودخان في مناطق غير آهلة بالسكان•

« ٧ ــ **معاملة الاسرى** :

(أ) يتم التحقيق مع الانصار الذين يقعون في الاسر خلال العمليات ثم يعدموا رميا بالرصاص (اذا كانوا من جنود الجيش الاحمر السابقين) او شنقا (اذا كانوا من المدنيين) •

(ب) اما الانصار الذين يقعون في الاسر خارج العمليات فيتم شنقهم بلا استثناء ، ويعلق على صدورهم العبارة التالية : احد الانصار الذين لم يسلموا انفسهم ••• » •

وهكذا نصل الى نهاية تقرير ستيفانوس ، وكان التنظيم الـذي وضعه الجيش الحادي عشر آنذاك نموذجا يقتدى • واثبت هذا التنظيم فاعليته . ولا ادل على ذلك من تنويه قائد الشرطة العسكرية بهذا التنظيم في تقريره الذي قدمه الى القيادة العامة للقوات المسلحة في ٣١ (تموز) ١٩٤٢ • ويقول التقرير :

« تم الهجوم بنجاح على جماعات كبيرة من الانصار بفضل قوات الشرطة الميدانية وبالتعاون مع وحدات الجيش ولقد كان التعاون فعالا في بلاد القرم بصورة خاصة • اذ شكل الجيش الحادي عشر في هذه المنطقة « قواتا مضادة للانصار » ••• واستطاعت هذه القوات ابادة آلاف الانصار المتمركزين في مواقع دفاعية قوية ••• » ويلي ذلك لائحة طويلة من العتاد الذي تم الاستيلاء عليه من الانصار بدء من المدافع ١٠٥ مم حتى الخيول والابقار والاغنام •

وينتهي التقرير قائلا : « والاستنتاج الرئيسي الذي نخرج به من خبرة عمليات عديدة هامة هو ضرورة استعمال وحدات آلية ، وخلق مصلحة خاصة للاستكشاف •

وبهذا تعلم الالمان خلال احتكاكهم مع الانصار أشياء جديدة هامة•

ولم يكن التنظيم ضد الانصار مقصورا على الجيش الحادي عشر ، بل قامت جميع الجيوش بتنفيذ تعليمات القيادة العليا ، وشكلت وحدات خاصةمضادة للانصار، ترتبط مع أفكار قادة الجيوش وضروراتالموقف•

فنظم الجيش السابع عشر العائد الى مجموعة الجيوش الجنوبية « تنظيما خاصا للاستكشاف والقتال ضد الانصار » وضم هذا التنظيم مـا يلي :

ـ ضابط استكشاف من الجيش •
ـ ضابط أركان من الفوج •
ـ ضابط ملحق من مكتب الموقع •

ـ وقوات مطاردة على مستوى الفيلق والفرقة والفوج .

وقامت مجموعة الجيوش الوسطى بتشكيل « القرى المسلحة » فأنشأت ٦٠ نقطة محصنة تستطيع الواحدة منها دعم الاخرى ، والعمل بالتعاون التام مع وحدات الامداد والتموين وقطعات الامن المتمركزة في مختلف المناطق .

وشكلت مجموعة الجيوش الشمالية قوات خاصة لمطاردة الانصار يبلغ تعداد كل واحدة منها مائة رجل تقريبا .

وهكذا ظهرت الى الوجود الوحدات الآلية الصغيرة الفعالة قوات المطاردة وسنرجع الى ذكرها عند دراسة التعليمات والاوامر النهائية التي أصدرتها القيادة العليا للقوات المسلحة عام ١٩٤٤ . ولكننا سنرى هنا الاوامر الصادرة لتشكيلها من قبل مجموعة الجيوش الشمالية في نهاية شهر (آب) ١٩٤٣ .

تعليمات خاصة بوحدات المطاردة

« من الممكن مقاتلة عصابات الانصار بوحدات كبيرة نظامية ، ولكن هنالك مهمات صغيرة تتصف بأهمية خاصة يتم تنفيذها بكل نجاح بواسطة وحدات المطاردة القليلة العدد المزودة بأثقل الاسلحة وأفضل القيادات .

١ ـ على قادة المناطق الواقعة على مؤخرة مجموعة الجيوش ، وقادة قوى الامن ، وقادة جميع القوات العاملـة في مناطق عمليات الانصار ، وتنظيم وحدات كوماندوس المطاردة فورا .

« ـ التشكيل .

« ـ ضابط .

« ٤ ـ زمر تقريبا . تضم كـل زمرة عدد مـن العسكريين بالاضافة الى دليلين من الاهالي المدنيين الذين أثبتوا ولاءهم في الصراع ضد الانصار ويوضع تحت تصرف كل زمرة حصان أو حصانان لجر

العربات ونقل الاغذية والتموين .

٢ ــ تزود هذه المفارز بأسلحة جديدة مختارة بكل دقة . على ان يكون في كل واحدة منها مثلا رشاش خفيف . و ١ ــ ٢ بندقية روسية نصف آلية ذات منظار مقرب . ومسدسان رشاشان ومسدسا اشارة . ويحمل كل رجل أربع قنابل يدوية وكمية من المتفجرات .

٣ ــ يصير تدريب رجال وحدات المطاردة على مسؤولية قادتهــا المباشرين . وتعفى المفارز ان أمكن من خدمات الحرس وجميع الاعمال الاخرى . كي تلتفت الى مهمتها في العمل ضد الانصار واكتساب الخبرة في هذا الحقل .

٤ ــ يتم العمل بناء على التعليمات المرفقة المبنية على الخبرة في هذا المضمار ، وعلى نوعية أعتدة العدو التي تم الاستيلاء عليها .

٥ ــ تكون وحدات المطاردة بشكل تكون معه آلية الى أبعد الحدود حتى في فصل الشتاء . ولهذا تزود بزحافات فردية ، وعربــات زحافة ، وأعتدة تمويه شتوية ، والبسة شتوية خاصة . ويتم انتقاء قادتها وأفرادها بكل دقة مع الانتباه الى الملاحظات المذكورة أعلاه .

« ان التعليمات المشار اليها في الفقرة الرابعة هي :

١ ــ تتحرك وحدات كوماندوس المطاردة الى مناطق القتال ليلا وعلى الاقدام حتى تقلل احتمالات الخيانة ، أو التعرض لمرأى العدو . على أن تختبىء خلال النهار في الغابات بعيدا عن القرى بشكل يمنع الاهالي من ملاحظة وجودها أو رؤية الحراس الذين تضعهم حولها عند التوقف لحمايتها .

٢ ــ ما ان تصل وحدات كوماندوس المطاردة الى منطقة العمليات حتى تعمل كعصابات الانصار نفسها وذلك بان :

(أ) نستكشف الارض ، ثم تبث الكمائن في جميع الاماكن التي يحتمل قدوم العدو اليها . أي على المسالك التي تزرع عصابات

الانصار عليها عادة الغامها ، وعلى الجسور الخشبية التي تحاول هذه العصابات احراقها وتدميرها ، وعلى تخوم الغابات أو القرى التي تقول المعلومات ان العدو يستعملها في عمليات التموين •

(ب) تدمر وحدات كوماندوس المطاردة كل عدو يقع في هذه الكمائن ، على أن تتجنب الاحتكاك مع العدو ان تأكدت من تفوقه عليها ، وعليها في هذه الحالة ابلاغ قيادتها فورا •

وتقوم القيادة عندئذ بالتحضير لعملية أوسع • وتبقى وحدات كوماندوس المطاردة متمركزة في مكانها حتى قدوم القوات المعينة للعملية الجديدة وتعمل عندئذ معها كمفرزة استطلاع•

(جـ) لا يمكن ان يكون الكمين فعالا ومفيدا الا اذا تحلت وحدات كوماندوس المطاردة بالصبر • وقد تضطر للاختباء في منطقة ما عدة أيام وليال متعاقبة وهي تنتظر قدوم الخصم

(د) اذا لم تكن الظروف صالحة لتحقيق المباغتة ، لان الاهالي مثلا كشفوا مكان المفرزة عن طريق الصدفة ، تقوم هذه المفرزة باخلاء المكان فورا ، الا اذا تم أسر أو ابادة هؤلاء الشهود المزعجين بدون ضوضاء •

(هـ) على وحدات كوماندوس المطاردة ان لا تبقى في منطقة العمل بعد اغارة ناجحة • وان تتحرك حالا للقيام بمهمات جديدة •

٣ ــ تزود كل وحدة من وحدات كوماندوس المطاردة بجهاز لاسلكي مرسل (اذاعة متنقلة) ان أمكن ذلك • وتوضع مراكز تقوية اذا كانت منطقة العمل كبيرة •

٤ ــ لا يجب أن تكون العمليات في هذا النوع من القتال سريعة أو عاجلة ، فهي تتطلب على العكس كثيرا من الاناة والصبر •

استعمال مطبخ الميدان المتنقل • لذا تزود هذه الوحدات باعاشة احتياطية

٥ ـ يجب ان تتمتع وحدات كوماندوس المطاردة خلال العمل باستقلال اداري كامل • فلا تضطر الى مصادر المواد الغذائية أو ستعمال مطبخ لميدان المتنقل • لذا تزود هذه الوحدات باعاشة احتياطية تكفيها ١٤ يوما ، مؤلفة من اللحم المحفوظ والشوكولاته والدخان والخبز المجفف والقهوة أو الشاي •

٦ ـ بعد الانتهاء من عملية ناجحة تذهب وحدات كوماندوس المطاردة الى معسكر الراحة حيث يستريح رجالها ويستعيدون نشاطهم ويتغذون بشكل ممتاز ، ويكون لهم أفضلية في استلام المواد التموينية من النوادي •

٧ ـ تعود هذه الوحدات الى التدريب قبل البدء بعملية جديدة• وتهتم بتمارين الرمي وقذف القنابل اليدوية ؛ حتى يستطيع الرجال استخدام البندقية والبندقية الرشاشة بكل مهارة واصابة الاهداف أثناء المسير والركض •

٨ ـ يبدأ التدريب الشتوي مع بدء سقوط الثلج •

٩ ـ تزود وحدات كوماندوس المطاردة بالمعلومات الصحيحة ، وتقدم لها القيادة على الدوام أحدث المعلومات ونتائج الاستكشافات التي تتم في منطقة عملها •

١٠ ـ العمل في وحدات المطاردة يعتبر مكافأة •

وبعد ان رأينا تشكيل ومهمات التنظيمات الالمانية لمجابهة للانصار لا بد لنا من القاء الضوء على الدور الذي لعبه بعض الروس المتعاونين مع الالمان في هذا النوع من العمليات •

في يوم ٧ (تشرين أول) ١٩٤١ أصدرت فرقة المشاة الالمانية ٢٢ أمرا بتشكيل مليشيا مزودة بالبنادق بدون ذخيرة ، تكون مهمتها القيام بأعمال الشرطة المحلية ، ثم بدأ بعض التتار المناوئين للنظام البلشفي يتطوعون لمساعدة الالمان في محاربة الانصار • فشكلت وحدات

من التتار قدمت للالمان خدمات عظيمة .

ويقول الجنرال فون مانشتاين في اعترافاته التي أدلى بها أمام المحكمة العسكرية الدولية ، في نورمبورغ ما يلي :

« لقد ساعدنا في قتالنا ضد الانصار عدد كبير من الاهالي . ففي جبال ييلا ــ داغ في بلاد القرم كانت مناطق عمل الانصار وعرة يصعب الوصول اليها ، ولم يكن قتال الانصار ممكنا فلجأنا الى تجويعهم بقطع المؤونة عنهم ، ومنعهم عن النزول من الجبال الى قرى التتار بغية القيام بالتموين . لذا سلحنا بعض التتار ودربناهم . ثم قامت مصلحة الامن العسكرية للرايخ (S.D.) بعد ذلك بالباقي . وساعدنا هؤلاء التتار على اكتشاف مراكز ومستودعات الانصار .. ولم يدفعنا الى هذا العمل سوى قلة القطعات الالمانية الموجودة تحت تصرفنا ».

وفي (كانون ثاني) ١٩٤٢ أصدر الجيش الحادي عشر أمرا يتعلق بالشؤون الادارية تحت عنوان : « التدابير المؤقتة لتموين التتار الملتحقين بالقوات الالمانية » وفي هذا الامر ما يلي :

« ... تشكل مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) سرية حماية من التتار قوامها حوالي ١٠٠ رجل للاشتراك في القتال ضد الانصار في المدن والقرى التالية : كاراسوباسار ، باخسيشاراج ، سيبمفيروبول ، يالتا ، الوسشتا ، سوداك ، سانت كريم ، جوباتوريا .

ولقد قامت مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) فعلا يتألف ١٦ سرية من التتار بناء على هذا الامر .

كما شكلت وحدات محلية من القوزاق وجمعت في خمس كتائب. ويقول الجنرال رينهاردت أنه لم يكن من المستطاع الاعتماد على هذه الكتائب ، وان كتيبة منها قامت بعصيان مسلح وقتلت رقباءها الالمان في عام ١٩٤٣ الامر الذي دعا الى حلها بسرعة .

واسس الجنرال فرانزفون روكيس نفسه شرطة محلية مسلحة

لحماية الاهالي المدنيين أسماها (E.K.A.) مفرزة القتال الاهلية • كما تم تأسيس وحدة أخرى أطلق عليها اسم «وحدة حماية المزارع» • ويقال ان هذه التشكيلات قتلت ١٣٧ من الانصار ولم تفقد سوى خمسة من رجالها •

واستخدمت الشرطة والامن العام ومصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) رجالا يتمتعون بثقة الالمان او عملاء خصوصيين• وكانت تقارير الشرطة تنوه غالبا بخدمات هؤلاء العملاء • ومنها مثلا التقرير التالي:

« لقد عاد النشاط الشيوعي في أوكرانيا الى البروز ، ولكن مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) تراقب نشوء وتطور الخلايا الشيوعية بكل دقة بفضل استخدام الاهالي الموثوقين • الذين يقدمون للشرطة بلاغات دقيقة وافية عن وضع هذه التنظيمات »•

وكان استخدام الرجال الموثوقين واسعا في عمليات التفتيش عن المعلومات الخاصة بالانصار • وكانت هذه المعلومات تستخدم لاعداد الاغارات على مواقع الانصار فيما بعد •

وبالاختصار : أعطت القيادة الالمانية العليا بعد بدء الحملة العدوانية على روسيا بأربعة أشهر توجيهاتها الخاصة بالتنازل ضد الانصار ، وتلى ذلك سيل من الاوامر المختلفة الصادرة عن الجيش وعن مختلف تشكيلات القتال • وفي (آب) ١٩٤٢ جرت أول محاولة لاعادة بناء جميع الوحدات المضادة للانصار بصورة نموذجية ، وذلك عندما اصدر الى جميع الفرق أمرا بانشاء وحدات كوماندوس المطاردة •

وفي ١١ (تشرين ثاني) ١٩٤٢ أصدرت القيادة العليا للقوات المسلحة الالمانية أولى تعليماتها • ولقد لاحظ القارىء بلا شك ضرورة توحيد الاساليب بناء على التجربة التي مرت بها القوات الالمانية خلال ١٧ شهرا من الصراع ضد الانصار •

ويقول الجنرال البارون فون بوتلار برادنفلس رئيس قسم الاعلام

في القيادة العامة للقوات المسلحة ان التعليمات المعطاة في (تشرين ثاني) ١٩٤٢ حول الصراع ضد الانصار في الشرق بقيت بلا فائدة . ويبني البارون هذه الاقوال على الاحساس الذي تشكل عنده بعد قراءة التقارير القادمة من الجبهة . ولكلامه وزن كبير نظرا لمركزه والوظيفة التي كان يشغلها ، ولانه هو الذي صاغ التعليمات المذكورة سابقا . والحقيقة ان هذه التعليمات لم تكن أفضل من مذكرات الرائد ستيفانوس بكثير .

وتركت القيادة العامة لقادة الوحدات حرية انتقاء أفضل الاساليب القتالية للعمل ضد الانصار . على اعتبار ان القتال ضد الانصار عملية حربية ذات صفات خاصة وتحتاج الى استخدام تكتيكات خاصة مناسبة .

عندما تصطدم القطعات المتحاربة في الحرب التقليدية ، يكون الصدام على جبهة محددة نسبيا . ويمكن لهذه القطعات القيام بهجمات جبهية أو على المجنبات مع محاولة محاصرة العدو .. الخ اما في حالة الحرب ضد الانصار فينتشر العدو بشكل قنفذي ، ولا تؤدي الهجمات الجبهية الا الى اخراجه من مواقعه . وقد تكون هذه النتيجة هامة اذا ما تم الحصول عليها ضد عدو نظامي في معركة تقليدية ، ولكنها تفقد أهميتها في القتال ضد الانصار ، خاصة اذا تمكن هؤلاء الانصار التراجع لاعادة تشكيلهم في مكان آخر . والتطويق في الحرب التقليدية وسيلة من وسائل المناورة الممكنة ، ولكنه يعتبر في الحرب ضد الانصار الوسيلة الرئيسية الوحيدة للقضاء على جماعات الانصار قضاء تام .

وهناك بلا شك وسائل متعددة للوصول الى النصر بفضل الحصار او الهجوم الجبهي . ولكل وسيلة من هذه الوسائل محاسنها ومساوئها . وكان على القيادة الالمانية ان تقوم بواجبها في شرح هذه الامور ، ولكنها قصرت في هذه النقطة ولم تفعل ما كان عليها ان تفعله ، ولم توجه الى القطعات في الوقت المناسب مخططا عاما يشرح التكتيك المتبع ضد الانصار. ولو فعلت ذلك لكان هذا المخطط منطلقا يسمح بوضع تكتيك خاص

وتحسينه مع الزمن . ليتلائم مع امكانيات الانصار المختلفة . وهكذا تركت القطعات بلا توجيهات واضحة ، فكانت كجيش يقاتل بدون « نظام الخدمة في الميدان » واضطرت الى استنباط أساليب قتالية خاصة الامر الذي جعل نتائج العمليات صغيرة محدودة .

ويمكن ان نأخذ من هنا درسا هاما : وهو أن على كل جيش ان يضع منذ زمن السلم نظاما خاصا للصراع ضد الانصار .

الفصل السابع

عمل القوات الالمانية المضادة للانصار

« واستمرينا التقدم ... وتوغلنا داخل الغابة ، وكانت اشعة الشمس تتسلل الينا من بين اوراق الشجر ، انه صباح رائع ، تزقزق فيه آلاف العصافير بين الاغصان . وبعد قليل ازدادت صعوبات الطريق الذي غدا مليئا بالبرك والمستنقعات ، وكان الطريق يضيق مع تقدمنا ، وتغوص عجلات السيارات فيه بعمق بشكل يجبر الرجال على دفعها مسافات طويلة ومع هذا تابعنا تقدمنا بعناد ... وفجأة اتجه نحونا حصان يعدو مسرعا ثم وقف امامنا ، عندئذ شاهدنا الفارس الذي كان يتمدد على جانب حصانه على طريقة القوزاق ، فتقدمنا منه ... ونقل لنا المترجم كلامه بصوت منخفض ، لقد وصلت مقدمتنا الى تخوم الغابة المقابلة للقرية «م» وهي تؤكد ان في هذه القرية رجالا من العصابات يستعدون لتركها .

« وكان علينا ان نعمل بسرعة عملا يتقدمه الفرسان !... وانطلق الفرسان عدوا نحو جانب الغابة ، وامتدت امامنا ارض جرداء واسعة ، وكان علينا ان نجتاز ٨٠٠ مترا للوصول الى القرية ، وبعد القرية مباشرة تمتد الغابة من جديد ، وامامنا نطاق من المستنقعات بعرض ١٠٠ متر يحيط بالقرية التي كان ينبعث من مداخنها دخان كثيف ...

« ومرت الدقائق بطيئة واتجه اول فصيل من الخيالة نحو اليسار ،

وغرق رجالنا حتى اكتافهم في المستنقع البارد المتجمد . ولكنهم اجتازوه اخيرا واختفوا خلف سياج من الاشجار على الطرف الاخر من الارض الجرداء . وفي هذه اللحظة ازت اولى الرصاصات فوق رؤوسنا ، لقد كان عدونا يقظا . ولم يعد امامنا مجال للاختيار . وشق كبد قواتنا طريقه بصعوبة عبر المستنقعات . وتمركزت بعض رشاشاتنا الى يسارنا ، ونجح الخيالة في حركة الحصار بينما كان كبد قواتنا يجد صعوبة في الوصول الى القرية .

واضرمت الرصاصات المحرقة المنطلقة من رشاشاتنا الثقيلة النار في اهدافها ، وشاهدنا اشباحا تعدو نحو الغابة هاربة . وتسقط في فرارها تحت نيران اسلحتنا .

وبدأنا نسمع صوت اللهيب ، وسقوط اخشاب السقوف . وخوار الابقار المذعورة ، وصهيل الخيول المتراكضة وسط تلك الفوضى ... ثم دخلنا القرية التي ترك فيها الانصار قتلاهم ، واستنتجنا من آثار الدماء الكثيرة على الارض ان الخصم تكبد خسائر اخرى .

« ثم عرفنا بعد ذلك كيف تمكن العدو اكتشاف قدومنا بسرعة . لقد وضع على الطريق المؤدي الى القرية مخفرا اماميا متصلا مع قيادته بجهاز هاتفي ، ورأى افراد هذا المخفر فصيل الخيالة وهو ينتشر نحو اليسار ... ومع هذا نفذنا المهمة بنجاح .

« وكان انسحابنا بعد تنفيذ المهمة عسيرا ، فما ان دخلنا الغابة من جديد حتى لاحقنا الرصاص ، واشتبكت المؤخرة مع الانصار ... لقد كان تكتيك الانصار دائما الانسحاب امام تقدم قواتنا عبر المستنقعات وعلى طرق ومسالك صعبة وعرة ، ومراقبتها وملاحقتها وضربها من الخلف بعد انتهاء المهمة وبدء التراجع .. ورددنا على رماياتهم بنيران الرشاشات حتى اسكتناهم .

« ان المعركة قاسية ... ولكن معنويات المقاتلين المتطوعين ، واندفاع

رجال الـ (.S.S) وحماسهم وجسارتهم هي مقومات النجاح » •

ومع هذا لم يكن رجال الـ (.S.S) واعوانهم سعداء في هذا النوع من الاشتباكات • ولعل القيادة امرت بنشر هذا المقال لرفع معنويات الالمان وهذه قصة اخرى تختلف عن سابقتها اختلافا بينا :

« وانطلقوا مع مغيب الشمس المختفية وراء التلال ، وكانوا رقيبا وعريفا و١٥ جنديا من الذين مارسوا كثيرا من التجارب ، وحملوا بعض الاوسمة • انهم مقاتلون حقيقيون ، اعتادوا على الدوريات والاستكشافات وتدربوا على القتال القريب جسما لجسم •

« ولبثنا ننتظر عودتهم حتى منتصف الليل ، ولكن الوقت مضى دون ان تصلنا اخبارهم • وفي حوالي الساعة الثالثة صباحا تناهت الى اسماعنا بعض الاصوات ، وسمعنا صوتا مكبوتا يشبه صوت سقوط جسم بشري على الارض ، واسرعنا نحو مكان الصوت فوجدنا العريف ووجهه مخضب بالدماء • وتمكن العريف ان يتمتم بكلمات متقطعة يتخللها سعال عنيف ، وعرفنا منه ما وقع لرفاقه ، عندها جمع القائد مفرزة سريعة الحركة انطلقت على ظهور الجياد لنجدة رجالنا وتخليصهم من مأزقهم •

« واليكم ما حصل بالتفصيل مع الرقيب ورجاله : لقد فتشوا الغابة ووصلوا الى منطقة قليلة الاشجار ، عندها وجدوا انفسهم فجأة امام قوات متفوقة تسد الطريق امامهم • وحاول العدو التقدم نحوهم فورا •• ووقع رجالنا امام حوالي ١٥٠ من البلاشفة • ووقع اشتباك عنيف وسط الغابة ••• وانتشر رجالنا بكل ثقة وهدوء ليعطوا العدو فكرة خاطئة عن عددهم ونواياهم ، ولجره الى معركة قاسية على جبهة عريضة ، ثم تقدموا وكبدوا البلاشفة بعض الخسائر ، وعندما قرروا التراجع اخذوا تشكيلة قنفذية بدأت ترمي على العدو الذي اندفع نحوها بكل عناد رغم غزارة النيران • وقام بهجوم لتحقيق الخرق •

« وسقط في صفوفنا قتلى ، وجرحى ، وقل عدد الجماعة الصغيرة ،

ولكن قائدها كان ماهرا يستخدم رجاله بكل مهارة • وكان كل جندي من جنودها مقاتلا ممتازا يقوم بواجبه بكل بداهة وشجاعة •

« وقاتل رجالنا ٣ ساعات تقريبا بدون تعزيزات ، ولم يكونوا قادرين على الصمود اكثر من ذلك ضد قوات متفوقة عليهم . فأرسلوا العريف الينا لطلب النجدة • وما ان ترك العريف جماعته حتى اصطدم بجماعة من الانصار واشتبك معها بقتال سريع وحشي . وسقط من البلاشفة قتيلان وتلقى العريف طعنة حربة في كتفه وضربة اخرى على ام رأسه كادت ان تؤدي به ، ثم جاء يزحف عبر الغابة والارض الجرداء يتبعه بعض الروس المسلحين بأسلحة آلية •

« وما ان وصلت الوحدة السريعة الحركة الى مكان الاشتباك حتى حاصرت العدو واشتبكت معه في معركة قاسية ادت الى سحقه وابادة معظم افراده ، وانتهت المعركة وسط الغابة خلال نصف ساعة ، وانسحب رجالنا واسعفنا الجرحى • وكان علينا بعد ذلك ان نصنع صليبين من الخشب ونودع صديقين من رجالنا •

« هكذا كان عمل جماعة الاستكشاف وكان عرض الجبهة يجبرنا دائما على تشكيل مئات والاف من هذه الجماعات في كل سرية وفوج وفرقة • ولم يكن الذهاب مع بعض الرجال المنعزلين ، والتغلغل في الغابات الكثيفة والمستنقعات امرا سهلا ممتعا •

« وكان على رجالنا ان يبرهنوا على مهارتهم في المعارك ضد الانصار ومهرة الرماة الكامنين بين الشجيرات وخلف الادغال ، ويؤكدون تفوق تدريبهم على تدريب العدو وتفوق اساليب القتال لديهم » •

« ولقد كنا بحاجة لالاف الدوريات ••• ان التكلم عن هذا الامر سهل ولكن تنفيذه صعب جدا • وتتطلب اصغر العمليات ضد الانصار اعدادا كبيرة • وها هو الاسلوب الذي تمت به احدى اغاراتنا على العصابات :

« القـرار :

« تتم مهاجمة الانصار من ثلاث جهات ، ويعمل افراد المليشيا مـع قواتنا كأدلاء . وتتألف قواتنا من :

١ ــ مفرزة شرطة عسكرية : ضابط و١١ جنديا .

٢ ــ جماعة شرطة عسكرية : ضابط و١٨ جنديا .

٣ ــ فصيلة مشاة : ضابط و٣٠ جنديا .

٤ ــ اشخاص من مصلحة الامن العسكري للـرايخ (S.D.) ٣ ضباط و٩ جنود » .

فماذا كانت نتيجة هذه الاغارة ؟ يحدثنا التقرير التالي عن النتيجـة قائلا :

« في الساعة ١٠،٤٥ اصطدمت الوحدة المتقدمة مع جماعة مؤلفة من ٦ ــ ٨ من الانصار مع ٣ خيول ففتحت النار فورا . وسقط رقيب مـن الشرطة العسكرية قتيلا بعد ان اصابته رصاصة في قلبه ، وكان هـــذا الرقيب قد قتل احد الانصار برصاصة في رأسه . وتم اسر اثنين من الانصار احدهما جريح وجرى اعدامهما . ولقد حققت مع الجريح بمساعدة مترجم من الاهالي الموالين ثم استلمته مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) واعدمتــه » .

ويدل التقرير ان نتائج هذه العملية اقل من عادية بالنسبة للقـوات المستخدمة فيها (٦ ضباط و٦٨ رجلا) .

وكان على الالمان مراقبة وتفتيش الغابات والقرى والمستنقعات والسير بحذر وحيطة على جميع المسالك .

« اذ يسير على الطريق رجال يحملون الاكياس ولا يدل شكلهم على نواياهم العدوانية . ومع ذلك يتم تفتيشهم جميعا ، ولقد قدم احدهم مرة وثيقة مطبوعة بالالمانية تشهد بأن فلان فلاح مسالم يعود الى بلده . وكانت هذه الوثيقة تحمل توقيع وخاتم القيادة الالمانية . ولكننا اكتشفنا حيلتــه

لان الاوامر الواردة الينا مؤخرا تدل على امتناع القيادة عن منح مثل هذه الوثائق . كما ان الكتابة كانت بلغة المانية غريبة لفتت انظارنا .

وعندما فتشنا هذا الرجل وجدنا معه ديناميت مخبأ في قاع كيسه تحت كمية من الخرق البالية والالبسة الداخلية . وفهمنا فورا معنى ذلك . انها بداية عمليات تخريب ! واعطيت الاوامر على طول الطريق ، وتم القاء القبض على عدد كبير من المدنيين الذين يحملون وثائق مشابهة ؛ وكان بعض الانصار قد خربوا الطريق في مكانين، وجرى اصلاح التخريب بسرعة . وتم شنق عدد من الانصار على الاشجار القريبة من الطريق » .

وكانت القوات الالمانية تجبر على التدخل في المدن والمدن الصغيرة مستخدمة عددا كبيرا من الرجال ، لان اصغر العمليات بحاجةالى تعداد كاف . وسنصف فيما يلي عمليتين من هذه العمليات هما : اغارة على سيمفيروبول ، واغارة على مدينة لم يذكر اسمها .

الاغارة على مدينة سيمفيروبول قام بها الجيش الالماني الحادي عشر، واليكم فيما يلي جزء من امر العمليات الصادر عنه :

« نظرا لقيام الانصار بعدة حوادث ، ورغبة بالاشتباك مع اكبر عدد منهم ، تقوم قواتنا باغارتين على مدينة سيمفيروبول في ٢٦ و ٢٧ (تشرين الثاني) على ان يتم تنفيذهما فيما بين الساعة ١٧،٠٠ والساعة ٢٠،٠٠ .

غاية العملية :

١ ــ قطع جميع الصلات بين السكان المدنيين والانصار .

٢ ــ توقيف والتحقيق مع كل شخص يشاهد خارج منزله بعد حلول الظلام ، رغم اوامر حظر التجول .

« يتم استخدام ٤٥٠ ضابطا وجنديا تقريبا في هذه العملية ، على ان يتم محاصرة المدينة في الليلة الاولى لعزلها عما حولها، وتقسيم الضواحي

المحاصرة الى أربعة قطاعات يتم تفتيشها من قبل العناصر المكلفة بذلك . ثم ينتقل العمل في الليلة التالية لتفتيش المدينة نفسها بعد تقسيمها الى أربعة قطاعات .

« تسجل أسماء الموقوفين على لوائح خاصة ، ثم يؤخذون الى مكتب الموقع ليتم استجوابهم من قبل شرطة الميدان السرية ومصلحة الامن العسكري للرايخ ».

ويدل تقرير قائد العملية على انه تم القبض على ٦١١ مدنيا خارج بيوتهم ، ولقد كان هدف العملية كما نعرف « الاشتباك مع أكبر عدد ممكن من الانصار » ولكن التقرير لا يشير الى تحقيق هذا الهدف أم لا . لذا يمكننا اعتبار الحملة كلها فاشلة لانها لم تحقق غايتها رغم التحضيرات الكبيرة ، ورغم استخدام ٤٥٠ رجلا فيها .. وعلى كل حال لم يتحسن الوضع في سيمفيروبول بعد العملية ، ولم يتبدل الموقف لصالح الالمان .

ولم تصب الاغارة الاخرى نجاحا أكبر ، ولقد قامت مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) بتنظيمها، وقادها في ١٢ (كانون ثاني) ١٩٤٢ الدكتور براون (حكمت المحكمة العسكرية في نورمبورغ بعد ذلك على الدكتور براون بالاعدام) . وسنعود عند شرح هـذه العملية الى أمر من أوامر مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) . ومن المعروف أن عدد الاشخاص الذين اطلعوا على مثل هذه الاوامر عدد قليل جدا ويقول هذا الامر :

« ١ ـ بناء على أوامر القيادة العليا للجيش الحادي عشر ، تجري في ١٢ (كانون ثاني) ١٩٤٢ الساعة ١١,٠٠ عملية مباغتة بغيـة ايقاف ايقاف العناصر المشبوهة : أنصار ، مخربين ، جنود أعداء ، مظليين بألبسة مدنية ، زعماء شيوعيين ، يهود .. الخ .

« ٢ ـ تكلف القيادة العامة للجيش الحادي عشر المجموعة د. مـن مجموعات الكوماندوس الخاصة التابعة لمصلحة الامن العسكري

للرايخ (.S.D) القيام بهذه العملية ، ويضع قائد الموقع قواته تحت تصرف هذه المصلحة وتتألف من ٢٣٠٠ رجل و ٥٥ دركيا و ٢٠ شرطيا من شرطة الميدان السرية ٠

« ٣ ـ يرأس العملية الرائد الـ (.S.S) الدكتور براون قائد فصيلة الكوماندوس الخاصة ١١ ـ ب ٠ ويكون مقر قيادته في مكتب الموقع ٠

« ٤ ـ تقسم المدينة الى ستة قطاعات تتفق حدودها مع حدود قطاعات الدفاع والمليشيا ٠ (يلي ذلك أسماء رؤساء القطاعات والامر يتبع)٠

« ٥ ـ سيكون تحت امرة قادة القطاعات القوات التالية :

« القطاع الاول :

٣٥٠ رجلا من قوات القطاع ٠
١٠ من رجال الدرك ٠
١ ضابط من مصلحة الامن العسكري للرايخ (.S.S)
١ رقباء وجنود من مصلحة الامن العسكري (.S.D)
٣ مترجمين اضافيين ٠
٤ سيارات نقل ٠

« القطاع الثاني :

٥٠٠ رجل من قوات القطاع ٠
١٠ من رجال الدرك ٠
٣ من رجال شرطة الميدان السرية ٠
١ ضابط من مصلحة الامن العسكري للرايخ
١ مترجم من مصلحة الامن العسكري للرايخ
٦ ضباط وجنود من مصلحة الامن العسكري للرايخ ٠
٣ مترجمين اضافيين ٠

٣ سيارات نقل .

« القطاع الثالث :

٢٥٠ رجلا من قوات القطاع .

٩ من رجال الدرك .

٣ من رجال شرطة الميدان السرية .

١ ضابط من مصلحة الامن العسكري للرايخ

١ مترجم من مصلحة الامن العسكري للرايخ

٦ رقباء وجنود من مصلحة الامن العسكري للرايخ

٣ مترجمين اضافيين .

٣ سيارات نقل .

« القطاع الرابع :

.... الخ »

ويلي ذلك تفاصيل دقيقة عن الاجتماعات التحضيرية والشؤون المالية، والتعليمات الخاصة بتوقيف الاهالي المدنيين .

ولم تحقق هذه العملية نتيجة كبيرة . لقد تم من جرائها بالفعل توقيف ١٥٥٠ شخصا أرسل ١٤٧٥ منهم الى معسكرات أسرى الحرب وسلم الباقون الى مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) . وبعد التحقق من هويات الموقوفين في معسكرات أسرى الحرب أطلق سراح ١٤١٥ منهم بينما تعرض الستون الآخرون الى استجواب اضافي . اننا لا نعرف هل كان بين الموقوفين او من استلمتهم مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) أنصار أم لا . ولكننا نعرف ان الالمان استخدموا فوجا مؤلفا من ثلاث كتائب تقريبا لاسر حفنة صغيرة من الانصار — ان كان بين الموقوفين من أنصار — .

ثم اطلق سراح معظم الموقوفين بعد هذه الحملة التي انتهت الى لا شيء . ولكن يبدو ان بعض عمليات الالمان حققت النجاح في أماكن

أخرى ، ففي بيسشوج ـ القرم ـ قام الجيش بعملية استخدم خلالها فوجا (٣ كتائب) • وقتل في هذه العملية ٣٥٠ من الانصار ، كما تم العثور على كمية كبيرة من الغنائم •

ولقد رأينا في تقارير الالمان بعد بعض العمليات المماثلة ان عدد الانصار القتلى كبير جدا (١) •

ولا شك ان الالمان قاموا بعمليات انتقام مخيفة خارج المدن ، ولكنهم شعروا ان حملاتهم لا تؤدي وحدها (في حالة نجاحها) الى نتائج حاسمة• فأضافوا اليها تدابير قمع وارهاب موجهة ضد الانصار والسكان المدنيين على السواء •

وفي ١٨ (كانون اول) ١٩٤١ أرسل قائد مجموعة جيوش الجنوب الى قادة الجيوش الملاحظة التالية : « لقد توقف نشاط الانصار تقريبا في قطاع الجيش السادس (كان هذا الجيش تابعا لمجموعته ويقوده فون ريخناو) وتعود هذه النتيجة الى التدابير الشديدة التي طبقها هذا الجيش • ومن التدابير المجدية الكافية لتهدئة منطقة ما تهديد الاهالي بمصادرة مخزونهم من المواد التموينية ، واحراق قراهم اذا لم يعلموا السلطات عن وجود الانصار في الوقت المناسب •

« وفي خلال عمليات هذا الجيش تم شنق آلاف عديدة من الانصار او اعدامهم رميا بالرصاص • ويمكن ان تؤكد بناء على التجربة والخبرة ان للشنق تأثيرا أكبر على الاهالي المدنيين • وهكذا اختفى عدد كبير من المتسكعين في طول البلاد وعرضها بلا وثائق تثبت شخصياتهم • هؤلاء المتسكعون الذين كان رجال المخابرات والاستعلامات والانصار يندسون بينهم بغية الاختفاء والتمويه • وتوقفت بذلك عمليات التخريب •

« ويدلنا هذا على ان التدابير المشابهة كافية للوصول الى أهدافنا المحددة ، لان السكان المحليين يخشونها أكثر مما يخشون تدابير الانصار•

« وينصح قائد مجموعة الجيوش بأخذ تدابير مماثلة عندما يكون

ذلك ضروريا » .

وتعود بنا هذه الملاحظة الى ذكريات وصور قاتمة مؤلمة . ولكن كل هذا لم يكف للتأثير على السكان المدنيين ، وتابع الانصار عملياتهم بنجاح فقررت القيادة الالمانية أخذ الرهائن .

ولقد ذكر موضوع الرهائن لاول مرة في التعليمات الخاصة الموجهة للقوات الالمانية في القرم كتدبير من التدابير المناسبة للتخلص من كتائب التخريب العاملة في هذه المنطقة . ويعود اتباع هذه الطريقة الى خوف الجيش الالماني من وجود ٨٠٠٠ من الانصار المسلحين جيدا والعاملين تحت قيادة جيدة . وكان اسم هذه التعليمات الخاصة : « تعليمات حول القتال ضد وحدات المخربين » ونجد فيها ما يلي :

...« يتم تنفيذ التعليمات التالية في القرم .

« (أ) تستخدم جميع القوات للقتال ضد وحدات التخريب على ان تتلاءم القوات المستخدمة مع تنظيمات الانصار وطبيعة الارض .

« (ب) يتم خلال الاستكشاف استخدام أشخاص ينحدرون من عائلات تعيش في قواعد الانصار ، أو يحتمل اتصالها بالعصابات .

ويتم استجواب الاسرى من الانصار حسب التعليمات المعطاة بهذا الصدد .

« (ج) ينبغي محاولة الضغط على أهالي الانصار المنضمين الى كتائب التخريب حتى يقنعوا ابناءهم بالعودة الى صفوفنا . ولقد نجحت هذه الطريقة في حالات متعددة . ويؤدي توزيع المنشورات وأخذ الرهائن الى نتائج حسنة في مثل هذه الحالات .

وهذا مثال للمنشورات التي وزعت آنذاك .

« ما يجب ان يعرفه كل فرد من أفراد الانصار .

« لماذا يقاتل ؟ انه يقاتل لان رؤساءه خانوه ولا يفكرون الا بانقاذ رؤوسهم ، وتحاشي المثول أمام محكمة الشعب .

« ضد من يقاتل ؟ انه يقاتل ضد شعبه ، ويستولي على غذائه ، وبهذا يتعرض الشعب الروسي للموت جوعا .

« ما هي النتيجة التي سيصل اليها ؟ لا شيء ..! ان انتصار الجيش الالماني الحاسم لا يمكن ان يتأثر بعمل حفنة من الرجال بعد ان وضع ملايين الجنود الروس خارج المعركة .

« ماذا يجب أن يعمل اذن ؟ كل هذا يبرهن ان عمليات الانصار بلا معنى ، انها تتم ضد بلادكم نفسها ، فيا أيها الانصار ! اخرجوا من مخابئكم واستسلموا ، وستعاملون كأسرى الحرب . يا سكان المدن والريف ، قاتلوا ضد الانصار ان كنتم تحبون بلدكم ، وان شئتم الا تموتون جوعا . ان كل من يساعد الانصار يرتكب جريمة ضد الشعب ويؤخر بزوغ عصر جديد من عصور الحرية » . وكان الالمان يعتبرون هذا المنشور جواز سفر لكل مقاتل من الانصار يود الاستسلام . ومع هذا دلت التقارير الالمانية على « أن عددا من الانصار اعدموا رغم جميع الوعود والمواثيق » ولم يلبث هذا الخبر ان انتشر في طول البلاد وعرضها.

ثم تلى هذه التعليمات والمنشورات أمر أكثر وضوحا يتعلق بالرهائن ، وهو صادر عن قيادة الفيلق ٣٠ الذي يقوده الجنرال فون سالموت . ولقد زاد هذا الامر تدابير الارهاب المأخوذة ضد الاهالي المدنيين . وهو يحدد عدد الرهائن التي يجب اعدامها عندما يقتل الانصار او يجرحون جنديا المانيا او رومانيا . ويبدأ الامر كما يلي :

« لقد تزايدت العمليات في الايام الاخيرة ، وقتل الانصار خلالها عددا من الجنود الالمان والرومانيين ، الامر الذي يستدعي اتخاذ تدابير مضادة شديدة .

« ويجب ايقاف جميع الاشخاص المنتمين الى احدى الفئات التالية فورا واخذهم رهينة في كل مكان تعسكر فيه القوات .

« الاشخاص الذين التحق بعض اقاربهم الى الانصار .

« أعضاء الحزب ، وأفراد الشبيبة (الكومسومول) ، والمرشحون للحزب .

« الاشخاص الذين كانوا أعضاء في الحزب .

« الافراد الذين استلموا وظائف رسمية وادارية قبل قدوم القوات الالمانية والرومانية .

« كل من يتم ايقافهم خارج القرى دون ترخيص خاص .

« توضع هذه الرهائن في معسكرات اعتقال ، ويتم اطعامها على حساب الاهالي . وينفذ حكم الاعدام بعشرة من هؤلاء الاسرى مقابل كل جندي الماني او روماني يقتله الانصار . كما ينفذ حكم الاعدام بواحد من الاسرى ان سقط الماني او روماني جريحا على يد الانصار . ويتم الاعدام ان أمكن في المكان الذي تم فيه قتل الجندي . وتبقى الرهينة معلقة في المكان نفسه ثلاثة ايام بعد موتها .

يقوم اللواء الروماني الجبلي الاول بعمليات التوقيف في القرى التي لا تشغلها القطعات (خاصة في الجبال) على ان يتم احتلال هذه القرى مؤقتا من قبل القطعات .

ثم الحق هذا الامر بلائحة بمعسكرات الاعتقال الواجب انشاؤها . وأرقام الوحدات المكلفة بهذه المعسكرات . وتبدو الفقرة الاولى من هذا الامر قاسية مخيفة .

« ــ كوتبسشوك موسكومجا . يقوم بانشائه فوج المشاة ١٢٤ .

« ــ ألسو . يقوم الفوج الجبلي الروماني الاول .

« ــ وارنوتكا . ويقوم بانشائه فوج المشاة ٢٦٦ .

« ــ بيجوك موسكومجا . يقوم بانشائه فوج المشاة ١٠٥ .

« — هاتيا • تقوم بانشائه كتيبة الرشاشات الرومانية ١٤ •
« — بادجاري • ويقوم بانشائه فوج المدفعية ١٧٣ •
« — ساشتيك • تنشئه كتيبة المهندسين ٧٢ •
« — فوروس • تنشئه الكتيبة ٧٢ المضادة للمدرعات •
« — ويحدد المخطط المرفق مقياس ١/١٠٠٠٠٠ حدود المناطق التي توضع الرهائن في داخلها وترسل الى معسكرات الاعتقال •
« يتم اعدام هذه الرهائن رميا بالرصاص ، فاذا ما قامت العصابات اجراء عملياتها في المناطق المذكورة وجب اعدام الرهائن شنقا حسب التعليمات المحددة في فقرات الامر المذكور اعلاه » •

وكلف الرؤساء المعينون لانشاء المعسكرات بمهمة القتال ضد الانصار • وكان عليهم تنصيب قواد مسؤولين في المدن والقرى التي يتم فيها أخذ الرهائن •

وصدرت الاوامر للقوات العسكرية التي تنقل الرهائن ان تسلم هذه الرهائن الى قائد أقرب موقع عسكري تشغله القوات الالمانية بصورة مستمرة ، اذا ما وجدت نفسها مضطرة للتوقف فترة طويلة للتموين ان رأت ان عليها التوقف والاقامة في قرية لا تحتلها قوات عسكرية كافية للدفاع عنها •

وكان عدد الرهائن يختلف حسب طريقة تفكير القائد وطريقته في معالجة الامور كما يتناسب مع أهمية القرية او المدينة ، وضرورات الموقف الداعية لاستخدام الشدة • وكان من الشائع اعدام الرهائن بعد قيام الانصار بعمليات تدمير ، حتى ولو لم تسفر هذه العمليات عن وقوع قتلى وجرحى • ولقد تعرضت كييف الى عدة حملات أخذ فيها عدد كبير من الرهائن لايقاف عمليات التدمير •

والوثيقة الاولى التي نملكها حول كييف هي تقرير (تشرين ثاني) ١٩٤١ الذي كتبته فرقة الامن ٤٥٤ وفيه ما يلي : « تم اعدام ٨٠٠ من

الاهالي المدنيين رميا بالرصاص انتقاما لعمليات التخريب التي يقوم بها الانصار » ولم تكن هذه العمليات سوى اضرام الحرائق • ثـم أصدر قائد حامية المدينة اعلانا موجها الى الاهالي يقول فيـه : « لقد دمر الانصار مركز المواصلات السلكية واللاسلكية ، وبما أننا لم يتمكن من ايقاف الفاعلين ، فقد أعدمنا ٤٠٠ من الاهالي المدنيين رميا بالرصاص »•

وكانت حماية خطوط السكك الحديدية مشكلة جوية أمام الالمان ، ولقد حاولوا جاهدين ايجاد حل يضمن سلامتها ، وسنذكر مثالين يدلان على بعض أساليبهم في حل هذا الموضوع •

نشر الفيلق ٤٤ أمرا يقول فيه : « عندما تخرب العصابات الخطوط الهاتفية او السكك الحديدية ••• الخ • تختار السلطات حرسا مـن الاهالي وتضعهم في الاماكن الحساسة التي يحتمل قطعها ، فاذا ما وقع التخريب يقتل الحارس الذي تجري العملية داخل القطاع المكلف به • وعلى السلطات أن تختار الحراس ممن لهم أقارب في المنطقة ، حتى يتم اعتقال هؤلاء الاقارب عند فرار الحارس والتحاقه بالانصار »•

لقد كان هذا حلا ذكيا !! وفي المثال الثاني ، نشر الجنرال فون روكيس قائد مؤخرات مجموعة جيوش الجنوب أمرا ذهب فيه أبعد من ذلك • اذ انه أمر باخلاء السكان في منطقة عرضها ١،٥ ــ ٢ كيلومترا على طرفي السكة الحديدية ، مع أخذ رهائن من الاهالي • على ان تشنق الرهائن على طول الخط الحديدي اذا تعرض للنسف •

وأزعجت الالغام الموضوعة داخل المدن القوات الالمانيـة • ففي سمفيروبول قامت عربـة تحمل مكبرات الصوت بالتجول في المدينـة يوم ١٦ (تشرين أول) ١٩٤١ لاذاعـة أمر عسكري موجه للمدنيين • ويقول الامر : « لقد تم انشاء مكتب خاص لنزع الالغام في ساحة المدينة، وعلى كل من يعرف او يشتبه بوجود ألغام موقوته او متفجرات في المباني او في أي مكان آخر ، ان يعلم هذا المكتب الخاص حالا • وستعطى

مكافأة مالية لاصحاب المعلومات الصحيحة ؛ ٠٠ أما من يعرف مكان الالغام والمتفجرات ولا يخبر المسئولين عنها فعقابه الموت ٠

« فاذا ما خرب الانصار أحد مباني المدينة ، دون ان يقدم الاهالي معلومات مسبقة تكشف العملية وتمنع النسف ، انتقمت قواتنا لهـذا العمل باعدام ١٠٠ من الاهالي المدنيين » ٠

وبالرغم من هذه التدابير الصارمة الى اعادة الهدوء في المدينـة استمر نشاط الانصار ، فبعد عدة أيام من اذاعة الامر العسكري وقعت الحوادث التالية :

« أعدم الالمان في يوم ٢٩ (تشرين ثاني) ١٩٤١ خمسين شخصا من سكان سيمفيروبول انتقاما لما يلي :

« ــ في ٢٢ (تشرين ثاني) انفجر لغم في منطقة لـم يتم التبليغ عنها بأنها مشبوهة ، فقتل بذلك جندي ألماني ٠

« في ليلة ٢٧ ــ ٢٨ (تشرين ثاني) جرى اغتيال رقيب ألماني ٠

ونحن لا نعرف عدد الرهائن التي اعدمها الالمان ، كما لا تتمكن من تحديد عدد الانصار او المشكوك بهم الذين قتلوا في المعارك أو بعد الاسر ٠ ولكننا نعرف أن عدد الانصار كان يتزايد باستمرار ، وان الالمان اصبحوا في النهاية عاجزين عن تجميع القوى اللازمة للقيام بعمل حازم ضدهم ٠

ويقول الجنرال ديتمار في حديث بالراديو الالماني : « ان الصراع ضد العصابات مهمة شائكة جدا ، ولم يعد استخدام وحدات صغيرة يؤدي الى نتائج حاسمة ٠ وليس لدينا اليوم قوات كبيرة نزجها في هذا العمل ، لان ظروف المعركة تفرض علينا استخدامهـا في مهمات أشد خطورة ، لذا فاننا نجد انفسنا مجبرين على الاكتفاء بحماية الاهداف الهامة ، واجراء بعض عمليات القمع الانتقامية ما بين آونة وأخرى » ٠

ولا يمكننا اليوم تقدير القوات التي كان الالمان بحاجة اليها لتصفية

جميع العصابات ، ولكننا قادرون على معرفة القطعات التي جرى استخدامها فعلا لهذا الغرض .. وتقول التقارير : استخدمت مجموعة جيوش الوسط عام ١٩٤٣ حوالي ١٠٠ ألف رجل للقتال ضد الانصار . وفي الجنوب استخدم الجيش الحادي عشر في (كانون اول) ١٩٤١ لوائين رومانيين ، ووحدات من لواء آخر ، وفوج (٣ كتائب) وعدة كتائب مستقلة ، و ٣ مفارز مضادة للمدرعات ، وعدد من الوحدات الاخرى ، في القتال ضد الانصار . وفي ١٩٤٢ أعلن الجنرال بونومارنكو ما يلي :

« تقدر القوات الناشطة ضد الانصار بـ : ١٤٤ كتيبة من الشرطة و ٢٧ فوجا من الشرطة (ويتألف كل فوج من ٣ كتائب)، و ٨ أفواج أخرى ، و ١٠ فرق من وحدات الـ (.S.S) ، وفيلقين من الشرطة ، و٤٢ وحدة خاصة ، وحوالي ١٥ فرقة ميدانية، بالاضافة الى الفرق الهنغارية ١٠٢ و ١٠٥ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٩ ».

فاذا ما أضفنا الى هذه القوات المشغولة ، عدد الالمان الذين قتلوا أو جرحوا خلال العمليات ضد الانصار ، عرفنا ان العصابات قامت بمهمتها خير قيام .

وأدى نقص القوات الالمانية الى اضعاف العمليات المضادة للانصار، وجعلها عمليات كثيرة الخسائر عديمة الفائدة . ولو كان لدى الالمان قوات كافية اضافية لاستطاعوا ايقاف الانصار وتجويعهم بعمليات مطاردة مستمرة لا تكلف الالمان خسارة كبيرة .. ولكن الوضع آنذاك كان يضطر الالمان على تصفية مجموعات الانصار واحدة تلو أخرى ، بغية تحرير قواتهم لزجها في عمليات جديدة من هذا النوع . لقد كان عليهم ان يهاجموا طوال الوقت متعرضين بذلك الى خسائر كبيرة . ولتأكيد هذه الفكرة علينا اجراء مقارنة تكتيكات الالمان في روسيا مع تكتيكات الجنرال بريج في ماليزيا .

يقول الرائد شيفر في التكتيك الالماني :

« ان ابادة وتصفيــة هذه العناصر (الانصار) عمــل ضروري جدا ••• وليس الهدف من العمليات طردها الى مكان آخر بل القضاء عليها قضاء تاما ••• فاذا ما تسللت العصابات الى منطقة ما ، أو سيطرت عليها وجب علينا تطويق المنطقة فجأة ، وتفتيشها بكل دقة ، وفي هــذه الحالة يكون النجاح أكيدا شريطة أحكام طوق ضيق حول المنطقة منذ البداية ، لمنع وحدات معادية قوية من الخرق أو التملص • ثم يجري تضييق الطوق قطاعا أثر قطاع ، ويوما بعد يوم بتقدم عام أو متناوب ••• يحدده الموقف وطبيعة الارض • فيندفع العدو رغم أنفه نحو خط محصن مسبقا تشغله قواتنا ، ويستحسن ان يدعم هذا الخط مانع طبيعي (نهر مثلا) ••• فاذا ما نظرنا الى خارطة مناورة من هذا النوع ، وجدنا أن خطوط الحصار المتعاقبة حسب الاهداف اليومية ، وحدود عمل مختلف القطعات المشتركة في العملية تشبه شبكة العنكبوت شبها تاما ••• ومع هذا ينبغي ان لا نظن ان هناك مخططا واحدا جامدا يلائم كل الحالات، فلكل موقف مخطط يناسبه •

« ويتطلب تطهير الادغال ومناطق البحيرات والمستنقعات اعدادا دقيقا لاننا اذا أكتفينا بالمسير على طول مسالك الغابات الصالحة استخدام العربات المجنزرة انتهت العملية الى الفشل ، والتجأ رجال العصابات الى معسكراتهم المموهة ومخابئهم دون حراك ••• لذا يجب اختراق الغابات الكثيفة والمستنقعات على الاقدام من طرف الى طرف • وقد يضطر الجنود الى التماسك بالايدي خلال المسير لانقاذ كل من يغرق في مستنقعات الوحل فجأة ••• وقد يسيرون أياما عديدة دون ان يتوقفوا توقفات طويلة للاستراحة • وعليهم عند الوصول الى هدفهم اليومي أن يقفوا بانتظار حلول الظلام للقيام بالخرق ••• ولا تستريح القطعات في الليل ، لان عليها تأمين الحراسة بشكل دقيق ••• وكيف تستريح والارض حولها موحلة وملغومة أحيانا •

ان خصمنا يستخدم كـل أنواع الحيـل والافخاخ ، وهو عند مرورنا في حفر تغطيها الاغصان والاوراق ، ولا يتحرك بعد ذلك • ولكل جماعة مختفية معسكرات ومخابيء الانصار في مناطق الغابات والمستنقعات التي يتعذر فيها المرور ، ان لهؤلاء الانصار قدرة غريزية عجيبة على الاختباء •

ولقد قدم الجيش الالماني المدرع الثالث تقريرا يذكر فيـه انـه قام بـ ٩٩٢ معركة ضد الانصار في غضون ستة أشهر (من ـ تشرين ثاني ـ ١٩٤٣ حتى ـ نيسان ـ ١٩٤٤) كان متوسط قتلى الانصار ١٠ في كـل معركة ••• ونحن نعرف ان الالمان خسروا في هذه المعارك خسائر كبيرة لم يتمكنوا من تجنبها •

فلنقارن الآن التكتيك الالماني كما سردناه ، مع مخطط الجنرال بريج ، كما وصفه المراسل الحربي لصحيفة التايمز في ماليزيا ، عندمـا تحدث عن التكتيك الجديد قائلا : « اننا لم نعد نقوم بعمليات بحث ومسح واسعة النطاق عبر الغابات الكثيفة ، اذ انها عمليات قليلة الجدوى وتتم على محور الانسحاب التكتيكي المتوقع للعدو ••• ولقد استعضنا عن هذه الوسيلة بتجميع قواتنا في مناطق هامة اقتصادية منتشرة على طول حدود الغابات » •

أي اننا كنا نحاول المحافظة على الفاعلية الايجابية في ماليزيا ، مع التعرض الى أصغر خسارة ممكنة •• ولم يكن الالمان يؤمنون بهذا الرأي ، بل كانوا ينقضون على الانصار بصورة مستمرة ، ويصابون في هجماتهم خسائر كبيرة كانت سببا فعالا من أسباب هزيمتهم •

الفصل الثامن

التكتيك الالماني المضاد للانصار

سيسجل التاريخ بحروف من نور كثيرا من الانصار الشجعان ، لقد خلقت الحرب العالمية الثانية عشرة منهم ورفعتهم الى مستوى أبطال الاساطير ، وقدمت الحرب العالمية الاولى لورانس ، وأبرزت حرب جنوب أفريقيا ويت ، كما أظهرت الحرب الاهلية الامريكية موسبى ومورجان وفوريست ، ويذكر التاريخ أنصارا مشهورين مثل هوفر وسشيل وجاريبالدي ودياز •

الا ان التاريخ لم يذكر مرة واحدة قائدا من قادة القوات المضادة للانصار القدماء او المحدثين • وبقيت أسماء هؤلاء القادة مجهولة لا يعرفها الا بعض الباحثين المختصين • ويستثنى من هذه القاعدة القائد ديرليوانجر التابع لقوات الـ (S.S.) الذي كان يتمتع بنفسية خاصة • ولقد كتب قائد القوات المضادة للانصار والملحق بقيادة قوات الـ (S.S.) فون باخ زيليوسكي تقريرا يتكلم فيه عن لواء ديرليوانجر (كان ديرليوانجر يقود لواء في الجبهة الروسية خلال الحرب العالمية الثانية)• ويقول التقرير : « كان هذا اللواء مشكلا من مجرمين سابقين، حكم عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة ، وتقضي الاوامر الرسمية بتشكيل هذا اللواء من السردين ، ولكنه كان يضم بين صفوفه الاشخاص

المحكومين لارتكابهم جرائم السرقة او القتل .. الخ » وكان لهذا اللواء الغريب سمعة كبيرة بين نزلاء السجون الالمانية ، قبل ان تلحقه القيادة الالمانية بمجموعة جيوش الوسط .

ولقد جرى تشكيل هذا اللواء على مراحل ، فعندما بدأت الدولة تشكيله لم تتمكن من جمع أكثر من كتيبة واحدة ثم انقلبت الكتيبة الى فوج (٣ كتائب) تحول بعد ذلك الى لواء.

قد يكون قائد الانصار ضابطا نظاميا ، ولكن عليه ان يتناسى كل ما تعلمه في الانظمة العسكرية ، ويقاتل بناء على غريزته والهامه وتجاربه وخصائصه في التوقع مسايرة لقوانين العصابات . وقادة الانصار الحقيقيون موجودون في كل زمان ومكان ، وتجدهم بلادهم عندما تحتاج اليهم . أما قادة الوحدات المضادة للانصار فلا وجود لهم ، ويتصف عملهم بأنه عمل خاص يحتاج الى خبرة تقنية خاصة . وعليهم أن يتمتعوا بصفات وتدريب العسكريين ، بالاضافة الى ميزات ومهارة ضباط الشرطة . وليس هنالك دولة دربت في جيشها مقاتلين للعمل ضد الانصار ، ولا يعتمد هؤلاء المقاتلين الا على خبرتهم الفردية التي يكتسبونها بكل صعوبة . ولا تكفي الدروس النظرية لتعليمهم واجبات عملهم ، وعندما تصقلهم التجربة يكون الوقت قد فات للاستفادة من تجربتهم .. لهذا كله لم يسجل التاريخ اسم قائد كبير واحد من قادة الوحدات المضادة للانصار .

ولا يتمتع قائد الوحدات المضادة للانصار بشخصية تجذب الجماهير وتجبرهم على التعلق به ، وهذا ما جعل جميع هؤلاء القادة مجهولين ، وليس هنالك من درس قبل الحرب العالمية الثانية عمليات الانصار بشكل علمي جدي ، وخرج من دراسته بنظام خاص للعمليات المضادة للانصار ، او توصل على الاقل لأسس العمل ضد العصابات عند اللزوم . ولم يستخدم الالمان خبرة ضباطهم في العمليات المضادة

للانصار ، لذا لم يلمع أي رومل مضاد للانصار ، ليصنع بنفسه قواعد تكتيكية يتبعها الجميع من بعده ، علما بان هذه القواعد بديهية تقريبا ..

ان تكتيك العصابات الحديث مرتكز على تعليمات ماوتسي تونغ النظرية وخبرته العملية ويقول ماو : « ان قرصات البعوض قادرة على استنزاف دم العملاق الذي لا يستطيع استخدام قوته ضدها ..» لذا يجب أن تفكر القوات المضادة للانصار بضرورة تلقيح العملاق بلقاح واق يعطيه مناعة ضد لسعات البعوض . وايجاد الوسيلة المناسبة التي تسمح للعملاق باستخدام قوته . أي ان على القوات المضادة للانصار ان تنشىء جهازا ممتازا لتحقيق حيطة وأمن القطعات والمنشآت الدفاعيـــة لان تحقيق الامن مهمة دفاعية حاسمة . كما ان على هذه القوات ان تستخدم في عمليات الصراع ضد الانصار تفوقها المادي بالمعدات (طيران ــ دبابات ــ عربات نقل ــ قطارات مدرعة .. الخ) .

وفي عام ١٩٤٤ أصدر الالمان نظاما للحرب ضد عصابات الانصار ذلك لان القيادة الالمانية العامة تبينت مع الزمن ، كما يقول الجنرال فون براند نفلس ، ان « المبادىء المذكورة في تعليمات عام ١٩٤٢ لم تمنع عمليات الانصار من الامتداد . وكانت القيادة العليا في الميدان ترغب باجبار الاهالي المدنيين في البلاد المحتلة على التزام الهدوء والقيام بأعمال منتجة ، حتى تستطيع هذه القيادة التوصل الى أهدافها العسكرية بدون مشغل جانبية » .

ولم تكن العصابات الناشطة مقتصرة على الجبهة الروسية والبلقان في الشرق ، ولكنها كانت تضم المقاومة السرية الفرنسية التي بدأت تنتشر في الغرب بشكل فعال . ولقد أعدت التعليمات هذه المرة بعد دراسة فلم تصدر بصورة ملحقة وتحت ضغط الاحداث كتعليمات وتوجيهات عام ١٩٤٢ ، بل كانت نتاج أعمال ودراسات اشتركت فيها مكاتب أخرى مثل مدير ادارة النقل في الجيش الالماني ، وهكذا رأت

هذه التعليمات النور في ٦ أيار ١٩٤٤ .

وهي تمثل جهود المانيا الاخيرة لتنظيم العمليات المضادة للانصار وتوحيد شكلها ، ولكن الالمان كانوا يتراجعون آنذاك خارج الحدود الروسية ، وبعد سنة تقريبا انتهت الحرب .. وكان الجيش الالماني في هذه الفترة مشغولا بفتح طريق التقهقر نحو ألمانيا ، ولم يكن في وضع يسمح له ببذل أية جهود جدية ضد الانصار في الاراضي . الروسية.

وفي هذا الوقت كان الانصار يتمركزون بقوة خلف خطوط الالمان. ولم يكن الالمان قادرين على قلب الموقف لمصلحتهم بجهد يائس يبذلونه في آخر لحظة .

ونحن لا نقول هذا لنقلل من قيمة تلك التوجيهات الناجمة عن تجربة عملية خاضتها القوات الالمانية خلال ثلاث سنوات ضد الانصار ، ولكننا نود اعطاءها قيمتها العملية الحقيقية ، فهي مؤلف كلاسيكي مهم يبحث في العمليات المضادة للانصار . ولقد نقلنا اهم فقراته بشكل حرفي ووضعناها في نهاية هذا الكتاب .

لقد قلنا سابقا ان على الرئيس الماهر للقطعات المضادة للانصار ان يكون عسكريا جيدا وشرطيا بارعا . وتعتمد قيمته الهجومية على مزاياه العسكرية ، على حين تحتاج عملياته الدفاعية الى اساليب بوليسية .

وتطرح التوجيهات الالمانية مبدأ الحماية (الدفاع) كما يلي :

« يجب على القوات ان تحمي كل ما يهم سير الحرب ، وتمنع عنه هجمات الانصار » . وهذا مبدأ واسع جدا ، لان الحرب الحديثة جعلت الاهداف الحيوية او الهامة او اللازمة لمتابعة المجهود الحربي كثيرة متعددة . فهناك السكك الحديدية والقاطرات والشاحنات ، والطرق البرية ، والطرق المائية ومراكبها ، والمنشآت الصناعية والادارية ومراكز وشبكات الارتباط (الاشارة) ، والمنشآت الزراعية ، ومؤسسات استثمار الغابات بالاضافة الى القوات المسلحة نفسها .

وعندما هاجم الحلفاء في نهاية الحرب المانيا وايطاليا ، قامت قيادتهم بحماية القطارات والسكك الحديدية بوضع حراس علـى طول الخـط الحديدي ، مع حراس دائمين في المحطات وعلى الجسور ، بالاضافة الى مفارز متفرقة هنا وهناك قرب النقاط الحساسة •• ولم تتعرض مواصلات الحلفاء الحديدية لاي حادث هام ، وكان هذا الجهاز البسيط للحمايـة كافيا •• واضيف الى هذه التدابير بعد ذلك تدبير جديد يتوخى المحافظة على سرية تحركات الشخصيات الهامة جدا ، ولكن قوات الحلفاء لم تكن تتعرض آنذاك لعمليات عصابات مهمة يقوم بها انصار اعداء •

وعندما توغل الالمان داخل الاتحاد السوفييتي كانوا يعتقدون بأنهم قادرون على تطبيق نظام مماثل لحفظ مواصلاتهم ، ولكن سرعان مـا تبددت اوهامهم حول فاعلية هذا الاسلوب ، ولم تكف حراستهم لمنـع الارض من الانفجار تحتهم • ولقد وجد البريطانيون انفسهم في موقف مشابه خلال الحرب في جنوب افريقيا ، اذ كان القناصة المهرة من البوير يقتلون ويجرحون سائقي القطارات الانجليـزية بما في ذلـك سائقـي القطارات التي تنقل المواد الغذائية لعائلات البوير الموضوعة في معسكرات الاسرى •• عندها طالب السير ارثـور كونان دويـل « ان تستخـدم السلطات البريطانية الوسائل المطبقة من قبـل معظم الجيوش في ظروف مشابهة •• وتشمل هذه الوسائل اخذ رهائن من الاهالي ، ووضع عربة كاملة من هذه الرهائن وراء القاطرة مباشرة لمنـع الانصـار نهائيا من مهاجمة القطارات » • ولم يستفد الالمان من هذه الملاحظـة • ولعلهـم كانوا لا يرغبون بأخذ بعض الاهالي للنزهة داخل قطارات الجنود مجانا وفكروا بتعبئة حراس من الاهالي على السكك الحديدية ، بعد اخـذ عائلاتهم كرهائن ، ولكن عمليات اخذ الرهائن جعلتهم يستقطبون فـي كل يوم عداء عدد جديد من السكان • ثم اتخذوا بعد ذلك تدابير خاصة

لتحقيق حماية تنقلاتهم ، ولم تخل تدابيرهم من المبالغات المفرطة او من الابـداع •

وضع الالمان في بداية الامر شاحنات بضاعة فارغة امام القاطرات ، ولما لاحظ الانصار ذلك اخذوا يضعون على السكك الغاما اقل حساسية لا تنفجر تحت شاحنات البضاعة الخفيفة ، ولكنها تنفجر تحت تأثير وزن القاطرات •• فحمل الالمان شاحنات البضاعة بالحجارة ، وعندها استعمل الانصار الغاما تأخيرية ، فما ان تمر شاحنات البضاعة المدفوعة امـــام القاطرة حتى ينفجر اللغم تحت القاطرة نفسها •• ثم بدأ الالمان يرسلون شاحنات الاصلاح الصغيرة امام القطار ، حتى تقوم باكتشاف السكـــة وتنظيفها من الالغام • عندها قرر الانصار وضع الغامهم بعد مرور هذه الشاحنات الصغيرة • وكان هذا عملا خطيرا ، ولكنه ادى الى افســاد تدابير الالمان ، وتابعت العصابات عمليات التدمير والنسف •

ولم يقف الالمان مكتوفي الايدي ، لسبب بسيط هو انهم لا يقدروا على ذلك ، فنظموا جهازا جديدا للحماية ، واعطوا الافضلية لحمايـــة الطرق الحديدية • ووضعوا مراكز دفاع في جميع المحطات وعلى نقــاط التحويل والجسور والانفاق ومستودعات المياه ، وعلى النقاط الحساسة من السكك نفسها اذا كانت المسافة بين المراكز متباعدة • وكان على كل مركز ان يتصل بالمراكز المجاورة بدوريات اتصال مستمرة • كما كـــان عليه ان يقوم بدوريات استكشافية تسير على طــول الخـط الحديدي لتكشف الالغام وتوقف المخربين • وكان عليه اخيرا ان يحمي نفسه من الهجمات المباغتة • ولقد استخدم الالمان الكلاب البوليسيــة في هــذه المهمات على نطاق واسع •

ثم فهم الالمان بسرعة ان هذه المراكز عاجزة عــن تحقيق اهدافهــا اذا لم تسيطر سيطرة تامة على الارض الممتدة على طرفي السكة الحديدية

فأنشأوا منطقة أمن تمتد على شكل شريط يسير مع السكـة الحديدية بعرض ٥٠ متر من كل جانب . وقطعوا جميع الاشجار الموجودة داخل هذه المنطقة باستثناء خط رفيع من الاشجار القائمة قرب الخط الحديدي نفسه . وبهذا الشكل منع الالمان رجال الانصار من استخدام مواضـع رمي قريبة ومحمية ، كما موهوا الحركة على الخط الحديدي باخفائهـا خلف هذا الجدار الرفيع من الاشجار » .

وكان لعمال السكك الحديدية ، ورجال الاتصال وقطعات الحماية فقط الحق في السير داخل منطقة الامن . وكان الالمان يوقفون المدنيين الذين يحاولون اجتياز هذه المناطق ، فان لم يجدوا معهم تصريحا خاصا يسمح لهم بذلك ، اعدموهم رميا بالرصاص .

ولقد تطلب هذا النظام الخاص بالدفاع عـن السكـك الحديدية استخدام عدد كبير من القطعات ، ولم يكن ذا فلعية كبيرة ، الا انه كان الطريقة الوحيدة الممكنة في تلك الظروف الصعبة ، وضد عدو يعـرف كيف يتلاءم مع مختلف الاوضاع . وكان على قادة القطعات المكلفـة بالحماية تأمين الدفاع ، وتخصيص العدد الـلازم مـن الرجـال للقيام بهجمات فعالة ضد الانصار . وكانت اوامر القيادة تفـرض بقـاء ثلث الرجال جاهزين لمثل هذه المهمات .

وكانت حماية الطرق مهمة شائكة ايضا . وحاول الالمان اقـلال الخطر بمنع الحركة الليلية في المناطق المشبوهة ، واستخدام نظام القوافل عند الحركة نهارا . وكانت الدوريات الالية تجوب الطرقات الرئيسيـة باستمرار ، وأمنت حراسة الجسور والنقاط الهـامة الاخرى بمواقـع ثابتة قويـة .

ولن نذكر بالتفصيل تدابير الحيطة الاخرى التي اتخـذها الالمان لحماية المنشآت الهامة المختلفة ، ولكن من الظاهر ان هـذه الحمـاية لم تكن كافية لوحدها ، وكان تمركز القوات وثباتها قـرب المنشـآت

والمراكز الحساسة يضعف فاعليتها ويقلل تأثيرها . وكان عليها ان تتصرف بايجابية ، وتقوم بتنفيذ مهمات قتالية ضد الانصار لابعاد خطرهم . لذا تلقى جميع القادة اوامر تؤكد ضرورة استخدام عدد محدود جدا من رجالهم في تدابير الحيطة الثابتة ، والاحتفاظ بالقوات الباقية لمهاجمة العصابات حسب بداهتهم وتقول الاوامر : « تبتعد الوحدات عن مركز الحيطة مسافة تتعلق بتعدادها ، وتسليحها ، وحقل عملها ، ووضع العصابات نفسها » .

وكانت مهمة تأمين الدفاع عن القطعات السائرة او الواقفة في اماكن الاقامة من اصعب المهمات . وتقع على عاتق القطعات نفسها .

ولن نخوض هنا في التفاصيل ، ولكن من المعروف ان على قائد أية وحدة سائرة في منطقة عمل الانصار ان يستعلم عن وضع هذه العصابات ويراجع خارطة خاصة معدة لهذا الغرض . وكانت السلطات المحلية المسؤولة عن العمليات ضد الانصار تعدل الخرائط يوميا ، مستخدمة في ذلك المعلومات القادمة من « مراكز جمع المعلومات » التابعة لمصلحة الاستخبارات ، والموجودة قرب كل قائد محلي مكلف بمقاتلة الانصار . وكان كل مركز يتلقى جميع المعلومات التفصيلية المتعلقة بالعصابات العاملة في منطقته ، ويحاول جاهدا تحديد زمان ومكان مشاهدة عصابة ما ، وقوتها ، وتشكيلها ، واهدافها ، ونواياها ، واسم رئيسها ومفوضيها السياسيين وقادتها الحاليين ، وعاداتها ، ومعسكرها ، ومراكز اسعافها ، ومستودعات ذخيرتها واسلحتها ، ونقاط اتصالاتها ، ثم يرسم خارطة خاصة عن نشاط الانصار ، تعادل في دقتها خرائط العمليات التي ترسمها شعبة العمليات في اركان الجيوش النظامية وتعين عليها جميع مواقع العدو .

وما ان يقدر قائد الوحدة السائرة الموقف حتى يتخذ القرارات اللازمة لتأمين حيطته المباشرة . وعندما يدخل المناطق المشبوهة يدفع

امامه عددا من الكشافين لاستكشاف كل قرية تصادفهم • وتسير جماعة كشف الالغام على رأس كبد قواته ، وتوزع الاسلحة الثقيلة على طول الرتل ، ويمسك الجنود اسلحتهم الفردية والجماعية جاهزة للرمي فورا • وتقلل المسافات المعهودة بين عناصر رتل المسير • فاذا ما سار الرتل على طريق غير مستكشف مسبقا ، وجب عليه اخذ احتياطات خاصة ضد الالغام • وتوضع امام الرتل قطعان ماشيه او كاسحات الغام مصنوعة من جذوع الاشجار ، وهكذا كان القطعات الالمانية تضحي بسرعتها لتأمين دفاعها ، وكانت الظروف السائدة آنذاك تجبرها على ذلك •

اما دفاع اماكن الاقامة والمعسكرات والمخيمات فكان يؤمن بشكل يذكرنا بمعسكرات الرواد الامريكيين الاوائل داخل مناطق الهنود الحمر •• اذ كانت القوات الالمانية تتجنب الانتشار ، وتنشىء المخيمات متقاربة من بعضها حتى تأخذ شكلا قنفذيا تحيط به حواجز الاسلاك الشائكة •

وكان الخفراء يتمركزون في النقاط المشرفة وابراج الحراسة • ولقد ادرك الانجليز في حروبهم ضد السودانيين منذ ٧٠ عاما ان من الصعب استعمال مخافر امامية فعالة ضد الانصار ، ويقول بيرسي كروس ستاندينج في « قادة حرب الانصار في العالم » •

« كانت الاشجار تحيط بأسوار معسكرنا المنخفضة التي لم ينته انشاءها بعد • وكانت هذه الاشجار عالية وكثيفة بشكل يمنع خفراءها من الرؤية لمسافة بعيدة ، لذا لم يكن لدى الحراس الوقت الكافي للانسحاب وانذارنا بعد مشاهدة العدو ، لان العدو كان يطاردهم بسرعة ويصل الى معسكرنا معهم تقريبا •• وفهمنا ان مراكزنا الامامية غير مجدية لان العدو يحقق التماس معنا قبل ان تتخذ التدابير اللازمة لمواجهته ، كما ان المراكز الامامية كانت تعرقل رمايات كبد القوات لانها

تنسحب داخل حقول رميها . ويؤكد الرائد كادويـل مؤلـف كتـاب « الحروب الصغيرة » ان استخدام جهاز المخافر الامامية اللازمة لتأمين الدفاع متعذر في الحالات المشابهة لمعركة توفريق » .

ولقد وجد الالمان مشاكل مشابهة بلا شك ، ولكنهـم وجـدوا الوسائل الفعالة لتذليلها ، فدمروا معظم الموانع الموجودة حول نقاط الحراسـة ، وقطعوا الاشجار والشجيرات في الغابات ضمن منطقـة قطرها ٤٠٠ مترا . وأمنوا اتصالا هاتفيا أو لاسلكيا دائما بين الحراس ومعسكراتهم ، وسمحوا للحراس باستخدام الاشارات المضيئـة عند اللزوم . واننا لنتساءل كيف كان الالمان ينعمون بالراحة لحظة واحدة في مناطق عمل الانصار اذا كان عليهـم ان يسيروا نهارا ، ويقوموا بأعمال الحطابين والرعاة ليلا ؟.. ولكننا تتساءل أيضا كيف كان بوسعهم تأمين راحتهم لولا هذه التدابير ؟

وكان عمل جهاز الدفاع والحيطة الالماني مرتكزا على عمل مصلحة استخبارات قوية ، وسنهتم بهذه المصلحة قبل كل شيء مـع دراسة التدابير الهجومية التي اتخذها الالمان ضد الانصار .

رأينا في الفصل الرابع كيف قامت مصلحة استخبارات الانصار بأعمالها لتحقيق مهمتين هما : كشف نوايا العدو ومعرفة كل ما يمكن الحصول عليه من معلومات لنجاح العمليات القادمة . وسارت مصلحة الاستخبارات المضادة للانصار على المبدأ نفسه . ولقد رأينا سابقا ما هو مركز جمع المعلومات ، وسنرى الآن الشق الثاني بعمل الاستخبارات، وهو الاستكشافات المنفذة قبل وخلال العمليات .

تؤكد التوجيهات الالمانية ان على قائد العملية المضادة للانصار ان يبحث دائما عن المعلومات ، ليكمل المعلومات الموجودة لديه سابقا والتي استقاها من مراكز جمع المعلومات ، وذلك بالقيام باستكشافات دقيقة حول بعض النقاط التي يود معرفتها بشكل أعمق . وهو يملـك لهذه

الغاية ثلاث وسائل :

اولا : الرجال الموثوقون : وهذه وسيلة جيدة لانها أبسط الاساليب وأقلها تعرضا للنقد ، ويلعب الرجال الموثوقون في العمليات المضادة للانصار دورا يشبه الدور الذي يلعبه رجال استخبارات الانصار • ولكنهم عاجزون عن التغلغل مثلهم بسهولة بين الاهالي المدنيين • وهم لا يتمكنون من الاقتراب كثيرا من أهدافهم ، لذا تكون معلوماتهم مبنية على اقوال الناس لا على مُراقبة شخصية فعالة • ولا يمكن الاعتماد عليهم كمصدر وحيد موثوق لجمع المعلومات اللازمة لعملية هجومية •

ثانيا : الطائرات : استخدم الالمان طائرات الاستكشاف وخاصة الهليكوبتر ، ولكنهم لا ينصحون باستخدام هذه الوسيلة دائما ، لان ظهور طائرة في الجو ينذر العدو ويثير انتباهه ، لهذا لم يستخدم الالمان طيرانهم الا لاستطلاع مناطق اعتاد الانصار رؤية الطيران فوقها مدة طويلة ، أو لاستطلاع عمليات عصابات كبيرة قوية ، لان من الممكن ان لا تهرب مثل هذه العصابات مع بروز الطائرات •

ثالثا : استخدم الالمان وحدات كوماندوس المطاردة في المهمات الاستكشافية ، ويمكن الاعتماد على هذه الوحدات للحصول على معلومات مرتكزة على المراقبة الحقيقية ، ولكنها كانت عاجزة عن الاقتراب من مناطق نشاط العصابات دون ان تلفت أنظار الرصاد • لذا كان استخدامها مقتصرا على المناطق التي تعمل فيها قوات انصار قوية او تحتلها بالقوة •

وكان الالمان يكملون المعلومات المأخوذة بهذه الوسائل وذلك بالقيام بمعارك استطلاعية تتم خلال جميع مراحل القتال وفي كل قطاع العمليات •

وتحدد التوجيهات الالمانية غاية الاستطلاعات خلال العمل بما يلي :

ــ كشف جميع القوات المعادية المختبئة •

ــ كشف محاولات التراجع او الخرق قبل حدوثها •
ــ معرفة مواقع العدو، وأفضل الطرق للوصول اليها •

وتعتبر الاستكشافات وسيلة عادية من وسائل القتال • وتؤكد التعليمات علـى ضرورة استخدام فصائل كوماندوس المطـاردة في مثل هذه العمليات • وتشير الى ان استجواب الاسرى وسيلة من افضـل الوسائل لأخذ المعلومـات المطلوبة من العصابـات ، ووسائل الاتصـال التي تملكها ••• على ان يتم استجواب الأسرى فورا خلال سير المعركة• وسنرى فيما بعد كيف كانت احدى الفرق الالمانية تقوم باستجواب الأسرى متبعة وسائلها القاسية الخاصة • ولكننا نريد أن نثبت هنا عدم صحة الفكرة التي حاول الجنرال يودل وبعض القادة الالمان نشرها بيننا، والتي كانت تهدف الى اقناع الرأي العام بأن توجيهات القيادة الالمانية العليا شاركت في اضفاء مسحة انسانية على عمليات الصراع ضد الانصار• تقول الفقرة ١٦٣ من هذه التعليمات « يعامل رجـال الانصار الذين يستسلمون خلال القتال ، معاملة أسرى الحرب ، سواء أكانوا باللباس العسكري أو المدني • وتطبق المعاملة ذاتها على الاشخاص الذين يتم توقيفهم قرب مكان المعركة ، ويظن بأنهم قدموا مساعدة للانصار حتى ولو لم تتمكن من اثبات اشتراكهم في العمليات » •

ولنقارن هذا القول مع الفقرة ٧٠ من التعليمات نفسهـا والتي تقول : « استجواب الأسرى مصدر من أفضل مصادر المعلومات ، لذا يجب عدم قتل أي أسير مباشرة بعد أسره »•

والسبب في وجود هذا التناقض داخل التعليمات الالمانية ناجم عن خضوع العمليات المضادة للانصار الى سلطتين هما : الجيش وقيـادة وحدات (S.S.) • وكان الجيش ميالا للرأفة والمعاملة النظاميـة المعقولة ، على حين كان هملر ميالا الـى العنف والشدة • فجاءت التعليمات مناسبة لكلا الطرفين •

ويعتبر الحصار الفكرة الالمانية الرئيسية في العمليات ضد الانصار. وهـذه وسيلة قديمـة معروفة لمثل هـذه العمليات . ففي اثناء الثـورة الفرنسية قاتل الانصار في بريتانيا والفاندي ضد الجيش الجمهوري . فكلفت الجمهورية الجنرال هوش مهمة اعادة السلام الى البلاد . وكان هوش معلما فذا في تحسين نظام التجسس المتبع آنذاك ، فأضاف الى شهرته في هذا الصدد شهرة جديدة بأن استخدم ضد مناطق الانصار (كما يقول تيير) « أسلوبا كريما » يضعف هذه المناطق دون اجتياحها، وذلك بتجريدها من سلاحها ، ومصادرة جزء من مصادر ثروتها لتأمين تموين الجيش الجمهوري . واتبـع في بادىء الامر نظـام المعسكـر المتخندق المؤلف من نقاط ارتكاز ممتدة على طول منحنى يستند على نهري السيفر واللواز ، بغية محاصرة البلاد بشكل متدرج . « ووضع في هذه النقاط مفارز قوية تربطها ببعضها دوريات تسد كل فراغ يمكن أن تتسلل منه جماعات العدو الصغيرة . وكان على هذه المراكز ان تحتل القرى والدساكر وتنزع سلاحها ، لذا كان الجنود يستولون على المواشي الموجودة خارج القرى ، ويصادرون أكداس القمح في المخازن ، ويسجنون كبار الشخصيات ، ولا يطلقون سراح الرهائن ويرجعون المواشي والقمح الا اذا سلم الفلاحون أسلحتهم » .

الا ان الالمان نفذوا أسلوب الحصار لأغراض مختلفة عن أغراض الجنرال هوش . وكان التطويق خير وسيلة لديهم لابادة العصابات التي تشتبك معهم . وتشير التعليمات الالمانية الى ان هذه الوسيلـة بحاجة لقوات كبيرة ، ولكنها تحقق نجاحا حاسما . فاذا تعذر وجود الوقت أو القوات اللازمة للتطويق ، أو اذا كانت الارض غير مناسبة لهذا العمل ، يتم تدمير العصابات بهجوم مفاجىء تليه مطاردة قاسية ، مع استخدام قوات كوماندوس المفاجأة اللازمة لتشتيت العصابات وقطع كل اتصال بينها .

وقبل أن نبدأ في وصف هذه الوسائل المختلفة لا بد لنا من ان نذكر جملة قالها كوفباك : « ان المعركة الدفاعية التي يفرضها الخصم هي أصعب العمليات بالنسبة للانصار ولقد خصل العدو علــى أكبر انتصاراته عندما تمكن من استخدام الحركة بحرية » ومن هنا نستنتج ان أفضل أسلوب لمقاتلة العصابات والانتصار عليها هو الاسلوب الذي يحرمها من حرية العمل ، ويضطرها على الوقوف موقف الدفاع •

ولهذا السبب تبذل القطعات المضادة للانصار كل جهدها للمحافظة على المبادرة • وعندما لا يستطيع القائد المضاد للانصار جمــع قوات كافية للحصار ، فانه يحاول القيام بهجوم مباغت حتى لا يبقى سلبيــا بلا حركة • وعلى أية وحدة مــن الوحدات المضادة للانصار تتعرض لهجوم العدو ان تنتقل بسرعة من الدفاع الى الهجوم المضاد •

ويجب أن يتم الهجوم ضد الانصار بشكل مباغت مع استخدام أصعب الظروف (أحوال جوية سيئة ، منطقة وعرة ، طرقات قليلة •••الخ) لتحقيق أكبر مفاجأة • والسرية شرط ضروري لا غنى عنه ، وخاصة خلال مراحل التحضير • لهذا تشير التعليمات الالمانية الى ضرورة إعطاء اوامر الهجوم الى أقل عدد ممكن من الاشخاص ، وتحاشى المحادثات الهاتفية ، والاستعاضة عنها ببرقيات مشفرة ، وابلاغ الوحدات المشتركة قبل العمل مباشرة • ولا يجب الوصول الى مناطق التجمع قبل الليل أو حلول الظلام ، ولا يتم احتلال مواضع القتال قبل وصول كبد القوات • وعلى القوات ان تتعلم الحركة بدون جلبة ، واستخدام التمويه بكل مهارة • ويقول « دليل الانصار » ان على العصابات ان تتظاهر بالهجوم نحو الشرق عندما تود الهجوم باتجاه الغرب • أما التعليمات الالمانية فتقول : يتم الاقتراب بشكل يجعل العدو عاجزا عن ادراك وتقدير نوايا عدوه • وتزداد حدة المفاجأة مع ازدياد آلية القطعات القائمة بالحصار وقدرتها على الحركة •

ويتطلب الحصار دائما مساحة واسعة • ولا يجب ان تتجاهل صعوبات التنفيذ في مثل هذه العملية • ويوضح الرائد روبنسون في « أفكار قائد سرية في الملايو » خبرته بشكل حي قائلا :

« هناك حقيقة ثابتة هي أن العمليات التي تتم على مستوى السرية أنجح من غيرها بكثير • ولقد علمتني التجارب أنه كلما ازداد كبر العملية وتعقدت تحضيراتها قل احتمال نجاحها ، نظرا لصعوبة مراقبة سير القطعات الكبيرة داخل الادغال التي لا تحددها الخرائط بدقة ، ولان ضخامة التحضيرات يؤدي الى تسرب المعلومات الى رجال الانصار قبل الساعة « س » ، فينسحبوا من المناطق المعرضة للهجوم وينصبون الكمائن على الطرقات قبل ان تبدأ قواتنا بالمسير نحو أهدافها » •

فكيف تصرف الالمان حيال هذه المشكلة ؟• لقد كانوا يؤمنون بأن الحصار ممكن دائما اذا توفرت القوات اللازمة لتنفيذه • ولتحقيق ذلك كانوا يقللون مساحة الارض المحاصرة ، ولا يهاجمون سوى مناطق وجود الانصار ، ويهملون المناطق المشبوهة التي لم يتأكدوا من وجود عدد كبير من الانصار فيها • فاذا كانت مناطق الانصار نفسها كبيرة هاجموا أهم أجزائها فقط •

وكانوا يجمعون قواتهم بعيدا عن مركز المنطقة المعينة ، ثم تتحرك القوات من مناطق تجمعها لتصل الى خط الحصار بآن واحد ، بغية تطويق العصابات بسرعة وبشكل مضمون • وكانوا يضربون طوقا قويا محصنا ويعتبرون الاطواق العادية البسيطة غير كافية •

ويرى الالمان ان المرحلة الحرجة في بداية كل عملية هي الوقت الفاصل بين الساعة « س » وساعة التوقف • أي منذ ان تبدأ القوات حركتها نحو خط الحصار حتى لحظة وصولها الى هذا الخط • وحتى لا تقوم العصابات بخرق هذا الخط قبل وصول قلب القوات وضع الالمان

أسلحة ثقيلة ، على رأس الرتل خلال سيره لتصل الى خط التطويق مع الطلائع. أما في المناطق الجرداء فكانوا ينشئون مراكز دعم، ويستخدمون الهاون وأسلحة المشاة الخفيفة لتغطية مناطق الارض التي لا تشغلها القطعات رغم أهميتها ، ويضعون الطرق والمسالك المؤدية الى خط الحصار تحت رحمة نيران المدافع المضادة للمدرعات ، ويحتفظون بعد ذلك بقوات متحركة احتياطية وراء مواقعهم .

وكانوا يصدون بعض محاولات العدو الرامية الى خرق الحصار بتركيز نيران كثيفة عليه ، فاذا ما استطاعت بعض الجماعات التسرب خارج الطوق ، بقيت قطعات التطويق ثابتة في مكانها لاغلاق الثغرة المفتوحة ، على ان تتم ملاحقة الجماعات المتسربة بواسطة القوات الاحتياطية ... وكان النجاح في مثل هذه العمليات الواسعة متعلقا بمهارة القائد وقدرته في السيطرة على وحداته المتباعدة . ويرى الالمان ان من الممكن استخدام الاساليب الثلاثة التالية بنجاح :

ـ انشاء شبكة مواصلات سلكية ولاسلكية مسبقا لتأمين نقل المعلومات والاوامر بسرعة . على ان تدعم هذه الشبكة بمراسلين من الخيالة أو راكبي الدراجات النارية .

ـ تسهيل حركة القائد باستخدام الهليكوبتر الامر الذي يجعله قادرا على التدخل شخصيا في النقاط الحاسمة .

ـ اعطاء أهداف متقاربة للوحدات ، مع ابلاغها عن المخطط العام لتعمل بعد ذلك حسب بداهتها وبحرية نسبية .

وتبدو اسس عمل الوحدات المضادة للعصابات وكأنها مأخوذة من اساليب رومل في القيادة والمبنية على الحركة ، والبداهة ، والاتصال ، وحرية العمل ، والتي كان يطبقها من « دبابة القيادة » .

ولابادة العصابات المحاصرة ، اتبع الالمان اربعة اساليب وهي :

ـ الخنق .

ـ التمشيط .
ـ التشتيت وتدمير الجيوب .
ـ الهجوم بوحدات الصدمة .
وسنوضح جميع هذه الاساليب والفنون القتالية بكل تفصيل في آخر هذا الكتاب .

والاسلوب الثاني للقتال ضد العصابات (الهجوم المباغت والمطاردة) اكثر بساطة من التطويق . ويتطلب عادة قوة اقل وتحضيرات اسرع . ويعتمد هذا الاسلوب على مباغتة العدو ، واجباره على القتال ، وخرق مواقعه بهجوم سريع ، ثم مطاردة بقاياه المشتتة وتدميرها . ويتعلق نجاح هذا الاسلوب على المفاجأة ، وتستند المفاجأة الى استكشاف مسبق ، وسيجد القارىء في الملحق شرحا وافيا للتفاصيل الفنية المتعلقة بذلك .

اما الاسلوب الثالث فهو استخدام قوات كوماندوس المطاردة . ونحن نعلم ان المارشال بوجو طبق اسلوبا مشابهـا في عملياتـه ضد انصار عبد القادر الجزائري في الجزائر « اذ نظم قواته بارتال صغيرة متماسكة مؤلفة من كتائب المشاة ، وفصيلتين من الخيالة ، ومدفعين جبليين ، ومفرزة نقل صغيرة تستخدم البغال والجمال . وكانت السرعة اهم ميزات ارتاله ، لذا استخدم في هذه الارتال قطعات مختارة معتادة على تقلب الطقس وتحمل التعب . واستفاد من هذه السرعة لتحقيق عملياته الناجحة » .

وكانت هذه الارتال اول قوات كوماندوس المطاردة في تاريخ حرب الانصار ... ثم جاءت التنظيمات الالمانية وكانت بلا شك مختلفة عن تنظيمات بوجو ، ولكنها كانت تماثلها في نقاط متعددة ، فهي مؤلفة من مقاتلين مدربين ، ويعملون داخل مفارز صغيرة من مختلف اصناف الاسلحة ، يعتمد عملها على السرعة والمباغتة ، واسلوبها في

القتال مماثل لاسلوب العصابات تقريبا . ولم يكن تعداد هـذه المفارز يتجاوز الفصيلة او السرية ، ولكنهـا تمكنت مع ذلك تقديم خدمـات كبيرة ، وكانت افضل اسلحة الالمان في القتال ضد العصابات .

ولقد ذكرنـا في الفصـل السادس التعليمـات الخاصة بتشكيل قوات كوماندوس المطاردة ، ويمكـن الاطلاع على جميـع التفاصيـل المتعلقة بها في الملحق . وسنشرح الان مسألتين هامتـين هما : اسلحـة دعم القوات المضادة للانصار وعتاد هذه القوات .

لم يستخدم الالمان الطيران في عملياتهـم ضد الانصار الا بشكل محدود . وكانوا يعتبرون ان رؤية طـائرة فوق منطقة لـم تألف تحليق الطائرات انذارا للعصابات يؤدي الى فرارها وضياع فرصة النجـاح . وهم يعللون بذلك سبب عدم تقديم الدعـم الجوي الكامل للعمليـات ضد العصابات ... ولكننا نعرف انه منذ ١٩٤٤ اصبح الطيران الالماني عاجزا عن تنفيذ المهمات العديدة الملقاة على عاتقه ، ولا شك ان قيـادة العمليات الجوية ابدت للقيادة العليا عجزها عن دعم العمليات المضـادة للانصار ، الامر الذي أثر على التعليمات التي أصدرتها هذه القيادة للقتال ضد الانصار . وتؤكد التجربة البريطانية الفكرة الالمانية ، فلقد استخدم الانجليز في ماليزيا « الدعم الجوي على نطاق واسع ، ولكن نتائجه كانت قليلة ... وكان الطيران الملكي يكشف الاهداف الصغيرة في الادغال ويضربها ، الا ان الانصار كانوا يخلون المناطق المعلمة عند سماعهم صوت الطائرات ، فيفقد الهجوم الجوي بذلك فاعليتـه ... ان على القوات البرية محاصرة الهدف قبل قصفه ، وان تنتظر بعد ذلك سقوط العصفور المذعور في شبكاتها ... ولكن وصول القوات البرية ، الى مواضع قريبة من الهدف ينذر العدو ويدفعه الى اخـلاء المنطقة قبل ان تنطلق الطائرات من قواعدها » .

ونستطيع ان نستنتج من ذلك ، ان الدعم الجوي يؤدي الى فائدة

مرضية اذا حوصرت منطقة الاهداف بطوق قوي في الوقــت المناسب ولقد فعل الالمان ذلك ، ولكننا لم نجد وثيقة المانية تشرح استخدام الطيران ضد العصابات • الا اننا نعتقد ان الدعم الجوي ممكن وضروري منذ ان تتمركز قوات الحصار في مكانها على خط التطويق المحدد • كل هذا يدفعنا الى ان نقول : ان للدعم الجوي في العمليات المضادة للانصار قيمة تعادل قيمته في بقية العمليات الحربية البرية ••• ولكن اذا لم يكن التطويق كاملا فان من الواجب استخدام الطيران بحذر ، وبشكل محدود وخاصة في عمليات الاستكشاف •

ومهمات الطيران في دعم القوات المضادة للانصار متعددة كثيرة • فالطيران قادر على القيــام باستطلاعات لمعرفة معسكرات العصابــات ، وحركاتها ، ونقاط ارتكازها • ويمكن ان يتدخل الطيران ضد عمليــات النقل الجوي الرامية الى تموين الانصار ، وذلك بضرب طائرات النقل ، وكشف مناطق اسقاط التموين بالمظلات ، ومناطق الهبوط الخفية ••الخ• وعندما يكتشف الطيران اشارات التعارف بين الانصار وطائرات النقل يعطى هذه الاشارات الى القوات البرية التي تستخدمها لخدع طائرات العدو • ويمكن للطيران ان يقصف نقاط الارتكاز بالقنابل او يهاجم عصابــات الانصار بنيران الرشاشات ••• واذا مــا تعرضت القطعات المضادة للانصار الى صعوبات تموينية ، يقوم الطيران بتزويدها بالمؤن والاعتدة والاسلحة والذخائر اللازمة عن طريق اسقاطها بالمظلات • كما يمكنه تقديم المساندة للقطعات المشتبكة بحمل التعزيزات واسقاطهــا بالمظلات ، او انزالها بواسطة الطائرات الشراعية •

بالاضافة الى تزويد القادة بطائرات هليكوبتر تساعدهم على الانتقال العاجل • ومن المهم في كل هذه الظروف تأمين اتصال دائم بين الارض والجو طوال فترة العمل •

وتقول التعليمات الالمانية ان من الممكن استعمال عربات الاستكشاف

المدرعة . والدبابات القديمة ، وكل النماذج القديمة من المدرعات في القتال ضد الانصار للاستفادة من قوة هذه الاسلحة النارية ، ومن تأثيرها المعنوي الكبير على رجال الانصار . ولكن استخدام هذه المعدات صعب جدا ومستحيل احيانا في مناطق المستنقعات والادغال والجبال .

واستعمل الالمان القاطرات المدرعة على نطاق واسع من اجل :

- التوغل في مناطق نشاط الانصار .
- مساندة القوات المضادة للانصار بنيران مدفعيتها .
- الاشتراك في العمليات المضادة للانصار بفضل عتادها المتحرك (مصفحات استكشاف ، دبابات ، هاونات ، ... الخ محمولة على القطارات) .
- قطع طريق تراجع الانصار .
- وفي حالات خاصة يمكن استعمالها كمراكز قيادة للقطاعات المضادة للانصار .

ويمكن ان تتلقى هذه القطارات المهمات التالية :

- تموين الاشخاص المكلفين بأمن الخطوط الحديدية .
- الدفاع عن المحطات والجسور الخ ... المعرضة للتهديد .
- الدفاع عن قوافل السكك الحديدية .

ويبدو ان الالمان فكروا باستخدام هذه القطارات بنفس طريقتهم لاستخدام قوات كوماندوس المطاردة ولكننا لم نجد اية وثيقة المانية في هذا المضمار .

ويتعرض انتشار واستخدام الوحدات الآلية الى نفس المشكلات التي يلاقيها استخدام الدبابات ، وعلى القطاعات القيام باستطلاع دقيق قبل اي عمل ، فان وجدت الارض صالحة لاستخدام الآليات دفعتها لمطاردة الانصار وقطع الطريق امام انسحابها على ان يكمل عملها

باستخدام المشاة والوحدات الراكبة ، التي تستعمل العربات الخفيفة او الزحافات او الخيول .

وهكذا نصل الى الموضوع الاخير في هذا الفصل ، وهو اسلحة الوحدات المضادة للانصار . وتشير لتعليمات الالمانية الى ان على هذه الوحدات ان تحقق تفوقا ناريا دائما على الانصار . لذا يهتم قادة الاسلحة الثقيلة بدعم تقدم القطعات الملتحمة مع الانصار . وتزود هذه القطعات بالاسلحة التي تناسب مهمتها ، ويفضل استخدام الاسلحة القادرة على العمل بسرعة كبيرة كالمسدس الالي ، والمسدس الرشاش ، والبندقية الآلية ، والبندقية المزودة بمنظار ، والرشاش الخفيف او الثقيل ، والمدافع الثقيلة او الخفيفة المضادة للدبابات ، والمدافع الخفيفة المضادة للطائرات ، وقاذفات اللهب الخفيفة ... ولا تستخدم الاسلحة الثقيلة عادة الا في الحصار ولسد بعض اجزاء مشبوهة من الارض، ذلك لان نقل الذخيرةالى مكان الاشتباكات عملية صعبة. وكانت القوات الالمانية تزود قبل الانطلاق بكمية كافية من الذخائر والمتفجرات.

ولقد استمع الالمان الى صوت العقل عندما كتبوا في تعليماتهم :

« ان لموقف الاهالي أهمية كبرى في القتال ضد الانصار ، اذ لا تستطيع العصابات العيش طويلا وسط شعب يحافظ على علاقات طيبة معنا ... ان على السلطات الادارية ان تأخذ هذا الامر بعين الاعتبار ، وان تحاول اجتذاب الاهالي الى جانبنا وذلك بمعاملتهم بكل عدل ، وتوعيتهم بشكل دائم ، وادارتهم حسب مخطط محضر مسبقا » .

« والهدف من كل هذا دفع الفلاحين لمقاومة الانصار ، والدفاع عن ممتلكاتهم بأنفسهم . ويمكن تسليحهم لهذا الغرض بمعرفتنا ، وتقديم المعونة الفنية لهم بعد الوثوق بهم ، والتأكد من امكانية الاعتماد عليهم..»

ان هذا القول وجهة نظر معقولة مبنية على رأي صحيح ، ولكن العودة عن الخطأ تتم عادة بعد فوات الاوان .

الفصل التاسع

فشل العمليات الالمانية المضادة للانصار

« ولما انتهى كل شيء ، جاء وقت الحساب
انها لحظة موجعة ، تتلاشى فيها الابتسامات»

لم يكن الانصار السوفييت يعرفون قول « جى » المذكور • ولكن معناه كان محفورا بعمق في عقول هؤلاء المقاتلين ، ويؤكد لنا كوفباك ذلك بقوله :

« وقبل ان تترك غابة سباد شتشانسكي ، دفن رجال بوتيفي ثلاثة من رفاقهم ايلين وشليادين وفوروبيوف •

••• لقد غادرنا هؤلاء الرفاق منذ زمن بعيد ، ولكنني لا زلت أذكرهم ، فهم اول من سقط من شبابنا الشجعان ••• واختارت الجماعة مكانا قرب الملاجىء لحفر قبورهم ، فهناك دغلة صغيرة تستر هذه القبور، وتمنع الالمان من اكتشافها ونبشها ••• كانت الارض متجمدة ، وكنا نحفر بصعوبة ، ولكننا عملنا مع ذلك بسرعة ، فقد كان علينا ان نغادر مواقعنا ليلا ، وتتسلل بشكل خفي بين القرى التي انسحب العدو اليها بعد المعركة ليستريح ويعد نفسه لهجوم جديد مع طلوع الفجر •

« كان رجالنا السبعون يقفون قرب الحفر بسكون ، والى جانبهم

أكداس عتادهم وسلاحهم وأكياسهم وقنابلهم اليدوية ••• وكانت وسائل نقلنا الوحيدة حصانان مشدودان الى عربة تقف على مقربة منا •

« وكان الظلام داكنا ، والصمت يخيم على الجميع ، وفجأة شق سكون الليل صوت مبحوح : « يا رفاق ! لنقسم جميعا » ولم تتمكن عن رؤية المتكلم ، ولكننا عرفنا رودنييف من صوته •

« واقتربنا من القبور الهادئة بخطوات وئيدة وتلاحمت صفوفنا على شكل حلقة صغيرة ، وعبر رجالنا عن المشاعر المتصارعة في اعماقهم في تلك اللحظة بالقسم الذي رددوه وراء المفوض السياسي • لقد تركوا العنان لغضبهم وللحقد الذي حفرته في طيات نفوسهم ضد الالمان المعتدين ذكريات رفاقهم القتلى ، واسرهم التي بقيت في القرية بلا معيل، وبيوتهم التي غادروها ذات ليلة ••• واقسمنا ان ننتقم لكل ذلك » •

ويذكر الجنرال كوفباك التأثير الذي سيطر على الانصار بعد ان شاهدوا عمليات العنف والتعذيب التي تعرض لها المدنيون رجالا ونساء واطفالا •

« وكانت الفتيات المنضمات الى الانصار ، يعرفن سفالة الهتلريين ونذالتهم • ولكن الفظائع التي رأينها بعد ذلك في نوفايا سلابودا وانهار الدم التي سالت في هذه المدينة البائسة جعلتهن مشدوهات ••• وكنا نعامل الفتيات حتى ذلك الوقت معاملة خاصة ، ولم نكن نشركهن معنا في العمليات الخطرة • ولكن مجزرة نوفايا سلابودا اثارت كرههن بشكل جعلنا عاجزين عن منعهن من الاندفاع الى القتال ••• وهكذا انقلب رجال ونساء مسالمون الى عاصفة هائجة ، تريد الانتقام لآلام الشعب »•

وتشرح هاتان الصورتان الوضع النفسي لحركات الانصار الروس تلك الحالة التي اذكى حدتها جنون الالمان وتصرفاتهم البلهاء • وليست اخبار تدمير القرى الروسية وابادة سكانها ضربا من الخيال ، فكثير من التقارير الالمانية تذكرها بصراحة تامة • ومن امثلة هذه التقارير مثالان :

اولهما : تقرير يصف هجوم فرقة من جيش البانزر للانتقام من قريـــة بافسوكي التي لم يكن الانصار يدافعون عنها ، وقصفها بقنابل المدفعية المضادة للدبابات ، ومهاجمتها من جانبين ، وينتهي التقرير قائلا : « ثـــم تم اعدام السكان المدنيين رميا بالرصاص ، ودمرت القرية عن بكرة ابيها بأن اشعلت فيها النار » •

اما المثال الثاني فنجده في تقرير آخر « كوروسك ٥٨٠ » •

« في ١٦ (تشرين اول) ١٩٤٢ ، قامت قواتنا بأسر اعداد كبيرة من المشبوهين واعدامهم في القرى القريبة مـــن ويرينينو ، واحرقت ويرينينو وعدة قرى اخرى ، كما قتل في عمليات التطهير عدد كبير من المدنيـــين المشبوهين » •

ان هذا الكتاب لا يهدف الى توضيح اسباب هزيمة الالمان فـــي روسيا ، ولكننا نجد انفسنا مضطرين الى ذكر سبب هجوم الالمان على الاراضي الروسية ، لان معرفة الاسباب التي دفعتهم الى العدوان تفسر لنا الاخطاء المعنوية التي ارتكبوها ضد السكان المدنيين •

بعد سقوط فرنسا عام ١٩٤٠ كان علـــى هتلر ان ينتقـــي ضحيته الجديدة ولم تكن هذه الضحية سوى بريطانيا ، وقام الالمان بتحضيرات كبيرة لغزو الجزر البريطانية ، ثم توقف العمل بغتة ••• وغدت روسيـــا هدف القوات الالمانية المقبل •

اننا لا نعرف السبب الحقيقي الذي حدا بهتلر الى اتخـــاذ قـــراره بمهاجمة روسيا ، ولقد فسر البعض ذلك بأن روسيا هي آخر حلفـــاء بريطانيا الاوربيين • وما دامت بريطانيا جزيرة صعبة المنال ، فان اخضاع روسيا يجبر بريطانيا على طلب الصلح • ولا شك ان هتلر كان مدفوعـــا بمثل هذا السبب ، وتؤكد الوثائق الالمانية صحة ذلك • ولكن هـــذا التفسير يبقى احتمالا غير ثابت • لقد كان هتلر قـــادرا علـــى مجابهة انجلترا ، فلم استدار نحو روسيا مع انها كانت لا تريد الدخول في حرب

ضده دفاعا عن انجلترا ؟؟

لقد آمن هتلر بأن عليه مهاجمة روسيا واحتلالها عاجلا ام آجلا . فاوروبا اصغر من ان تتسع النازية والشيوعية معا . وكان النظام الجديد الذي يريد هتلر فرضه على اوروبا يتطلب ابادة السوفييت ... وليست هذه الفكرة تخمينا ، لقد شرحها هتلر جيدا في كتابه « كفاحي » وفي مئات الخطب النازية ... ولكنه لم يختر روسيا بمحض ارادته بل اجبر على هذا الاختيار تحت ضغط اسباب اقتصادية . ولو كانت انجلترا غنية بالبترول والمواد الغذائية لهاجمها هتلر قبل روسيا . انه لم يتوجه نحو روسيا الا لانه كان يعرف ان فيها المواد الاولية والمواد الغذائية اللازمة لمتابعة الحرب .

وكان جورنج في هذا الوقت الدكتاتور الاقتصادي للرايخ الثالث ولقد ترأس في (تشرين ثاني) ١٩٤٠ اجتماعا هاما حضره الامين العام كوير نر مساعده للشئون الاقتصادية ، والذي كان مخلصا له اخلاصا اعمى دفعه الى ارتكاب اعمال كانت سببا في وضع اسمه على لائحة مجرمي الحرب . وحضر هذا الاجتماع ايضا الجنرال فون هانكن رئيس قطاع الحديد والصلب وهو رجل دمث الطباع ، جميل الطلعة ، ذلق اللسان ، حوكم فيما بعد في نورمبورغ بتهمة ارتكاب بعض الجرائم في الدانمارك ثم استأنف الحكم فبرأت ساحته ، والجنرال توماس رئيس مكتب اقتصاد الحرب ، والذي انقلب فيما بعد ضد هتلر وغدا عضوا في الجمعية السرية المناهضة لحكمه ، ونيومان الامين العام المكلف بادارة مشروع الاربع سنوات ، وباك الامين العام لوزارة الزراعة والتموين .

وعندما مات الجنرال توماس بعد الحرب عثر بين اوراقه مجموعة هامة من الوثائق الخاصة باقتصاد الحرب في المانيا . وتقول بعض مذكراته ان مارشال الرايخ جورنج اوضح للحاضرين في هذا الاجتماع مشروع الهجوم نحو الشرق ، ولم يحدد لهم تاريخ بدء العمليات ولكنه

اكتفى بتحديد مهمة اللجنة بدقة . وكان عليها اعداد وتنفيذ برنامج اقتصادي « واسع » .

وبدأت اللجنة بالعمل حالا منطلقة من مجموعة وثائق دقيقة تتعلق بكافة القطاعات الاقتصادية الروسية ، ثم بدأت تبحث بحثا دقيقا عن مصادر المواد الاولية الروسية ، ووضعت اطار التنظيم الجديد المقبل اللازم لادارة ومصادرة المواد الاولية في روسيا .

وفي نهاية (نيسان) ١٩٤١ انتهى عمل اللجنة تقريبا ، فاجتمعت من جديد في ١ ايار ١٩٤١ قبل بدء العدوان على روسيا بسبعة اسابيع . وبدأت بمناقشة الافكار للاتفاق تماما على الاستنتاجات النهائية اللازمة للعمل . ووضعت مذكرة صغيرة توجز جميع الاستنتاجات ، وتحدد بعبارات قصيرة سير الاحداث العالمية بعد ذلك .

وتؤكد المذكرة « ان متابعة القتال متعذر في العام الثالث للحرب اذا لم تأخذ القوات الالمانية موادها الغذائية من روسيا ... فاذا ما اخذت كل ما هي بحاجة اليه حكمت على عشرة ملايين شخص (روسي) بالموت جوعا .. وهذا أمر مؤكد لا شك فيه !!! » .

وتكشف هذه المذكرة حقيقة الامور : فلكي تسير آلة الحرب الالمانية كان على هتلر ان يهاجم روسيا ، ولم يكن يفكر بالرحمة مع الاهالي المدنيين ، لانه حكم عليهم مسبقا بالموت جوعا . ولم يكن القادة الالمان قادرين على الاهتمام بأحاسيس الروس الموالين لهم حتى ولو توفرت عندهم الرغبة بذلك .

ولم يكن الالمان بحاجة للمواد الغذائية فحسب ، بل كانوا بحاجة لموارد اقتصادية صناعية . وتؤكد الدراسات التي قام بها احد مؤلفي هذا الكتاب عن اقتصاد الحرب ، ان الصناعة الالمانية لم تكن كافية لسد حاجات حرب عالمية تمتد حتى عام ١٩٤٢ او ١٩٤٣ على ابعد تقدير لذا كان من الطبيعي ان يشعر الالمان في عام ١٩٤١ بحاجتهم الشديدة

لبعض المواد الاستراتيجية المتوفرة في الاتحاد السوفييتي • ولقد وضع مخططو اقتصاد الحرب الالماني تسلسل افضليات لاستثمار المواد الاولية السوفييتية • وكان النفط يمثل مكان الصدارة في لائحتهم ، ويليه الفحم الحجري والحديد والفولاذ (الصلب) وأخشاب البناء • علاوة على كميات كبيرة من المواد الغذائية لاطعام سكان الرايخ الثالث • ولقد شرح كويرنر هدف « العمليات الاقتصادية » في البلاد السوفييتية بقوله « ان على الادارة الاقتصادية في المناطق المحتلة حديثا ان تعمل بجد للحصول على اكبر كمية من المنتجات المطلوبة للجهد الحربي •• مع تجاهل جميع الاعتبارات الاخرى اذا كانت تعيق هذا العمل » •

ولقد تم تجاهل جميع الاعتبارات تماما ، لذا اندفعت عناصر روسية مضادة للنظام السوفييتي والتحقت بعصابات الانصار ، وحملت السلاح ضد الالمان •

وهكذا دفع الاقتصاديون هتلر الى مهاجمة روسيا ، واليكم جزء من الرسالة التي ارسلها الفوهرر الى موسوليني في ٢١ (حزيران) ١٩٤١ في اليوم السابق لهجومه •

« ستكون الحرب في الشرق صعبة وعنيفة ، ولكن نجاحها مؤكد ، وانني لآمل ان نحصل بعدها على قاعدة تموين قريبة في اوكرانيا ، تقدم لنا كل ما قد نحتاج اليه في المستقبل » •

وبرر مدراء الاقتصاد النازي عملية اجبار السكان الروس على تحمل جميع الاعباء بأنها عملية تقتضيها الضرورات الحربية • ويمكن تفسير اعمال القسوة والوحشية التي ارتكبتها وحدات مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) ووحدات الـ (S.S.) بأنها وسيلة من وسائل ابادة البلاشفة ابادة كاملة • ولكن الحرب لم تكن في الحقيقة ضد البلشفية بل ضد الشعب الروسي كله ••• وارتكب الالمان خلالها اعمال لا تحتمل فجنوا بذلك على انفسهم ، واذكوا بأيديهم نيران حركات

الانصار واعطوها جرعة قوية للاستمرار في القتال حتى النصر ٠

وليس من الضروري اجراء تخيلات واسعة لرؤية التضحيات التي كان بوسع الالمان تجنبها لو انهم كسبوا الى صفهم قسما لا بأس به من الشعب الروسي ٠ ولقد اعترف بعضهم ان هذا الامر سهل ٠ ولم يكن من المتعذر الوصول اليه لو انهم تصرفوا بشكل آخر منذ بداية الحرب وتقول يوميات السفير اولريخ فون هاسل (وهو احد اعضاء الحركة التي حاولت اغتيال هتلر) ما يلي : ــ

« كانت حرب هتلر ضد روسيا عملا خطرا غير مأمون العواقب ككل الحروب ٠ ومع هذا كانت امامنا فرصة وحيدة لربح الرأي العام دعائيا ، وهي توجيه الحرب ضد البلشفية ، وطرح شعار تحرير الشعب الروسي الذي لا تكن له المانيا اي كره » ٠٠ « يتصف الوضع في الشرق بنجاح عسكري غير منتظر ، وبحقد وطني يتزايد ضدنا باستمرار بسبب سياستنا الحمقاء » ٠

ويعود فون هاسل الى هذا الموضوع في ١٣ (حزيران) ١٩٤١ ويكتب : ان المعارك اقسى مما كان منتظرا ، ويستنتج ان الحرب لا تتجه ضد البلشفية بل ضد الشعب الروسي باكمله بدليل ان هتلر عين روزنبرج ، وهو عدو معروف للروس ، على رأس الادارة المدنية ٠

ويمكن تكملة الصورة بما قاله هملر في خطابه المخزي في بوزن عام ١٩٤٣ :

« لا يهمني ما يقع لروسي او تشيكي ٠٠٠ ولا يهمني ان تعيش الشعوب في رفاهية او تموت من الجوع الا بمقدار حاجتي لاستخدام هذه الشعوب كعبيد « لحضارتنا » ٠٠٠ ان سقوط عشرة الاف امرأة روسية من الانهاك ، وهن يحفرن خندقا مضادا للدبابات لا يهمني بقدر ما يهمني انتهاء عملية الحفر لمصلحة المانيا » ٠

ويقول فيتزوري ماكليان عن الانصار اليوغوسلافيين ما يلي : ــ

« كان الانصار يتمتعون بعناد عقائدي شديد . ولا ينثنون عن مهماتهم بسبب الفشل او عمليات الالمان الانتقامية ولم يكن لحياتهم اية قيمة ... اما المدنيون فكانوا يندفعون دائما الى الصف الاول ليموتوا كأبطال ، وكانوا ابطالا حقا ... ورغم مبالغة الالمان في قتل المدنيين واحراق القرى تزايد اصطدام قوافلهم مع الكمائن ، وتضاعفت عمليات تدمير قطاراتهم . لقد كان العمل قاسيا جدا بالنسبة لرجال يخربون داخل بلادهم ولكن الغاية عندهم تبرر الوسيلة » .

وينطبق هذا القول على الانصار السوفييت . وكانت حربهم حرب استنزاف يتعرض المدنيون لآلامها وفظائعها . وتؤكد الملاحظات الالمانية التالية هذه الفكرة .

« وفي صباح اليوم التالي تأكدنا ان مركز رصد المدفعية يختفي في مكان ما داخل القرية ... وبعد يوم رأيت في منطقة الميناء خمسة جنود المان وبعض رجال المليشيا يسحبون رجلا مقيدا بالاغلال . وكان الاسير يمشي بأنفة وكبرياء ، ويحمل على صدره لوحة كتب عليها بالروسية والالمانية « لقد وجهت نيران المدفعية السوفييتية على خرسون وأنا مسئول عن موت ٦٣ امرأة وطفلا بالاضافة الى بعض الجنود الالمان ولهذا سوف اشنق اليوم ...»

« وتقدم من الركب فلاح عجوز يحاول قراءة الكلمات بصعوبة وكان الاسير يساعده بكل لباقة وصدر رحب .

وسأله الفلاح بهدوء « هل فعلت ذلك حقا ؟ »

فأجاب الاسير بالايجاب .

عندئذ همس الفلاح « اذن فلا بأس . انني سعيد اذ ارى الشيطان يهتم بالمفوضين الملاعين » .

واجاب الاسير دون ان تتحرك عضلة واحدة في وجهه «سيرجعون» فرسم الفلاح على صدره اشارة الصليب مذعورا ... وهو يقول :

« ليهبك الله نهاية سريعة » ثم قدم للاسير سيجارة وسأله : « متى ستموت ؟ » فرد الشيوعي بابتسام : « في هذه الليلة » وتابع سيره شامخ الرأس •

عندما نظرنا الى بعضنا باستغراب ، وتساءلنا : هل يرى الروس الحياة رؤية تختلف عن رؤيتنا لها ؟ » •

لقد رأينا أن لأعمال العنف الالمانية جذورا كامنة في أوامر « باربروس » المتعلقة بالعدلية العسكرية • وفي (كانون اول) سنة ١٩٤١ أصدرت القيادة العليا للقوات المسلحة الالمانية أمرا فظيعا هاجمت فيه فكرة « الفروسية العسكرية » وتوصلت الى أن «من واجب الجندي ومن حقه أيضا ان يستخدم في المعركة جميع الوسائل الممكنة بدون حدود ، ضد جميع الاعداء رجالا ونساء وأطفالا اذا اتاح له هذا العمل الوصول الى هدفه « وشاء حظ الجنود الالمان السيء أن بعض قادتهم تبنوا هذه الفكرة وطبقوها » •

وسنذكر على سبيل المثال تعليمات الجنرال رينهاردت من جيوش الوسط •

وتقول هذه التعليمات : « من الممكن استخدام جميع الاساليب للوصول الى الاعترافات المطلوبة عند استجواب الاسرى من الانصار ، رجالا كانوا أم نساء » •

ويلاحظ القارىء هنا بلا شك تعبير ، « استجواب الاسرى من الانصار » ولكي نفهم هذا التعبير تماما يجب ان نلقي نظرة على امر الفرقة ٢٥٧ بهذا الموضوع :

« يجب أن يضطر الاسرى الى البوح بالحقيقة بأبسط الاساليب • انهم ينتظرون المعاملة التي ألف البوليس السياسي (N.K.V.D.) استخدامها معهم ، أي انهم ينتظرون الضرب منذ بداية التحقيق •

« ويدلي بعض الاشخاص بالمعلومات بسرعة ولكن اذا قال الاسير

انه لا يعرف شيئا وهذه حالة كثيرة الوقوع . وجب اخضاعه الى تحقيق تكميلي يتخلله ٢٥ جلدة بسوط مطاطي . وعلى المحقق ان يطرح السؤال المطلوب باختصار ويتبعه دائما بكلمة « تكلم » مثلا .

« أين يوجد رئيس جماعة الانصار ــ تكلم » .

« ما هي الاوامر التي تلقيتها ــ تكلم ... » الخ .

« فاذا ما طبق المحقق هــذه الطريقة تــوصل الى الاجابة المحددة المطلوبة ، اما اذا اراد معرفة كل معلومات الاسير فعليه أن يساعده على قول الحقيقة الكاملة بخمس وعشرين جلدة اضافية . وبعد ان ينتهي التعذيب يعدم الاشخاص الذين تعرضوا له مع من حكم عليهم بالاعدام سابقا ، حتى لا يبثوا أخبار التعذيب بين الاهالي » .

« تدفن الجثث بشكل يتعذر معه على عائلات القتلى معرفة أماكنها أو الوصول اليها » .

ان التفكير بهذه الاساليب الوحشية يثير الرعب في النفوس ، ومن حسن حظ الانصار ان عدد رجالهم الذين وقعــوا في الاسر وتعرضوا بالتالي لهذا التعذيب عدد قليل نسبيا .

ولا شك ان رينهاردت كان ينفذ تعليمات القيادة الالمانية العامة .. ولكنه تصرف تصرفا غير انساني عندما أصدر امرا « باعدام الانصــار خلال القتال ، وباستخدام جميع الاســاليب ضدهم ، وباتخاذ التدابير القمعية القاسية ضد المسئولين الالمان الذين يظهرون بعض الرأفة عنــد العمل ضد الانصار والاهالي ولا يقومون بواجبهم خير قيام » .

ولنعد مرة اخرى الى مذكرات الجنرال فون هاسل لنرى فيها فقرة تسرد كيف كادت سياسة هتلر الارهابية أن تؤدي بحياة ضابط الماني .

« الحرب في الجبهة الشرقية رهيبة حقا ، انها عودة الى الوحشية الغابرة ... لقد تلقى ضابط أعرفه جيدا وهو يقيم الآن في مونيخ ، أمرا باعدام ٣٥٠ مدنيا رميا بالرصاص على اعتبار انهم من الانصار . وكــان

هؤلاء المدنيون من الرجال والنساء والاطفال مقيدون في اسطبل من اسطبلات القرية ... ولما تردد الضابط في تنفيذ الامر أعلمه رئيسه أن تردده سيؤدي الى محاكمته واعدامه . عندها طلب امهاله عشر دقائق لكي يمعن التفكير ... ثم نفذ الامر ، وقتلهم جميعا بنيران الرشاشات ... ولكن هذه الحادثة هزته من الاعماق وأثرت عليه تأثيرا شديدا ، فلما جرح بعد ذلك طلب البقاء بعيدا عن الجبهة رغم بساطة جرحه » .

وكان معظم أفراد الجيش الالماني بلا شك ضد هذه الاوامر الهمجية ، ولا ادل على ذلك من صدور طبعة جديدة من الوصايا العشر للجندي وتوزيعها على القطعات ويقول الجنرال بوس : ان مجموعة جيوش الوسط أعادت طبع هذه الوصايا في عام ١٩٤٣ وعدلتها لتلائم الوضع في روسيا رغبة منها في توجيه اعداد الجنود الكبيرة التي وصلت الى المجموعة آنذاك ، واجبارها على التصرف بشكل لائق . وتقول هذه الوصايا ما يلي :

تعليمات موجهة الى الوحدات
« الوصايا العشر حول التصرف مع الروس »

١ ــ اهتموا دائما بالحفاظ على سلطتكم بالنسبة لمرءوسيكم :

« تجنبوا التكبر والفطرسة فالروس قادرون على كشف السلطة الكاذبة او « السطحية » وهم يعرفون ان « الصلافة » صفة من صفات الاشخاص الذين لا يملكون اسباب السلطة الحقة . ولا تأتي هذه السلطة الا بالتصرفات السامية التعرف المثالي .

٢ ــ كونوا عادلين :

« تصرفوا دائما بشدة عادلة . فالالماني معروف بعدله ، ولا يكره

الروسي شيئا كالظلم ... انه عامل ممتاز يعمل بحماس وصبر اذا ما عومل بشكل كريم ... انه ذكي ويتعلم بسهولة ، وان رأى معدات حديثة وقف منها موقف الحذر في بادىء الامر . فان لاحظ فائدتها تأقلم معها واستخدمها بكل سرور . ومن عادة الروسي ان يخضع لرؤسائه ، وعلى كل من يعطي أمرا او تعليمات ان يصيغ أوامره وتعليماته بشكل واضح مفهوم مع تجنب الاوامر المطولة او ترك الحرية للمنفذين . ومن الضروري مراقبة العمل عن كثب وتوجيه الملاحظات الضرورية عند اكتشاف بعض الاخطاء .

٣ ـ كافئوا الروسى ان عمل جيدا :

« يفقد الروسي حماسه اذا لم يكافأ ، وتصنع الهدايا الصغيرة والمكافآت الفردية المعجزات اذا كانت محقة واوضحت اسباب تقديمها .

٤ ـ لا تضربوا الروسى :

« ان للروسي كرامته وكبرياءه ، وهو يتعلق بهما بشكل شديد . فاذا ما ضربه أحدكم لم ينس ذلك أبدا ... ان ضرب شخص يعنى اعتباره من قبل الضارب شخصا متخلفا . ولقد كره الروس النظام القيصري لان الشنق والسوط كانا عملة رائجة . وفهم البلاشفة هذا جيدا ، فمنعوا المعاملة السيئة العلنية ، كما منعوا الموت خنقا ، ووصفوا هذه التدابير البربرية والوحشية .. وتحاول الدعاية السوفييتية اليوم نشر اخبار عن اننا نشنق ونجلد الانصار ، لتضع الالمان في مستوى عملاء القياصرة .

٥ ـ تجنبوا ان يشعر الروس من اقوالكم شيئا يشير الى ان الالمان ينتمون الى عرق افضل من عرقهم :

« ان الروس البيض والاوكرانيين والروس الشماليين وغيرهم

ينحدرون من عـرق آري • وتجري في عروقهم دماء الفيكينج ، وهـم فخورون بذلك • انهم يـدركون أنهم لـم يصلوا بعد الـى المستوى الحضاري لاوروبا الغربية ولكنهم يحاولون ذلك مع بعض النجاح ••• ويعتبرون معاملتهم كشعوب مـن الدرجة الثانية أو مـن « شعـوب المستعمرات » اهانة لا تغتفر • وتؤكد نشرات الانصار ان الالمان يريدون « استعمار الروس لبلادهم » •

« لا تحتقروا الروس كشعب او كأفراد ، فطبيعة بلادهم القـاسية تجبرهم على ارتداء ألبسة غير أنيقة حولتها متطلبات الحرب وصعوبـات الحياة الى اثمال بالية •

٦ ـ احترموا النساء والفتيـات الروسيات كمـا لو كـن نساء وفتيات المانيـات :

« لا تنسوا عندما تختلطون مع الشعب الروسي ان الالماني انسان محترم ، وان الناس ينظرون اليه كرجل متمدن • احذروا العنف والبذاءة والخسة في علاقاتكم مع النساء والفتيات الروسيات •

٧ ـ لا تحاولوا الحصول فرديا على ما تحتاجون اليه واحذروا المصادرات الظالمـة

« ان مثل هذه الاعمال محظورة تماما ، لانها توحي للـروس بأنهم فقدوا جميع حقوقهم ، وهذا ما يسبب لهم ضيقا شديدا • وهو يـدفع الروس الى وضع الالمان على مستوى من يصادرون ممتلكاتهم •

٨ ـ حاولوا في احاديثكم مع الروس اظهار التباين بين الروس العـاديين والبلاشفة :

« ان البلاشفة أقليـة في الشعب الروسي السوفييتي • فاذا مـا

وجهت اليكم انتقادات فما عليكم الا أن تلقوا سبب ذلك على عاتق البلاشفة ، فتبررون بذلك جميع أخطائكم • ان الروسي يحب المعاملة الشديدة ، المشوبة بالاحترام والعدالة •

٩ ـ اظهروا احتراما خاصا للدين :

« يجب اطلاق حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية • تجنبوا ممارسة الضغط في هذا الصدد ، لان التدخل في امور الدين عامل من العوامل المثيرة للقلاقل • انه اهانة للمواطنين ، ولا يؤدي الا الى الاضرار بسمعتنا •

١٠ ـ عاملوا الروس باحترام وبدون عصبية ، لتصلوا الى اهداف لا تصلون اليها بالصراخ والتهديد :

« لا يحتمل الروسي الصراخ والتهديد ، وهو لا يتقبل الانتقادات الا اذا اقتنع بأنه قام بغلط • ويجهل الروسي عادة اللغة الالمانية أو يفهم بعض كلماتها بصعوبة ، ولكن الصراخ لا يساعده على فهمها بشكل أفضل ، ويخطىء كل من يظن ان الآخرين يفهمونه بصورة افضل عندما يصرخ وان الصراخ خير وسيلة لشرح تعليماتنا لاهالي البلاد الاجنبية »•

ولكن هذه التوجيهات والارشادات جاءت متأخرة فلم تستطع تخفيف تأثيرات سياسة الارهاب الهتلرية •

وماذا يفيد الجيش الالماني اذا تصرف بعدل وحكمة ما دامت قطعات مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) تلقت أمرا « لتنفيذ مهماتها بشدة وقوة بناء على تعليمات الفوهرر على ان يأخذ العنف أقسى مداه في مناطق نشاط الانصار » • وكان نشاط وحدات مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.D.) والشرطة في قطاع العمليات يستوحي

خطوطه العريضة من تعليمات أمر « باربروس » الذي تشير احدى فقراته الهامة الى « اعدام الاطفال رميا بالرصاص » .

ثم جاء « أمر التهجير » فكان القشـــة التي قصمت ظهر البعير ، وترك جميع المدنيين القادرين على حمل السلاح أعمالهم وانضموا الـى الانصار خوفا من ترحيلهم الى المانيا ، ووضعهم في معسكرات العمـل الاجباري . وتبخرت أوهام بعض الروس الذين آمنوا بالالمان واعتبروهم محررين . ويرجع الفضل في هذا الانقلاب الخطير الى تصرفات هتلـر وهملر وروزنبرج الحمقاء . لقد كان امـام الشبان الروس طريقـان : التهجير للعمل في المانيا او المخاطرة في قلب الغابات مع الانصار ، ففضل معظمهم حياة المخاطر الشريفة على الحياة كعبيد في المانيا .

وهكذا اظهرنا أسباب فشل الالمان في روسيا ، وسيكتب التـاريخ حكمه كما يلي : لقد أذكى الالمان بتصرفاتهم « روح الانصار » في جميع الانحاء المحتلة من روسيا ، ثم عجزوا عن اتخاذ التدابير اللازمة ضد خطر داهم اثاروه بأيديهم . لقد كانت فكرتهم الاستراتيجية خاطئة منذ البداية ثم جرى تصحيحها بعد فوات الاوان . وسببت أخطاؤهم المعنوية ضياع نتائج نجاحهم التكتيكي . ودفع الجندي الالماني غاليا ثمن أخطاء كبـار القادة السياسيين والعسكريين ، واجبرت المانيا اخيرا الى زج ٢١ فرقة ضد الانصار ، ولم تكن في وضع يسمح لها بالاستغناء عن هذا العدد من القوات والذي فقدت نصفه دون أن يكون لديها القدرة على تعويضـه ... في حين كان الانصار يتضاعفون رغم خسائرهم الفادحة ، ويشنون حربا لا ترحم ضد المعتدين . وهكـذا **« سقط المارد ضحيـة لسعات البعوض »** .

لقد فشل الالمان ، واستفـاد الروس من تجربتهم السابقة وصـار بيدهم سلاح قوي استخدموه بعد الحرب بكل نجاح في انحـاء متعددة من العالم .

الفصل العاشر

ما العمل ؟

ان معنى حياتنا يكمن في افعالنا
لا في سنى عمرنا ، وفي عقولنا
لا بتنفسنا ، وفي احاسيسنا
لا بالساعات التي تمضى ...
ان علينا أن نقيس الزمن بعدد
ضربات قلبنا .

لقد علمنا في الفصول السابقة كيف كان للانصار السوفييت مهمتان هما : القتال كثوار ، والعمل كرجال استكشاف . وكان لمهماتهم شكل خاص ، لانهم يعملون في أرض يحتلها العدو . وكانت وحداتهم المقاتلة تشكل مؤخرات الجيش الاحمر المنسحب أو نقاطه الامامية عند الهجوم . فهم بذلك جزء مساعد للجيش ، ورجال استخباراتهم جزء من شبكة الاستخبارات الروسية .

ولم يكن الانصار على اتصال مع هذه الشبكة التي كانوا يجهلون وجودها . ولكن هذه الشبكة كانت قادرة على كشف أسرار الاستراتيجية الالمانية العليا . وكان الانصار قادرين على تعيين مكان وطريقة تطبيق الوسائل المستخدمة لتحقيق أهداف هذه الاستراتيجية . لقد كان الجواسيس يعطون القيادة معلومات عن العمل قبل وقوعه ،

وكان الانصار يراقبون التنفيذ ••• فهم يرون حركة آلة الحرب الالمانية عن كثب ، لذا فان تقاريرهم تساعد القيادة السوفييتية على فهم الخطوط العريضة لخطط العدو عندما يتعذر على شبكات التجسس كشف هذه المخططات •

لهذا يقدر الانصار ان يفاخروا بأنهم شاركوا في انتصار جيشهم العسكري ، وفي نجاح مصلحة الاستخبارات السرية الحمراء • وسنحاول فيما يلي توضيح دور كل من الانصار ، ومصلحة الاستخبارات الروسية، وتأثير هذا الدور على سير الاحداث اثناء المعارك •

عندما اشتبكت القطعات الالمانية مع الجيش الروسي في ٢٢ (حزيران) ١٩٤١ ، اهتزت امواج البرق ، وقطعت اجهزة الارسال السوفييتية المنتشرة في جميع أرجاء اوروبا صمتها ، وبدأت تعمل على موجاتها القصيرة بنشاط • وهكذا بدأ ٣٠ ـ ٤٠ جهازا مبعثرة في الغرب ترسل تقاريرها الى جهاز التقاط مركزي في موسكو •

ثم بدأ الالمان يفتشون عن هذه الاجهزة ، واكتشفوا معظمها ، وأوقفوا عمالها قبل ان تصل معركة ستالينجراد الى نقطتها الحرجة •• ولكننا لا ننكر ان هذه الاجهزة قامت قبل ذلك بدورها ، وأرسلت الى الروس معلومات كثيرة ساعدتهم على مجابهة العدو ومجابهة هجماته •

ويكفي نشاط هذه الشبكات الى كتابة مجلد كبير من القصص الغريبة ، فها هنا ضابط روسي يدعي انه امريكي جنوبي ثم يخون مساعده الذي ينافسه على قلب امرأة • وهناك جهاز لاسلكي مموه بكل ذكاء داخل غرفة مزودة بابواب سرية • وفي الجانب الآخر قصص سيارات المانية لكشف الاجهزة اللاسلكية ، يعمل فيها ضابط وعدة جنود يرتدون لباس عمال البريد ••• أو قصة عقيد الماني يعيش في نيس على انه اسباني ، ولا يكشف عن شخصيته الحقيقية الا بعد ان احتل الالمان جنوب فرنسا •

ولقد وقعت عمليات توقيف كثيرة ، وعمليات فراء فذة ... ويشرح فليكه عمليات متعددة من هذا النوع في كتابه الذي بناه على خبرة اكتسبها من عمله في المصلحة الالمانية لمكافحة التجسس . فاذا ما قرأ المرء كتابه شعر وكأنه في فيلم من آفلام هوليود ، وأحس كيف تكون الحقيقة أحيانا اغرب من الخيال .

وكانت اسم شبكة الروس في البلاد الغربية ، « الاوركسترا الحمراء » وكان عمال اللاسلكي يسمون موسيقيين ، وكانوا جميعا من الشيوعيين المتحمسين الهادفين الى مساعدة روسيا على الانتصار لاجل نشر النظام الجديد في أوروبا . وكانوا يخفون هوياتهم وأهدافهم بشكل جيد ، ويتظاهرون احيانا بالعمل مع الالمان . وكان من بينهم عدد من الضباط والموظفين وكبار الشخصيات المرتبطة ارتباطا وثيقا مع الالمان البارزين ، كضباط القيادة العامة للقوات المسلحة ، وكبار القادة في الجيش والطيران والشئون الادارية وصناعة الاسلحة . وكان للاوركسترا الحمراء ٦ شبكات تعمل في المانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وسويسرا وايطاليا . وكان عدد فصائل الشبكة الالمانية ٦ والفرنسية ٤ والبلجيكية ٥ والسويسرية ٢ .

لقد انشأت معظم بلاد العالم شبكات استخبارات خلال الحرب العالمية الثانية ، ولكن الشبكة الروسية ، كانت أوسعها انتشارا وافضلها تنظيما ، واكثرها قدرة على الحصول على المعلومات الصحيحة . حتى ان الروس كانوا يعرفون عدوهم كما لم يعرفه بلد من قبل ... وكان لديهم تقارير صحيحة عن مخططات العمليات الالمانية ، والقطعات المقاتلة، والانتاج الحربي ، لذا كان بوسعهم ان يأخذوا في الوقت المناسب التدابير اللازمة لصد أي خطر .

اننا لا نقول ان الروس ربحوا حربهم بفضل جواسيسهم وانصارهم فقط . ولكن نظرة سريعة على العمليات الرئيسية تظهر لنا مدى اشتراك

هذه العناصر في تحقيق النصر .

ان من ينظر الى المعركة الالمانية في روسيا نظرة عادية يـرى انها مجموعة حركات تكتيكية منفصلة لا يربطها اي مخطط استراتيجي ... والحقيقة ان العمليات الالمانية في فرنسا وبولونيا كانت مبنية على مخطط حربي يبغي حلا عسكريا ، وانها دارت حسب هذا المخطط لتحقيق الغاية المنشودة . اما العمليات في روسيا فكانت مختلفة عن ذلك . ان هتلـر لم يفتش عن الحل العسكري رغم ارشادات قيـادة القـوات المسلحة الالمانيـة .

لقد دخل الصراع ضد الاتحاد السوفييتي ليقضي على اقتصاده ، ويستولي على مصادر ثروته ، ويدمر قواعده الايديولوجية ... فـاذا ما عرفنا هذا الانفصال الواضح بين فكرة الحرب العسكرية المجـردة ومخططات هتلر الاقتصادية ، بدت لنا الاستراتيجية الالمانية في روسيـا واضحـة .

وكانت القيادة الالمانية العليا تريد الهجوم في اتجـاهين رئيسيين هما : كييف وموسكو . وكانت تعتقد ان موسكو تمثل القوة الروسية العسكرية نفسها ، وهي في الحقيقة اهم عقدة للطرق والسكك الحديدية وفيها مصانع كثيرة وهامة . وكان من الطبيعي ان يجمع الروس كبـد قواتهم العسكرية للدفاع عنها . وكـانت القيادة الالمـانية العامة تود الدخول في مجابهة مع معظم القوات الروسية قرب موسكو ، لتحطمها تحطيما كاملا ، مسببة بذلك انهيار المقاومة الحمراء . وكانت هذه القيادة تعتبر ان الطريق الى موسكو هو طريق النصر ، اما العمليات الاخـرى فكلها ثانوية .

ولم يكن هتلر راضيا عن هذا الرأي . ولا شك ان القائد العـام للجيوش الالمانية المارشال فـون براوختيش اصيب بذهـول ودهشة ، عندما قال له هتلر قبل بدء العدوان بستة اشهر بانه لا يعتبر موسكـو

« هدفا هاما » .

ولقد أكد هتلر فيما بعد هذا التصريح قائلا : ان موسكو لا تهمه كثيرا . واجبرت القيادة الالمانية العليا الى الموافقة على آرائه ، ووضعت تعليمات خطة « باربروس » في ١٨ (أيلول) ١٩٤٠ ، وأخذت موافقة هتلر عليها . وتقول التعليمات ان على القطعات الالمانية ان تستعد لسحق روسيا السوفييتية بعملية سريعة ، والسعي الى تدمير كبد القوات الروسية المتمركزة في غرب روسيا بدق أسافين عميقة مدرعة داخل التشكيلات الروسية تؤدي الى تشتيتها مع اتخاذ كافة التدابير اللازمة لمنع العدو من الانسحاب والقتال تراجعيا على المساحات الواسعة من الارض الروسية . وكان الهدف النهائي للعملية خط : الفولجا ــ أرخانجلسك ، كما كان من الواجب احتلال لينجراد للانطلاق بعد ذلك نحو موسكو .

وفي ٢٢ (حزيران) ١٩٤١ بدأت الحرب ، وسارت العمليات الالمانية سيرا حسنا ، لدرجة دفعت الجنرال هالدر رئيس أركان الجيش الى ان يكتب في يومياته : لقد ربحت المعركة بلا مبالغة خلال الاسابيع الاولى ... وكان الجنرال هالدر محقا ، لانه اعتقد آنذاك انه قادر على مهاجمة موسكو بكل حرية . وفي ١٨ (آب) قام هالدر وبراوختيش بتقديم مذكرة الى هتلر ، طلبا فيها السماح لهما السير نحو موسكو التي جمع الروس أمامها سبعين فرقة . وبعد ثلاثة أيام رفض هتلر الطلب مخيبا آمالهما ، وقال في ٢٠ (آب) انه لا يعتبر موسكو أهم الاهداف. ولكنه يرى ــ بعد احتلال أوكرانيا ــ ضرورة احتلال القرم ، ومناطق الدونيتز الاقتصادية ، وحرمان روسيا من آبار النفط في القفقاس ، ومنع الارتباط بين الفيلنديين والروس . لقد كان هتلر ينوي الاستيلاء على القمح والبترول الروسيين وجميع مصادر الثروة والقوة الصناعية للبلاد.

ومن الغريب حقا ان الغربيين لم يفهموا بسرعة أفكار هتلر ،

باستثناء وينستون تشرشل الذي أعلم الجنرال سمطس في ٦ أيار ١٩٤١ ــ أي قبل الهجوم بشهر واحد ، ان « هناك ما يدعو الى الاعتقاد بان هتلر يجمع قواته ضد روسيا ... وانني أعتقد أنه سيقوم بهجومه ضد أوكرانيا والقفقاس للاستيلاء على البترول والقمح الروسيين ... وليس هنالك ما يضيق تقدمه ...»

وهكذا توقع ونستون تشرشل بفضل حدسه الغريب جميع مخططات هتلر في الشرق . وكان البريطانيون يرون آنذاك ان نفط القفقاس عبارة عن محور حركة آلية الحرب الروسية . ومنذ عام ١٩٤٠ درست فرنسا وبريطانيا مخططا لمساعدة فيلندة المشتبكة آنذاك في حرب مع روسيا ، وكان هذا المخطط يشير الى وجوب الهجوم باتجاه باكو انطلاقا من ايران . وفي عام ١٩٤٠ اتخذ مجلس الحلفاء الاعلى قرارا يبين التدابير الضرورية لمنع رومانيا من ارسال بترولها الى المانيا ... كما أعطى هذا المجلس تعليمات الى الاركان العامة البريطانية والفرنسية لاتخاذ الاستعدادات اللازمة لقصف آبار البترول في القفقاس .

وكان على هيئات الاركان تنفيذ القصف في (حزيران) على أبعد تقدير . ثم أجل المشروعان بسبب الهدنة الفينلندية الروسية ، وانهيار فرنسا بعد ذلك . ومع هذا لم ينسى البريطانيون الفكرة نهائيا . ففي ٣١ (كانون ثاني) ١٩٤١ كتب ونستون تشرشل الى رئيس الجمهورية التركية خطابا يقول فيه : « ليس هناك ما يمنع روسيا من مساعدة ألمانيا، ولو بصورة غير مباشرة ، مثل وجود قوات قصف جوي كبيرة قادرة على ضرب المنشآت النفطية في باكو ، ومنطلقة من قواعد تركية » .

وعندما هاجم الالمان روسيا ، فكر الحلفاء بأن أفضل وسيلة لمساعدتها هي حماية القفقاس بطائرات تنطلق من القواعد الجوية الايرانية.

وعندما وصل الالمان الى شاريتيه في فرنسا ، وقعت بين أيديهم نسخة من القرارات التي اتخذها المجلس الاعلى للحلفاء في مارس (آذار)

١٩٤٠ . ولكن هتلر لم يكن في حاجة الى ارشادات ، ليفهم أهمية بترول القفقاس بالنسبة له أو بالنسبة للجهد الحربي الروسي . فلقد وعد في عام ١٩٣٢ بتقديم اكبر المساعدات لفاربين بغية مساعدته على انتاج البترول الصناعي . وفي عام ١٩٣٦ اعلن عن مشروع الأربع سنوات ، وكان يقول في ملاحظاته السرية ان هذا المشروع يهدف الى « حل مسألة انتاج المحروقات حلا تاما خلال ١٨ شهرا . على أن يتم الوصول الى ذلك بالعمل والاصرار الجديين ، كما لو أن الامر متعلق بعملية عسكرية فعلى حل هذا الامر يتوقف سير الحرب في المستقبل ... » ولكن خبراءه لفتوا نظره الى ان صناعة البترول الصناعي عاجزة عن تقديم الكميات اللازمة للحرب . فلم ينس ذلك وبحث عن مصادر اخرى . وعندما وضع اتفاقيات موسكو موضع التنفيذ طلب من روسيا ان ترسل لـه كميات كبيرة مـن البترول والقمح. وحتى عام ١٩٤٠ أمن لنفسه امدادا مستمرا من رومانيا، وذلك بان ارسل الى حقول البترول في بلوئيستي وحدات من الـ (S.S.) بألبسة مدنية ، ثم اضطر الـى ارسال وحدات من الجيش . وهكـذا استخدم هتلر البنزين الصناعي لمهاجمـة بولونيا ، ثم استعمل البتـرول الروسي لاحتلال فرنسا ، ولولا البترول الروماني لما تجرأ على مهاجمة روسيـا .

ثم برزت حاجة المانيا للقمح ، وخاصة عندما قطع الروس قمحهم عنها . ولقد رأينا كيف قرر خبراء الاقتصاد الالماني ان متابعة الحرب بعد احتلال فرنسا عملية مستحيلة اذا لم تأخذ الجيوش الالمانية تموينها مـن روسيـا .

وكانت رغبة الالمان بالحصول على « البترول والقمح » شديدة . ومن المؤكد ان روسيا كانت معرضة للانهيار لو وصل الالمان الى اهدافهم. فالآلة الحربية الروسية بحاجة الى بترول القفقاس كما ان الزراعة بحاجة اليه . ولقد كتب تشرشل في الرسالة التي ذكرناها سابقا ، والتي ارسلها

في (كانون ثاني) ١٩٤١ الى رئيس الجمهورية التركية ما يلي : «والزراعة الروسية مبنية على الآلة ومرتبطة بآبار النفط ارتباطا وثيقا • لذا فان تدمير هذه الحقول يعني وقوع مجاعة اكيدة في روسيا » •

وكان ستالين مرتبكا جدا ، أنه قادر على اخلاء موسكو ، ولكنه عاجز الاستغناء عن بترول القفقاس• ولقد اعلن المارشال روكوسوفسكي بعد الحرب : « لولا بترول باكو لما استطعنا متابعة الحرب » • ومن الصعب ان نجد شخصا يستطيع تقدير هذا الامر اكثر منه • وهكذا تجنبت روسيا الكارثة بفضل مسافة ٤٨٠ كيلو مترا كانت تفصل الطلائع الالمانية في جبال القفقاس عن سهول باكو •

وكان الروس يرون الخطر جيدا، ولكن القيادة الالمانية العامة تعامت عنه • وهي لا تريد الاعتراف حتى اليوم ، بأنها أضاعت فرصة ثمينة للنصر • ولقد قال الجنرال هالدر في عام ١٩٤٩ عند دراسة موضوع قيادة هتلر العسكرية :

« أجبر هتلر القيادة الالمانية العامة على ترك المخطط الذي قررته ، والذي يتضمن القضاء على القوة العسكرية الروسية قرب موسكو، وذلك لمصلحة عملية ثانوية ، كان نجاحها سيؤدي الى انهيار جبهة ثانوية ضعيفة •• لقد قدم هتلر مهمة احتلال المناطق الصناعية ومنابع البترول الروسية، وفضلها على المهمة الحاسمة التي كانت ماثلة في القضاء على الجيش الروسي » •

وهذا تصريح عجيب يدلي به رئيس الاركان السابق للجيش الالماني بعد ٤ سنوات من انتهاء الحرب • انه يرى ان طريق باكو كان مفتوحا ، وان الانتصار في هذا الاتجاه منتظر ، ومع هذا تطالب هيئة الاركان العامة بالهجوم على موسكو ••• لقد قاتلت القطعات الالمانية بشكل رائع في روسيا، ولكن هيئة الاركان العامة لم تكن على مستوى مهماتها•

ولنذكر هنا أيضا ان هيئة الاركان العامة الالمانية برهنت قبل ذلك قصر نظرها • ولم يكن مخطط عملياتها ضد فرنسا سوى نقـل لمخطط شليفن المعروف الذي تم تنفيذه مسبقا في الحرب العالمية الاولى • اما عملية الخرق الرائعة بالقوات المصفحة عبر الاردين ، وحركة الحصـار باتجاه دنكرك اللتان حددتا مصير فرنسا . فلم تولدا فـي أدمغة هيئة الاركان العامة الالمانية ، بل كانت عبارة عن مخطط تفتق عنه عقل جنرال أصبح فيما بعد الفيلد مارشال فون مانشتاين •

وكما حاولت هيئة الاركان الالمانية العامة تنفيذ مخطط عام ١٩١٤ في فرنسا ، فانها ارادت في روسيا تطبيق خطة نابليون لعام ١٨١٢ •

والحقيقة لم تكن لموسكو ايـة اهمية •• وبدلا من مهاجمة ٧٠ فرقة متجمعة قـرب موسكو أعطى هتلر اوامره بتطويق كييف ، وفـي (ايلول) ١٩٤١ سقط هذا الجيب ، وأسر الالمان ٦٥٠ الف اسير •

ولو ان هتلر هاجم موسكو آنذاك لما تمكن من احتلالها بهـذه السهولة • ويمكننا ان نؤكد ان منظمة حوض الدونيتز الصناعية لا تقل اهمية عن منطقة موسكو ، بالاضافـة الى انها أسهل منها منالا • وعندما تقدمت قوات الجيش الالماني الرئيسية هدد منطقـة كييف فكا كماشـة كبيران واستمر التهديد مدة طويلة قبل ان يعطي هتلر اوامره باغـلاق الحصـار •

ولقد كتب هالدر عن ذلك قائلا : « ودلت بعض الاشياء على ان الروس بدأوا اخلاء حوض الدونيتز ، وجـزء من المنطقة العربية فـي الشرق » •

ولكن هالدر لم ير ان الجبهة الروسية في خطر ، وان على الجيوش الروسية ان تتراجع من هذه المنطقـة بعد ان كبدتها معركة كييف خسائر كبيـرة •••

ان مجموعة جيوش الجنوب الالمانية لم تكن قادرة لوحدها على كسب المعركة ، ولولا مساندة مجموعة جيوش الوسط لها لبقيت الجبهة الروسية صامدة ••• ولو حاولت مجموعةجيوش الوسط احتلال موسكو قبل تطهير منطقة كييف ، لما استطاعت مجموعة جيوش الجنوب التقدم واحتلال الاراضي بسرعة في قطاعها • بالاضافة الى ان موسكو كانت تبعد مئات من الكيلو مترات ، وتقدم مجموعة جيوش الوسط نحوها يعني تعريض مجنباتها على عمق كبير •• لقد حقق الروس انتصاراتهم في شتاء ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ بفضل هجماتهم الموجهة بمهارة نحو الفجوات الموجودة في الجبهة الالمانية • وهذا يدل انهم كانوا سيهاجمون هذه المجنبات الضعيفة بكل قوة • ويقول الجنرال ريندوليك الذي كان يقود وحدة المانية كبيرة في الجبهة الروسية : « ان توالي الاحداث بعد ذلك يثبت لنا ، ان التقدم باتجاه موسكو بدون احتلال اوكرانيا والقضاء على القطعات المعادية فيها ، يعني تعريض جزء كبير من الجيش الالماني للابادة خلال شتاء ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ » •

كل هذا يدل على ان هتلر كان في هذا الوقت على حق •

ومع ذلك ، اصدر هتلر بعد الانتصار في كييف ، امرا بالتقدم نحو موسكو • ولكن معركة كييف عطلت هذا التقدم ستة اسابيع ، وجاء فصل الوحل والثلج والصقيع فأصيب الهجوم بالشلل • ولكن هنالك شيء آخر ساعد الروس على مواجهة الالمان ، والقيام بهجوم مضاد واسع النطاق • فما هو ؟••• يذكر هالدر في مذكراته ان الخسائر الالمانية كانت تتضاعف بشكل دائم بينما كان الروس يدفعون الى المعركة باستمرار فرقا جديدة • ثم رفع الستار بعد ذلك عن سر وجود هذه الفرق الجديدة ••• ان شبكة التجسس الروسية في طوكيو والتي كتب قصتها الجنرال تشارلس • آ • ويلوجبي : اعلمت السوفييت في عام ١٩٤٢ ان اليابان لا تنوي مهاجمة روسيا ابدا • وهكذا تمكن

الروس بفضل استخباراتهم سحب عدد كبير من قطعاتهم المتمركزة في الشرق الاقصى ، ودفعوها الى مسرح العمليات في اوروبا في الوقت المناسب لتشترك في معركة موسكو • لقد كانت روسيا متأكدة بأنها لن تعمل الا على جبهة واحدة • بينما كان الالمان يحتفظون بجزء من قواتهم في الغرب للدفاع ضد جبهة ثانية محتملة . وهكذا قاتلت المانيا ويدها مقيدة ، بينما كان الروس يقاتلون بيدين طليقتين •

وهكذا باءت بالفشل جميع الامال التي علقتها هيئة الاركان العامة الالمانية على الهجوم العام الحاسم • وفي شتاء ١٩٤١ استنتجت ان عليها تطبيق استراتيجية دفاعية في روسيا ، والاكتفاء بالهجوم على اهداف محدودة على جبهة محدودة • وكانت هذه الفكرة تحمل في طياتها كثيرا من التشاؤم • ومع هذا لم يكن من المباغت ان يذكرها شخص رأى قبل عدة اشهر ان هزيمة روسيا محققة !•• ولم يكن البريطانيون من رأي هالدر ، كما لم تثبت هذا الرأي انتصارات الالمان بعد ذلك في عام ١٩٤٢

فلم توقف هتلر اذن ؟؟ ان لهذا الامر سببين ويتعلق اولهما — وهو ما سنبحثه الان — بفكرة هتلر الخاطئة عن الحرب « الايديولوجية » ضد روسيا • اما الثاني — وهو ما سنراه فيما بعد — فيتعلق بفاعلية جهاز الاستخبارات الروسي •

لقد رأى هتلر ان عليه ضرب روسيا في لينتجراد وستالينجراد ، لانه يعتبر هاتين المدينتين قلعتين من قلاع الايديولوجية الشيوعية • ويعتقد ان تدميرها يؤدي الى القضاء على البلشفية نفسها ، لهذا يمكننا ان نفهم لم حاول بعناد احتلال هاتين المدينتين ••• ان لينتجراد لا تتمتع بقيمة عسكرية خاصة • واتصال الجبهة الروسية الفيلندية قربها ، هو النقطة العسكرية الوحيدة التي يمكن ان تدخل في الحسبان • مع ان هذا الاتصال لا يساوي الجهود التي بذلت لقطعه • اما ستالينجراد فليس لها اية قيمة استراتيجية • وكل ما قاله هتلر للدفاع عن فكرة مهاجمتها عبارة

عن محاولات لتغطية فشله • انها لم تكن كما ادعى عقدة مواصلات حيوية ، فالفولجا نهر لا يمكن اجتيازه خلال خمسة شهور في السنة • كما ان الالمان قطعوا هذا الطريق المائي قبل الهجوم على المدينة • ولم يكن احتلال ستالينجراد يساعد على تأمين دفاع الجناح الشمالي للجيش الالماني في القفقاس ، بل على العكس ان الجناح الطويل الممتد حتى ستالينجراد كان معرضا للتدمير تحت ضربات الروس • ولقد توقع هالدر هذا الخطر ، ولكن هتلر لم يستمع لتحذيره ، ثم اعترف بعد ذلك بخطئه ، ففي حديث القاه في (تشرين اول) ١٩٤٢ بمناسبة معونات الشتاء ، طلب من مستمعيه ان لا يصدقوا الشائعات المنتشرة القائلة بأنه اراد احتلال المدينة نظرا لاهمية الاسم الذي تحمله ••• والحقيقة انه ترك فكرته القديمة التي تتضمن « ضرب روسيا اقتصاديا بدلا من الانتصار عليها عسكريا » وترك اهدافه السابقة ليلاحق شبحا ايديولوجيا ولقد كانت القوات الالمانية اللازمة للاندفاع نحو باكو جاهزة ، وحتى (آب) ١٩٤٢ كان المارشال السير آلان بروك يعتقد ان الالمان سيصلون الى حقول البترول • ولكن هتلر بعثر قواته في محاولات لاحتلال ستالينجراد ، كما اعطى في ٥ (نيسان) ١٩٤٢ اوامره باحتلال لينينجراد •

وهكذا حصل ستالين على الوقت الكافي لدرء الخطر الالماني المضاعف على ستالينجراد وباكو ، وكان قد ابلغه بذلك الخطر احد فصائل الشبكة الالمانية التابعة « للاوركسترا الحمراء » كما اعلمه ان شخصا يدعى كنت ، وهو نقيب من الجيش الاحمر ويعمل تحت اسم فينسان سييرا ، قابل في برلين ضابطا من مصلحة مكافحة التجسس الالمانية وخبيرا في وزارة اقتصاد الرايخ الثالث ، وعلم منهما ان الجهد الالماني الرئيسي محدد نحو القفقاس مع جناح يسير نحو الفولجا باتجاه ستالينجراد •

وعندما تمت هزيمة الالمان في ستالينجراد اجبر جيشهم في القفقاس

الى التراجع حتى يتجنب الانقطاع • ونجت روسيا في ستالينجراد لان ستالينجراد انقذت القفقاس •

ويمكن ان نؤكد ان هنالك انتصارين روسيين هامين هما الدفاع عن موسكو وحصار ستالينجراد • ويعود الفضل في نجاحهما الى شبكة التجسس الروسية • ان انتصارات الانصار في هاتين المعركتين اقل اهمية من نجاح الاستخبارات ، ولكن الانصار قامت مع ذلك بأعمال تستحق الاعجاب • لقد شاركت في الوصول الى النصر بسلسلة من المعارك الصغيرة المجهولة ••• ولقد لفتنا النظر سابقا الى انتصارات الانصار العسكرية ، ولكن هذه الانتصارات لا تكفي لتفسير كل شيء ••• ان معلومات المستندات الالمانية عن مصلحة استخبارات الانصار معلومات محدودة ، ولكننا واثقون من ان هجمات الجيش الروسي كانت تتم دائما في النقاط التي يكتشف الانصار حساسيتها وضعفها ، ويعلمون قيادة الجيش عنها ••• حتى اصبح الروس اساتذة في اختيار النقاط الضعيفة الحساسة عند الخصم كالثغرات الصغيرة في الجبهة خلال شتاء ١٩٤١ — ١٩٤٢ ، والقطاعات التي تحتلها جيوش الدول المتحالفة مع المانيا في بداية معركة ستالينجراد ••• وعندما لم يكن هنالك ثغرات او جيوش من الدول المتحالفة كان الحمر يختارون الحدود الفاصلة بين تشكيلتين معاديتين لتوجيه ضربتهم الرئيسية اليها ، ولنذكر هنا تقرير قيادة فيلق من الفيالق الالمانية كانت تتعجب قائلة : « ان العدو مطلع بشكل غير معقول على حركات قطعاتنا » • ولم يكن هنالك الا مصدر واحد قادر على ابلاغ الجيش الاحمر مباشرة وبصورة دائمة عن اضعف النقاط في جبهة العدو ، وهو وحدات الانصار العاملة خلف خطوط الالمان ولقد كنا ننظر الى القيادة السوفييتية خلال الحرب بكل اعجاب ، نظرا لبراعتها في استخدام وتحريك قطعاتها ، ولكننا كنا نجهل ان سر براعتها يعود الى معرفتها الدقيقة بمواقع الالمان • ولم نكن نقر بأهمية الانصار

الذين فتتوا مؤخرات العدو ، ثم وجهوا الجيوش الحمراء نحو اضعف نقاط جبهته .

لهذا قلبت حرب الانصار فكرتنا عن الحرب ، ففي الماضي كان هنالك خطوط متصلة جامدة تمتد امام العدو ، وكانت الجبهة قصيرة ، وحقل المعركة محدودا ، لدرجة تسمح للقائد بمراقبة جميع الامور من نقطة واحدة . وفي عام ١٩١٤ انتشرت الجيوش المتحاربة لاول مرة في التاريخ على جبهة مستمرة تمتد مئات الكيلومترات . وهكذا امتد حقل المعركة عرضا بشكل كبير . ثم جاء الانصار فأدخلوا في المعركة عنصرا جديدا ، لقد عمقوا حقل المعركة الذي اصبح يمتد من خط القتال الامامي الى ابعد القواعد الخلفية . وهذا ما يعطي للحرب الشاملة معنى جديدا .

ان على الدول الغربية ان تتحضر لهذا النوع الجديد من الحروب وان تعتمد في استعدادها على قواعد جديدة . والقواعد التي نقترح تطبيقها في الدول الغربية هي :

قاعدة رقم ١ : علينا ان نتصل باعداء عدونا ، وباصدقائنا داخل معسكر العدو .

قاعدة رقم ٢ : علينا ان نجد مجالا للتفرقة بين صفوف اعدائنا ((فرق تسد))

اننا لم نفرق في خلال الحرب العالمية الثانية بين الالمان والنازيين ، كما لم يفرق الالمان بين الروس والبلاشفة ، وهذه اغلاط يجب تجنبها في المستقبل .

قاعدة رقم ٣ : ان من واجبنا ان نقدر الاشخاص (المتعاونين) الذين نتصل بهم داخل البلاد المحتلة . وان نعاملهم باحترام حتى لا نقع في اخطاء النازيين ونضطرهم للانضمام الى الانصار .

قاعدة رقم ٤ : يجب تعريف المواطنين في البلاد المحتلة باهدافنا ، ودعم هذه الاهداف سياستنا .

ولا مانع من ان نطلعهم على اهدافنا العسكرية اذا لزم الامر ، وان

نغذي لديهم كرها وعداء حقيقيا لاهداف العدو • ان القيام بالحرب بدون هدف واقعي للحرب امر بلا معنى ، لذا فان علينا ان نربح الدعم السياسي للمواطنين في البلاد المعادية • ولقد رأينا ان الالمان جربوا ذلك في روسيا ليستخلصوا في النتيجة ان « موقف الشعب ذو اهمية كبرى في القتال ضد الانصار » • وان من الضروري تنمية العلاقات الطيبة مع المواطنين • ويؤكد ماوتسي تونج ان حرب الانصار تصاب بالفشل اذا لم تكن اهدافها السياسية منطبقة مع اهداف الشعب وذلك لان للانصار جذورا وسط الجماهير ، وهي تأخذ منها تنظيمها وحياتها ، ولا يمكنها ان تحيا وتنمو اذا انفصلت عن الشعب وفقدت مشاركة الجماهيرونعاونها ومن هنا يستنتج ماوتسي تونج ان الديمقراطيات الشعبية وحدها قادرة على القيام بحرب الانصار لان الثورة المعاكسة لا تستطيع اجتذاب الجماهير الى جانبها •

قاعدة رقم ٥ : يجب تنظيم عمليات مضادة للانصار •

وذلك بانشاء قوات مضادة للانصار وتدريبها وتسليحها وتحضيرها في المناطق الخطرة من العالم احتياطا للطوارىء • لانها ستقدم لنا في الوقت المناسب فوائد عظيمة •

ولنر ماذا كتب لورانس وهو اكبر قادة الانصار الانجليز :

« لقد مشيت حتى نهر دجلة مع ١٠٠ من الجنود المحليين ، وهم شبان اصحاء ، ومحاربون حقيقيون ، تدفعهم الرغبة بالعمل لاسعاد عائلاتهم • وشعرت بالقرب من هؤلاء الجنود بروعة كوني واحدا منهم وانجليزيا بنفس الوقت ••• وكنا ندفعهم الى الانقضاض نحو الموت المحتم ، لا لنربح الحرب ، بل لنستولي على قمح وبترول ما بين النهرين لقد كان علينا ان نسحق عدونا ولقد تم ذلك بفضل مهارة النبي الذي استخدم الشعوب الناقمة على الاتراك ، فانتصر على عدوه ولم يخسر اكثر من ٤٠٠ قتيل من جنوده » •

ويدلنا التاريخ ان الانصار كانوا جرحا لا يندمل بالنسبة للجيوش فلقد ضايق الفدائيون البوير ٢٥٠ الف جندي بريطاني خلال سنتين كاملتين . وفي فلسطين استخدم الانجليز قوة عسكرية تعادل فيلقا لمجابهة حفنة من الثوار . وفي خلال الحرب العالمية الثانية جمد اليوغسلافيون ٢١ فرقة المانية . ولقد رأينا ماذا حل بالالمان في روسيا . ثم قام الكوريون والصينيون بعد الحرب العالمية الثانية بعمليات عصابات لا تنتهي . ويذكر ويليام . ل. ووردن ما يلي : « عندما احس الاتراك بأنهم عاجزون عن الصمود مدة اطول بدأوا التراجع ببطء . وكان الطريق متعرجا يسير على طول ممر اجباري يضيق في ذروته . وفي لحظة تراجع الاتراك ، فتح الصينيون النار من مواقعهم المخفية على طرفي الممر الاجباري والسيطرة على الطريق سيطرة تامة . ومع استمرار الصعود اصبح الاتراك اكثر حذرا بالنسبة لآلاف الاشخاص السائرين على جانبي الطريق ، وكان هؤلاء الاشخاص خليطا مؤلفا من جنود من جيش كوريا الجنوبية ، ومدنيين ، واشخاص يتظاهرون بأنهم مدنيون ، واشخاص آخرون لا يتفوهون بكلمة ، ولا يرفعون ابصارهم عن الارض عند مرور الارتال العسكرية ... وكان لحذر الاتراك ما يبرره ، فعلى طول الطريق الصاعد الطويل كان هؤلاء الرجال يرمون اكياس الارز ويخرجون منها بنادق حربية ، كما كان البعض بخلع لباس جنود كوريا الجنوبية لتبرز تحتها البسة عسكرية صينية وهكذا اصبح كل شيء خطرا ، وغدا من الواجب تفتيش كل قرية او بيت او كومة قش . واصيب بعض الاتراك بطلقات في رؤوسهم فسقطوا من العربات ، بينما كانت الارض حولهم خالية من اي انسان » .

قاعدة رقم ٦ : يجب القيام باتصالات مع عناصر من بلاد العدو .
قاعدة رقم ٧ : نشر الفكرة الروحية .
اعدة رقم ٨ : تامين حماية وامن اراضينا .

وذلك بتدريب وحدات خاصة ووحدات الحرس الوطني للعمل ضد

الانصار .

قاعدة رقم ٩ : تدريب الجيش على المهمات المضادة للانصار .

لقد رأينا كيف دفع الالمان غاليا ثمن غلطتهم التي ارتكبوها لأنهم لم ينشئوا تنظيمات مضادة للانصار في الوقت المناسب .

وعندما فهموا ذلك ارتكبوا خطيئة اخرى بترك الوحدات المكلفة بالقتال ضد العصابات تتصرف حسب ما تراه . ان على جميع الجيوش وضع نظام للقتال ضد الانصار . يعمل به الجيش والحرس الوطني والشرطة والقوات الخاصة المضادة للانصار ، وان يتم تدريب الجميع تدريبا تاما . وهذا مثال للطريقة التي كان كوفباك يدرب بها رجاله :

« ان اهم الاشياء عندنا دراسة الاسلحة . فوحداتنا مسلحة بأسلحة استولينا عليها من العدو . وهذا يعني وجود اسلحة متعددة ومتنوعة ، معظمها غريب عنا لا نعرف استعماله او ميزاته . لقد جمع الالمان من اوروبا مجموعة كبيرة من البنادق والمسدسات والمسدسات الرشاشة والبنادق الآلية ، وكان علينا ان نعرف كل هذه الاسلحة وكيفية استعمالها دون ان يكون لدينا اية نشرة تعليمية عنها .

وعندما كنا في غابة سبادشتشانسكي قلت للرفاق : ان لدينا الان بنادق عادية ، فاذا ما استولينا على بندقية آلية او رشاش من ارض المعركة وجب علينا ان نصوب هذه الاسلحة فورا الى صدر العدو ، لذا فان من واجبنا دراسة هذه الاسلحة مسبقا . فكيف نفعل ذلك ؟ اذا استولى احدنا على سلاح آلي علمنا طريقة استخدامه ، وما ان يظهر سلاح جديد في المفرزة حتى يدرسه الجميع .

وان غنمنا هاون اصبح كل واحد منا سدينا من سدنة الهاون ... فان مر شخص قرب الملاجيء او المراكز او المراكز الامامية لم ير مفرزة من الانصار بل معسكرا للتدريب ، فحيثما نظر رأى جماعات من الانصار ملتفة حول جذع شجرة تتعلم كيف تفك وتركب وتدرس سير حركة الاسلحة»

الاسلحـــة » .

هذه هي الروح التي تكلمنا عنها قبل قليل ، ويدرك اهمية هـــذا الكلام كل من كان في الماضي مدربا او مصلح اسلحة .

وتكتيك الانصار سهل لا يصعب تعلمه . ولقد اختصره رجـــال المقاومة السرية الفرنسية في ثلاث كلمات « المفاجأة ــ الرمي بالرشاشات ــ الاختباء »

وسنذكر في نهاية هذا الفصل كلمات حكيمة قالها عجوز صيني . لقد كان احد مؤلفي هذا الكتاب ضابطا في الجيش البري المكلف بالانزال في شانغهاي عام ١٩٢٧ . وفي يوم من الايام قابل في المرفأ عجوزا صينيا فسأله عن الاسباب التي تدفع الصينيين الى رسم او حفر عيون كبيرة على مقدمة مراكبهم . فأجابه :

« لو لم يكن لدينا مثل هذه العيون لما تمكنا ان ننظر ونرى .

« فاذا لم نستطع الرؤية تعذرت علينا المعرفة .

« واذا لم نعرف عجزنا عن العمل .

ومن واجبِ الجميع ان يفتحوا عيونهم ليروا ويعـــرفوا ويعملـــوا بسرعـــة .

ملحق

المشروع الالماني

لمبادىء القتال ضد الانصار

القتال ضد الانصار

الى جميع الاسلحة والقطعات في القوات المسلحة

القيادة العـــامة	مقر قيادة الفوهرر
للقوات المسلحة	٦ (ايـــار) ١٩٤٤

توضع التعليمات حول « القتال ضد العصابات » موضع التنفيـــذ في الجيش الالماني اعتبارا مـــن (نيسان) ١٩٤٤ . وتلغـــى توجيهات

« القتال ضد عصابات الانصار في الشرق » الصادرة في ١١ (تشـرين ثاني) ١٩٤٢ .

رئيس اركان القيادة العليا للقوات المسلحة

التوقيع يودل .

فهرس المواد

المقدمة . . . .

١ ـ خطر الانصار . . . . .

من الفقرة ١ الى الفقرة ١٦ . . . .

٢ ـ القتال ضد الانصار

(ا) القيادة :

١٧ ـ يرتبط القتال ضد الانصار ارتباطا وثيقا بمهارة القادة . ويعود نجاحه الى تفوق القيادة نفسها .

١٨ ـ تقع مسئولية القتال ضد الانصار على عاتق قائد القوات المسلحة وقائد قوات الـ (S.S.) الذي يشغل في نفس الوقت منصب رئيس الشرطة الالمانية .

١٩ ـ عندما يقتضي الموقف القيام بعمليات كبيرة ضد الانصار ، يعين لقيادة هذه المهمات رئيس مسئول تحدد سلطته على وحدات الجيش والـ (S.S.) المشتركة في المهمة وعلى السلطات المدنية اذا لزم الامر ،

وذلك باتفاق مسبق يتم بين جميع السلطات المعنية .

٢٠ ــ يتطلب العمل ضد الانصار تنسيقا وثيقا بين السلطات العسكرية وقيادة قطعات الـ (.S.S) والسلطات المدنية . ويجب تأمين هذا التنسيق منذ ابتداء مرحلة التحضير ، ان جميع التدابير التي تتخذها السلطات المدنية (اعمال زراعية ، بناء طرق ، انشاء جسور ، اعمال قطع اشجار ... الخ) مرتبطة ارتباطا تاما بوضع الانصار يجب احترام مصالح الادارة المدنية خلال العمليات ، ضمن الحدود الممكنة .

٢١ ــ ليس في حرب الانصار جبهة محدودة او حدود قطاعات . فاذا ما رأى القائد خلال عملية ما ضرورة الدخول في قطاع قريب وجب عليه الدخول دون تردد . ان مشاركة الوحدات المجاورة بالاطلاع على الموقف منذ بداية اعداد العمليات الكبيرة ، يسهل عملية تدخلها في الوقت المناسب اذا لزم الامر .

٢٢ ــ اتبعت الاساليب التالية بنجاح في هذا النوع من العمليات :

(ا) حصار العصابات وتنظيف المنطقة المحاصرة تنظيفا تاما ، ويعتبر هذا الاسلوب افضل الاساليب واكثرها فاعلية ... انه يتطلب اشتراك قوات كبيرة ولكن نجاحه محتم .

(ب) تدمير الانصار بهجوم مباغت تليه مطاردة . ويستخدم هذا الاسلوب عندما لا يتوفر لنا القوات الكافية او الوقت الملائم لتحقيق التطويق . او عندما لا تسمح الارض باجراء مثل هذا العمل . ومن الضروري ملاحقة الانصار بعد مهاجمتها بغية ابادتها ابادة تامة .

(ح) استخدام قوات كوماندوس المطاردة ضد الانصار . ان وحدات خاصة صغيرة مسلحة ومدربة على مثل هذه الاعمال قادرة على تشتيت الانصار وقطع مواصلاتها .

(د) الدفاع ضد الانصار انظر الفقرات من ٩٤ الى ١٢٨ . يجب

اتخاذ تدابير الدفاع اللازمة لمنع الانصار من مهاجمة اماكن اقامة الوحدات ، والمنشآت الاقتصادية ، والسكك الحديدية ومحطاتها ومنشآتها ، والطرقات ، والجسور والمصانع الحربية ... الخ .

٢٣ ـ يجب المحافظة على المبادرة دائما حتى ولو كانت قوات القائد المعينة لصد العصابات محدودة . ان السلبية تؤدي الى اوخم العواقب ، وعلى الجميع ان يردوا على كل هجوم بهجوم مضاد .

ويختلف الاسلوب المتبع في القتال من مرة الى اخرى باختلاف القوات المتوفرة ، ووضع الانصار ، والوضع العام كله . ان الشجاعة والمبادهة وقدرة القائد على التلاؤم مع المواقف المختلفة ، والخبرة بهذا النوع من العمليات صفات تكمل بعضها بعضا ، وتسمح باستخدام الاسلوب المناسب للظروف ، مع تكبيد العدو اكبر خسارة ممكنة . ان البطء وعدم الفاعلية يتيحان للانصار وقتا كافيا لتتمركز وتتقوى ، لذا يجب الهجوم دون ابطاء على الانصار المشكلة حديثا في منطقة من المناطق .

ومن المستحيل ابعاد خطر الانصار باتباع وسيلة تكتيكية واحدة . ولا تصل افضل الوحدات المضادة للانصار الى النجاح الاكيد اذا لم تطهر المنطقة تطهيرا نهائيا من العصابات المتمركزة فيها . كما ان حماية النقاط الحساسة تبقى دون جدوى ، اذا لم تقم القوات المكلفة بها بعمليات هجومية ، غايتها خلق منطقة امان واسعة حول النقطة الحساسة. ان على القوات المكلفة بالقتال ضد الانصار ان لا تتمسك باسلوب قتالي جامد ، لان الانصار يتأقلمون مع الموقف بسرعة ، ويأخذون التدابير الكفيلة باحباط هذا الاسلوب القتالي ، خاصة وانهم يتلقون من قيادتهم باستمرار التوجيهات المناسبة لذلك .

٢٤ ـ يتطلب القتال ضد الانصار في جميع مراحله اتخاذ تدابير

حماية دائمة ... وعلى القائد اتخاذ تشكيلة تسمح بمجابهة المواقف المتبدلة المباغتة ، مع الاحتفاظ بقوات احتياطية كافية تسمح له بتبديل مركز ثقل قوته في كل لحظة . وافضل القوات الاحتياطية ما كان مؤلفا من وحدات صغيرة آلية سريعة الحركة .

٢٥ ــ تتبعثر القطعات في القتال ضد الانصار على مساحات واسعة من الارض ، لذا يصعب اشراف القائد المستمر الفعال على جميع قواته . ولكن التدابير الثلاثة التالية اثبتت فاعليتها في معالجة هذا الامر :

(ا) استخدام شبكة اتصال ممتازة مجهزة مسبقا . والاحسن ان تكون شبكة سلكية (هاتفية) مدعومة بشبكة لاسلكية (اجهزة لاسلكية خفيفة) . ان هذا الاستخدام يسهل عملية نقل المعلومات بسرعة الى مسافات شاسعة .

(ب) تعطي الطائرات الخفيفة (طائرات استكشاف ــ طائرات هليكوبتر) للقائد قدرة كبيرة على الحركة وتساعد على التدخل بسرعة في المكان الملائم .

(ج) يؤمن القائد اشرافه على وحداته بالتقدم من موقع الى آخر . وباعطاء الوحدات اهدافا متقاربة . اما اذا كان جهاز نقل المعلومات رديئا ، او كانت منطقة العمليات واسعة فان على القائد ان يحسب حساب الوقت الضائع عند نقل المعلومات حتى تعمل وحداته المشتبكة بحرية داخل اطار الاوامر التي تتلقاها . ومن المفيد اعطاء هذه الوحدات ايضاحا كافيا حول نوايا القائد ، والطريقة التي يرغب بها تحقيق هذه النوايا ، لتستطيع ضمن هذا الخط عند انقطاع الاتصال .

٢٦ ــ يجب تحقيق المباغتة دائما في القتال ضد الانصار ، وهذا مبدأ صالح دائما . ويعتقد الانصار ان القوات المضادة تتحاشى غالبا مهاجمتها في الظروف الجوية السيئة ، او في الاراضي الصعبة التي تندر

فيها الطرقات • كما تعتقد ان قطعاتنا لا تفضل العمليات في المستنقعات او الادغال • فاذا ما قام قائد بعملياته ضد الانصار رغم سوء الاحوال الجوية او صعوبة طبيعة الارض فاجأ العدو مفاجأة تامة •

وقد تعلم العصابات مسبقا بعملياتنا ضدها ، وهذا امر يعرضنا لاخطار جسيمة • لذا يتولى الاعمال التحضيرية في هيئات الاركان اشخاص على درجة عالية من الثقة ويتجنب الجميع المحادثات الهاتفية الخاصة بالعملية ، ويحافظون على السرية باستخدام الشيفرة • ان الانصار تحاول دائما الاستماع الى محادثاتنا الهاتفية ، والتقاط اشاراتنا اللاسلكية لتستنتج منها بسرعة معلومات حول مشاريعنا المقبلة لمهاجمتها لذا فان من الضروري اتباع اساليب التمويه والخداع في عمليات الاتصال او جمع المعلومات ، وتطبيق نظام حازم دقيق للمحافظة على الاسرار • ويفضل عدم اعلام القطعات عن مهماتها الا قبيل العمل مباشرة ••• على ان لا تنسى القطعات خلال العمل ان المباغتة واجب رئيسي ، وان عليها عدم الوصول الى نقاط التجمع قبل حلول الظلام ، وعدم احتلال قواعد الانطلاق قبل وصول كبد القوات •

٢٧ — • • • • • • • • • • • • • •

(ب) القطعات :

٢٨ — على جميع القوات الالمانية ان تكون مستعدة للقيام بمهمات ضد الانصار • بما في ذلك وحدات التموين ، والوحدات الاختصاصية ، ووحدات الامن •

٢٩ — يعتبر القتال ضد الانصار « حالة خاصة من حالات القتال » والسبب في ذلك هو : ان العدو يتبع اساليب قتالية خاصة ويتصرف تصرفات تختلف عما يحدث عادة في الجبهات النظامية • كما ان مجابهة خداعه وخبثه واساليبه الجديدة بحاجة الى انتباه وحزم وصرامة ••• ومع هذا لا تعير معظم القوات انتباهها لهذه الامور • انها تعتقد ان

القتال ضد الانصار عمل سهل ، ويعود اعتقادها الخاطيء الى انها اشتبكت عدة مرات مع عصابات صغيرة سيئة التسليح ، فلم تشعر بالخطر ، ورأت ان بامكانها اهمال هذه العصابات ، وتجاهلت الاخطار الجسيمة التي يمكن ان يسببها هذا التجاهل لها وللقطعات المجاورة ... ان على قادة القطعات ان لا يخلطوا بين عدم الاهتمام والجسارة .

٣٠ ـ يعطي الاستطلاع ، والمراقبة للقطعات نتائج هامة جدا ، ويقدم البحث واكتشاف مخابيء العدو معلومات لا يستهان بها . ويفضل استخدام الكلاب البوليسية في عمليات الاستكشاف ... وتشكل الالغام التي يزرعها الانصار ، او يتركها العدو خلفه خطرا اكيدا على قواتنا ، ومن الواجب كشفها وازالتها في الوقت المناسب ، وتستخدم وحدات المهندسين لهذا الغرض بعد ان تدخل في تشكيلات وحدات الاستكشاف والمقدمة ، ووحدات النسق الاول القائمة بالهجوم (انظر فقرة ٣٩) .

اذا احتاجت القطعات لادلاء في مناطق غير معروفة ، امكنها ان تستخدم في هذه المهمة الهاربين من جيش العدو ، والاسرى وبعض الاهالي الماهرين العارفين بمسالك الارض ـ حطابين ، صيادين ، حراس غابات ... الخ ـ ولكن عليها ان تتخذ جميع التدابير المناسبة ، والاحتياطيات المعروفة حتى لا يغدر بها الادلاء .

٣١ ـ يتطلب القتال ضد الانصار استخدام وحدات تأمين الحماية فقد يظهر العدو في كل مكان . لذا تغطي تشكيلات المسير من جميع الاتجاهات ، وتقلل المسافات بين الوحدات وتوزع الاسلحة الثقيلة على طول ارتال المسير .

فاذا كان علينا السير على طريق غير معروف لم يسبق استكشافه ، اتخذنا التدابير التالية ضد الالغام :

ـ تدفع القطعات امامها بعض جذوع الاشجار المعدة على شكل كاسحات .

ـ تجبر الاهالي على ارسال قطعان ماشية امامها على نفس الطريق وتؤمن القطعات حمايتها بكل دقة خلال فترات التوقف والاستراحات وذلك بتجنب نشر الوحدات واستخدام تشكيلة « القنفذ » للدفاع حتى تستطيع الرمي في كل الاتجاهات •

٣٢ ـ يجب ان تكون القوات العاملة في الادغال قادرة على مطاردة الانصار والاشتباك معها داخل الادغال ومناطق المستنقعات ••• ولكن الادغال تخفي عادة عصابات كبيرة فعلى القوات ان تؤمن حمايتها بالوسائل التالية :

ـ استخدام الاستكشاف على نطاق واسع •
ـ استخدام جهاز ناري اقوى من جهاز العدو الناري •
ـ استخدام تشكيلات سير مناسبة
السرية هي اصغر وحدة قادرة على العمل لوحدها •

يتم التقدم على جبهة واسعة لاجل اجبار الانصار على الاشتباك بالقتال • وحتى يستطيع المهاجم دفع اكبر عدد من الرجال والاسلحة بآن واحد • ويحمي التقدم بهذا الشكل القطعات من الكمائن التي تنصبها العصابات غالبا •

ويمكن استخدام تشكيلة صغيرة وعميقة (ارتال) عندما يكون الموقف مجهولا ، اذ تقدم هذه التشكيلة للقائد حرية المناورة وتساعده على التقدم • ولكن مجنباتها حساسة تحتاج الى حماية ••• واحتمال الوقوع في الكمائن في هذه الحالة كبير لان القطعات تسير على الطرق والمسالك والممرات الاجبارية • ومن مساوىء استخدام هذه التشكيلة السماح للانصار بتحاشي الاشتباك والاختفاء او التراجع الى الخلف او التسرب الى الامام •

تستخدم القطعات عند التفتيش الدقيق داخل الغابات ، سلسلة تتألف كل حلقة من حلقاتها من رجلين ، ولكن الوحدات المعتادة على

العمل في الغابات تفضل التقدم عادة بتشكيلات مبعثرة .

تفيد وسائل الاتصال الجيدة في ربط مختلف اطـراف التشكيلة ، على ان يتم الاتصال دائما من اليسار الى اليمين ... يجب الاحتفاظ بقوة احتياطية تعادل ١/٨ تعداد القوات الاصلية ، ليستخدمها القائد في مجابهة الحالات المباغتة ، وتسير القوة الاحتياطية وبعض الاسلحة الثقيلة مباشرة وراء قائد العملية .

٣٣ ـ على قواتنا ان تؤمن دائما التفوق الناري على العـدو ... لذا يسير خلف وحدات الهجوم عدد من الاسلحة الثقيلة ، وبعض قـادة المدفعية لتوجيه نيران اسلحتهم القادرة علـى ضرب مقـاومات العـدو وتدميرها بأكبر سرعة ممكنة .

تزود المقدمات بالاسلحة الثقيلة التي يمكن تمركزها واستعمالهـا بسرعة ، حتى تستطيع هذه المقدمات تأمين التفوق الناري منـذ بـداية الاشتباك مع العدو .

٣٤ ـ تتطلب المعركة النارية تدريب القطعات على القتال الليلي .. اذ تقضي هذه القطعات خلال العمليات الليل في المكان الـذي تفرضـه مهمتها ، مهما كانت الارض صعبة والاحوال الجـوية رديئـة . وتـدل التجربة على ان القطعات تفضل المبيت في القرى ، ولكن هـذه طريقـة خاطئة لانها تترك الارض حرة لعمل الانصار دون سبب .

٣٥ ـ يجب ان تكون القطعات مستعدة لمهاجمة العصابات المتمركزة على مواقع محصنة . ومن الضروري في هذه الحالة احتلال هذه المواقع بهجوم مباغت جريء تقوم به قطعات آلية سريعة الحركة ، حتى ولو لـم تكن مزودة بأسلحة ثقيلة .

٣٦ ـ على القطعات ان تتقن التقدم بدون ضوضاء ، مستخدمـة تمويها جيدا ، لان الصمت والتمويه شرطان لازمان لتحقيق المباغتة .

٣٧ ـ يجب ان يكون التسليح متناسبا مع خصائص حرب الانصار

وعلى القطعات ان تحمل اسلحتها الثقيلة على ظهور الرجال والرواحل في المناطق المحرومة من الطرق • وتعطي الاسلحة التي يسهل استخدامها نتائج فعالة ضد الانصار • ولقد برهنت الاسلحة الخفيفة ، والمسدسات الرشاشة ، والبنادق الآلية ، والبنادق المزودة بمنظار ، والرشاشات الخفيفة والثقيلة ، والمدافع م/د الخفيفة والثقيلة ، والمدافع م/ط الخفيفة ومدافع المشاة الخفيفة ، وقاذفات اللهب الخفيفة ، أثبتت كلها انها اسلحة فعالة في القتال ضد العصابات داخل الادغال والمستنقعات • اما المدفعية الثقيلة والمدافع م/ط الثقيلة فهي تعيق كثيرا سير الوحدات العاملة ضد الانصار في الاراضي الصعبة • ولكنها مفيدة للقوات الاحتياطية ، او للقوات التي تتلقى عند الحصار مهمة التدخل لسد قطاع معين من الارض (انظر الملحق رقم ١) •

٣٨ ــ يمكن استخدام عربات الاستكشاف والعربات المدرعة (المصفحات) والدبابات الحديثة او القديمة في القتال ضد الانصار فهي تملك قدرة نارية كبيرة ، ولها على الانصار تأثير نفسي هائل • ولكن استخدام هذه المعدات شائك او مستحيل احيانا في الغابات والمستنقعات والجبال •

٣٩ ــ وللمهندسين اهمية حيوية لانهم يقومون باصلاح الطرق والجسور التي تدمرها العصابات غالبا ، ويفتحون المسالك في المستنقعات والادغال ، وينزعون الالغام ، ويدمرون مواقع الانصار المحصنة واماكن اقامتهم •

٤٠ ــ والوحدات الراكبة (الخيالة) مهمة ايضا في هذا النوع من القتال ، وخاصة في معارك الاستكشاف الرامية الى جمع المعلومات داخل الاراضي الوعرة او المحرومة من الطرقات • ويمكن استخدام القوات الآلية في مثل هذه المهمات اذا سمحت شبكة الطرق بذلك •

٤١ ــ يجب ان يكون تحت رئاسة القائد المسئول عن عملية مستقلة

ضد الانصار ، عدد كاف من الوحدات الخاصة والوحدات الراكبة (خيالة) • وهو يجمعها داخل تشكيلات مختلطة قادرة على القيام بكل مراحل المعركة دون مساندة • ويسير مع هذه التشكيلات المختلطة ، او مع كل كتيبة على الاقل مترجم ومفارز من مصلحة الامن العسكري للرايخ (S.S.) وبعض رجال الشرطة العسكرية للقيام بالتحقيق مع الاسرى بسرعة فور توقيفهم •

٤٢ ــ يجب ان تكون القطعات خفيفة سريعة الحركة ، اذ تستطيع القطعات الآلية او المنقولة على سيارات نقل عادية ، مطاردة الانصار السريعة ، وسبقها ، وقطع الطريق امامها • وتستخدم القطعات في الشتاء عربات كعربات الفلاحين تجرها الدواب • كما تستخدم زحافات وحيوانات لحمل الاثقال ••• الخ •

٤٣ ــ فاذا كان على القوات التقدم عبر المستنقعات حملت معها عتادا خاصا مؤلفا من حصائر من الاعمدة الخشبية التي تسمح لاجتياز المناطق الموحلة ، وعوامات مصنوعة من الاغصان المتشابكة تسمح بعبور المستنقعات وزحافات خاصة للمستنقعات • ويحمل هذا العتاد على عربات النقل التي تقطر الاسلحة الثقيلة او تحمل الذخيرة • وفي الصيف تصبح الناموسيات ضرورية لوقاية الرجال • اما في الجبال فمن الضروري استخدام عتاد خاص يناسب طبيعة الارض •

٤٤ ــ تصنع القوات عند الضرورة المعدات والتجهيزات اللازمة التي تتطلبها المعركة وطبيعة الارض •

٤٥ ــ تحمل القوات المضادة للانصار وسائل خفيفة متعددة للاتصال والاشارة • وتستخدم المراسلين (من الخيالة او راكبي الدراجات النارية) اذا لزم الامر وسمحت الظروف بذلك •

٤٦ ــ ان التموين في مناطق عمل الانصار عملية شائكة جدا ••• لذا تحمل القوات معها ، منذ انطلاقها ، كمية كبيرة كافية من الذخيرة

والمتفجرات والاعاشة ، ويمكنها مصادرة المواد الغذائية عند الحاجة .

اما المفارز الصغيرة ومفارز كوماندوس الملاحقة فتزود بالآليات وبكميات كبيرة من الاغذية والذخيرة ، ويرافقها عدد كاف من رجال مصلحة الخدمات الطبية والمصلحين الميكانيكيين ، حتى تستطيع القتال وحيدة لعدة ايام .

٤٧ ــ مصلحة الخدمات الطبية . . . .

٤٨ ــ تقدم مفارز الاهالي المحلية خدمات كبيرة اذا ما وضعت داخل صفوف قواتنا او اتصال وثيق معها . ومن الواجب تحصين رجال هذه الوحدات ضد الدعايات المعادية ، وذلك بتوعيتهم باعلام مضاد فعال وبتكليفهم باستمرار في مهمات قتالية تشغل وقتهم ، وتمنعهم من الاتصال مع المدنيين الذين تجد نشرات الانصار بينهم ارضا خصبة .

(ج) الاستكشافات :

٤٩ ــ هنا يجب ان نفرق بين :

ــ البحث عن المعلومات الخاصة باعمال الانصار .

ــ الاستكشافات قبل بدء العمل .

ــ الاستكشافات خلال العمل .

اولا ــ البحث عن المعلومات :

٥٠ ــ ويهدف الى تكوين فكرة عن الوضع العام للانصار .

٥١ ــ يضم البحث عن المعلومات على ما يلي :

ــ نقل جميع المعلومات الخاصة بالانصار .

ــ تأمين الرصد .

٥٢ ــ يجب انشاء مواقع لجمع المعلومات متعلقة بالقادة المسئولين عن القتال ضد الاسفار ، او قرب الوحدات التابعة لهم . وتعتمد هذه

المواقع على نقل المعلومات بصورة جيدة ، فاذا ما دأب الانصار على قطع المواصلات الهاتفية باستمرار وجب استعمال اللاسلكي •

٥٣ ــ يجب ان ترسل التقارير عن الانصار مباشرة الى مراكز جمع المعلومات ، ولكتابة هذه التقارير انظر الفقرتين ٦٤ و٦٨ •

٥٤ ــ تنقل المعلومات الهامة بعد اعطائها افضلية أولى •

٥٥ ــ يبحث هذه المعلومات القادة المحليون المسئولون عن الحرب ضد الانصار • وتتطلب هذه الدراسة خبرة واسعة ، ومعرفة تامة بالعادات المحلية • ويقدم نشاط الانصار للحصول على التموين معلومات هامة لمن يحسن بحثه ، ويمكن ان نستنتج عدد الانصار اذا عرفنا كمية المواد التموينية التي صادرناها ، وعدد أفراد المفرزة المكلفة بالمصادرات ••• الخ • على ان تدرس أقوال الاهالي المدنيين بحيطة شديدة ، فأقوالهم المتعلقة بعدد الانصار وخسائرهم وطريقة حياتهم لا تخلو من المغالاة الكبيرة وقد تكون المغالاة مقصودة بناء على تعليمات الانصار وبالتواطؤ معهم •

٥٦ ــ على القائد ان يتخذ قرارا سريعا بعد دراسة المعلومات • فاذا ما رأى ضرورة القيادة بعمل سريع ، أصدر أوامره المناسبة للموقف وقام بالعمل بيداهته وامكانياته ورفع المعلومات الى القيادة الاعلى مباشرة مع تقرير مناسب (انظر الفقرة رقم ٥٣) •

اما اذا رأى ان العمل ضروري ، ولكن القوات اللازمة لذلك غير موجودة لديه فانه يرفع المعلومات الى السلطة الاعلى مباشرة مع تحديد وجهة نظره حول امكانية القيام بالعملية ، والقوات المناسبة لذلك •

٥٧ ــ (حول كتابة تقارير يومية عن الانصار •••) •

٥٨ ــ (حول تبادل المعلومات مع المراكز القريبة) •

٥٩ ــ في كل يوم تقوم الوحدات والمكاتب المسئولة عن القتال ضد الانصار بوضع المعلومات القادمة عن الانصار على خرائط المنطقة

والمناطق القريبة •

ثانيا ـ الاستكشاف قبل بدء العمل :

٦٠ ـ يتخذ القائد قبل كل عملية ، الاعمال اللازمة ليحصل في الوقت المناسب على جميع المعلومات الضرورية لاتخاذ القرار • وتقع مسئولية جمع المعلومات على عاتق القائد الذي يكلف بها بعض عناصره•

وبعد دراسة المعلومات المتوفرة بالوسائل العادية ، يأمر القائد باجراء استكشافات تحدد مكان اقامة الانصار ، وحالة الطرق ، وقوات الانصار وتسليحهم وهنالك ثلاث وسائل لتنفيذ هذه المهمة الاستكشافية •

(أ) استخدام الافراد الموثوقين: يمكن الاستفادة من هذه الوسيلة في جميع الظروف وخاصة عندما يتطلب الاستكشاف اهتماما خاصا •

(ب) استخدام وحدات كوماندوس المطاردة : يستخدم هذا الاسلوب عند الاستطلاع في منطقة تعمل فيها الانصار بقوة، أو عندما تكون العصابات كبيرة العدد أو في المناطق التي لا يخليها الانصار دون قتال •

(جـ) استخدام طائرات الاستكشاف والهليوكوبتر ، ولا تستخدم هذه الوسيلة الا في المناطق التي اعتادت الطائرات التحليق فوقها ، والا استنتجت العصابات ان هنالك عمليات تعد ضدها • وينطبق هذا الامر على العصابات الصغيرة التي تتجنب كل صدام ، ولكنه لا ينطبق على الحالة التي تكون فيها العصابات قوية ومستعدة للالتحام في معارك كبيرة •

عندما يبدأ الانصار بالتراجع ، يمكن استخدام الاستكشاف الجوي دون أي تحفظ •

٦١ ـ (حول الافراد الموثوقين)

٦٢ ــ (حول السكان المحليين)
٦٣ ــ (حول مراقبة النقل الجوي)
٦٤ ــ يجب ان تكون المعلومات عن الانصار صحيحة ، وخالية من كل مضالاة .

٦٥ ــ يجب ان تكون التقارير حــول عمليات الانصار قصيرة وواضحة ... على أن يذكر في التقرير الاول المتعلق بعصابة ما النقاط التالية :

متى رؤيت العصابة ؟
ما هي طاقتها ؟
ما الذي كانت تفعله ؟
كيف كان تشكيلها ؟
وترسل التفاصيل بعد ذلك على شكل ملحق يتضمن ما يلي :
اسم رئيس العصابة واسم مفوضها السياسي :
لمن تتبع العصابة مباشرة ؟
اين تقيم العصابة ؟
اين تقع معسكراتها الاحتياطية والتبادلية ؟
من اين اتت العصابة ؟
الى اين ستتوجه ؟
ما هو تسليحها ؟
ما هي الاليات ووسائل النقل التي تساندها ؟
ما هي الخسائر التي الحقتها بالمكان ؟
ما هي صفاتها الخاصة المميزة الاخرى ؟
٦٦ ــ (حول الشيفرة المستخدمة في التقارير) .
٦٧ ــ (حول اسماء القرى في التقارير عن الانصار) .
٦٨ ــ (حول تحديد الانصار في التقارير) .

ثالثا ـ الاستكشاف خلال العمل :

٦٩ ـ الاستكشاف ضروري خلال كل مراحل القتال ضد الانصار، وفي جميع القطاعات بما في ذلك المؤخرات والمجنبات • وتقع المسؤولية هنا على قائد العمليات ، وقادة الوحدات المرتبطة به •

مهمة هذه الاستكشافات ما يلي :

ـ كشف القوات المعادية المختفية والمموهة •

ـ كشف محاولات الانسحاب او الخرق في الوقت الملائم •

ـ حماية قلب القوات من اي هجوم مباغت ، او من الوقوع في الكمائن •

ـ معرفة مواقع العدو واحسن المسالك للتقدم اليها •

وتتم الاستكشافات خلال العمل حسب نوع الوسيلة المستخدمة ، وتدعم الوحدات المكلفة لهذا العمل لتكون قوية قادرة على تنفيذ مهمتها• وتعتبر وحدات كوماندوس المطاردة المدربة احسن وسيلة لمثل هذه الاستكشافات •

٧٠ ـ يشكل التحقيق مع الاسرى مصدرا من اهم مصادر المعلومات ومن الخطأ اعدام انصار الاسرى فورا بدون تحقيق •

٧١ ـ يسمح التحقيق التكميلي لبعض الاسرى ، بالحصول على المعلومات المطلوبة عن عدد العصابة وتشكيلها ووسائل اتصالها •

(د) اساليب القتال ضد الانصار :

اولا ـ المحاصرة والابادة :

٧٢ ـ على القطعات محاولة محاصرة الانصار وابادتها مهما كانت العصابات صغيرة • ويتم الحصار بنجاح ساحق عندما تتوفر للمهاجم القوات المناسبة •

٧٣ ـ يهدف الحصار قطع مسالك التراجع عن العدو ، وتدميره

التطويق

المسير للتقرب من خط التطويق

احتياط القطاع

خط التطويق

رصد أمامي

قائد العملية

قائد القطاع

حدود القطاعات

احتياط تعبوي للعملية

بعد ذلك بصورة منهجية دقيقة كاملة .

٧٤ ــ تؤخذ الملاحظات التالية بعين الاعتبار عنـد تقرير القوات

اللازمة لتحقيق الحصار .

- ان طوقا ضعيفا مؤلفا من وحـدات منتشرة لا يكفي لمحاصرة الانصار . ومـن الضروري انشاء خط الحصـار على شكـل خطوط دفاعية قوية مؤلفة من المخافر الامامية ، وكبد القوات في الخلف .
- يجب ان يشمل الحصار الارض التي يحتلها الانصار فعـلا ، ولا يدخل ضمن اطاره الاراضي المجاورة المشبوهة او التـي يتردد اليها الانصار احيانا .

اذا كانت القوات الموجودة غير كافية لحصار جميع ارجـاء المنطقة التي يحتلها العدو ، اكتفت هذه القوات بتطويق اهـم اجزاء المنطقة واكثرها خطورة .

٧٥ ـ يتم اعداد العملية وتنفيذها بكل دقة وسرية ، وهـذه امور هامة رئيسية . لذا تجمع القوات المشتركة في العملية بعيدا عن مركـز المنطقة التي تحتلها العصابات . وليس من الضروري دائما انتقاء نقـاط تجمع تلتف على شكل حلقة حول المنطقة الواجب تطويقها ، لان ذلـك يكشف نوايانا قبل الاوان . واذا اردنا خداع استطلاع الانصار قمنـا بالمسير والتقرب نحو نقاط التجمع بشكل يبلبل الاستخبارات ، ويجعلها عاجزة عن تقدير مخطط مناورتنا ، او يدفعها الى اخذ صورة مغلوطـة ، والقيام بتقديرات مخالفة للواقع .

وكلما ازدادت الية القوات وطاقتها على الحركـة كانت امكانيـة مباغتة العصابات اكبر ثم تتحرك القطعات من منطقة التجمع نحو خـط الحصار بشكل تصل معه جميعها الى هذا الخط بآن واحد،والاستكشاف المسبق للطرق ومسالك التقرب مهم جدا ... فاذا ما صادفت القطعـات خلال حركتها نحو الحصار وحدات حماية معادية متفرقة ، او عصابـات ملحقة صغيرة ، تجاهلتها وتابعت تقدمها بعد القضاء على المقاومات التي

تعيق التقدم بسرعة لان الهدف هو محاصرة العصابة الكبيرة بشكل اكيد .

تحدد خطوط التطويق المتتالية حسب طبيعة الارض ، مع انتقاء اكثر الخطوط صلاحية للدفاع . ويمكن استخدام مسالك الغابات والطرق المستقيمة المفتوحة فيها كخطوط محاصرة متعاقبة اما في الجبال فيتم انتقاء خطوط المحاصرة حسب خط الذرى (انظر المخطط ص ٢٥١) .

٧٦ – والفترة الحرجة في بداية العملية ، هي الفترة التي تبدأ بالتقدم نحو التطويق وتنتهي بالوصول الى هذا الوقت جس نبض خط الحصار لتحديد نقاط ضعفه ، والقيام بخرق سريع فيهذه النقاط . لذا يدعم النسق الاول منذ اول مراحل التطويق بأسلحة ثقيلة .

٧٧ – وما ان يتم الحصار حتى تأخذ القطعات جميع التدابير لمجابهة محاولات الخرق المعادية . وتبذل اهتماما خاصا بالممرات والمسالك ونقاط المرور الاجبارية والمستنقعات والانهار .

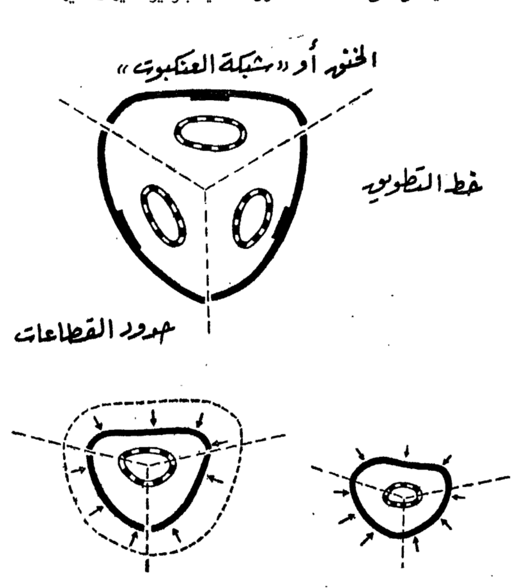
ويكتفى في المناطق المكشوفة بوضع خطوط من نقاط الارتكاز ، على ان تكون هذه النقاط متقاربة من بعضها ، وقادرة على تحقيق الدعم المتبادل بالنيران . وتشمل نقاط الارتكاز دفاعا دائريا قادرا على الرماية في جميع النواحي ، وترتبط مع بعضها بمفارز اتصال ودوريات ، تكون مهمتها سد الثغرات ومنع عمليات التملص بين النقاط .

ويعتمد الدفاع بصورة رئيسية على القوة النارية لاسلحته الثقيلة ، وتضرب قاذفات الهاونات ومدافع المشاة الخفيفة بنيرانها القطاعات الهامة التي لا تشغلها القطعات . وتراقب المدافع المضادة للدبابات الممرات والطرقات المؤدية الى خط الحصار . وتوضع مخططات نارية مناسبة ، وتندفع الى الامام مراكز مراقبة امامية (مؤلفة من رصاد امامیين) وتنطلق امامها ايضا دوريات استكشاف قوية . اما في الخلف

فتتجمع قوات آليــة سريعــة الحركة تشكل احتياط خــط التطويــق ومؤخرته .

يجب ان تبقى جميع القوات المشتبكة في العملية على اتصال وثيق فيما بينها وان تكون حذرة ، وتنتظر العدو في كل الاتجاهات .

يقضى على محاولات الخرق المعادية بتركيز النيران عليهــا ، فاذا



ما نجحت بعض العناصر المعادية رغم ذلك بعملية التسلل ، وخرجت من الطوق ، فان قطعات الحصار تبقى ثابتة في مكانها لسد الثغرات ، بينما تقوم العمليات الاحتياطية بمطاردة وابادة الانصار الذين تمكنوا من الخروج من الطوق •

تستخدم القطعات الآلية والخيالة والدبابات في عمليات الحصار اذا سمحت الارض بذلك اما اذا كانت الارض غير مناسبة ، فتوضع هذه القطعات مع القوات الاحتياطية •

٧٨ ـ هنالك عدة اساليب لابادة الانصار بعد حصارها وهي :

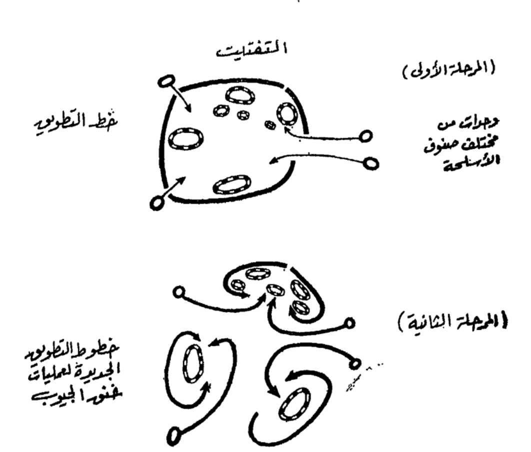
(١) الخنق : (انظر المخطط في الصفحة ٢٥٤) ويتم بتضييق خط الحصار بتقدم مستمر من جميع الجهات نحو الوسط • وتبدو هذه الطريقة بسيطة ، ولكن لا يمكن اتباعها الا في تطهير المناطق الصغيرة • ويصعب تطبيقها على مساحات واسعة من الارض • لان طول خطوط الحصار ، يجعل القوات المشتركة في العملية عاجزة عن التقدم بسرعة واحدة ، وهذا ما يؤدي الى انقطاع الاتصال ، فتنفتح بذلك ثغرات يستغلها العدو للانسحاب بسرعة •

(ب) التمشيط : في هذه الحالة تتقدم القوات الموجودة على جانب من جوانب الطوق لتمشيط الارض ، على حين تبقى القوات الاخرى صامدة • وتدفع القوات المتقدمة الانصار نحو الوحدات الثابتة المتمركزة على خط التطويق ، وهنا ترى العصابات ان تراجعها يعني وقوعها في النهاية تحت رحمة الوحدات المتمركزة ، فتحاول الانسحاب عبر التشكيلات المتقدمة ، لهذا تنشر بعض القوات الاحتياطية على مسافة كافية خلف القوات المتقدمة ، تكون مهمتها الاشتباك مع ما يتسلل من الانصار •

وتتبع هذه الوسيلة عندما يحدد المهاجم بصورة اكيدة خط انسحاب الانصار ، كما انها تعطي مردودها الاقصى ، عندما تستطيع

القطعات الثابتة على خط التطويق الاستناد على خط مناسب للدفاع (نهر ، هضبة مشجرة ، نطاق من الغابات ... الخ) بحيث يتعذر على الانصار خرق الطوق فرارا من القوات المتقدمة ، فتقع بين نارين وتتعرض للابادة .

(ج) التفتيت : وتنظيف الجيوب . (انظر المخطط في الصفحة ٢٥٦) ما ان تأخذ قطعات التطويق مكانها ، حتى تتقدم قوات مؤلفة ، من مختلف صنوف الاسلحة ، وتعبر الطرق متجهة نحو مركز المنطقة المحاصرة ، او نحو مواقع الانصار المعروفة لدينا . وتبقى كافة قوات التطويق صامدة في مكانها . وهكذا تجزأ المنطقة المطوقة ، وتحرم العصابات من

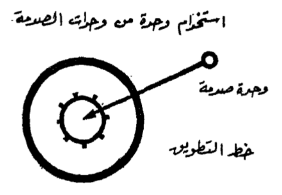


حرية العمل ، وتفقد القدرة على استكشاف الطوق وتحديد نقاط ضعفه لخرقها • وما ان تجد العصابات نفسها معرضة للهجوم بقوة داخل مراكزها • حتى تجبر على تقسيم قواتها الى عدة اقسام ، عندها تتقدم القوات الموجودة على خط الحصار محاولة الاتصال مع قوات مختلف الصنوف العاملة داخل المنطقة ، فتنقسم المنطقة المحاصرة الى جيوب صغيرة يمكن تطهيرها بعد ذلك بسهولة ودون تسرع •

ويتطلب تطهير منطقة شاسعة عمليات تدوم عدة ايام ، وفي هذه الحالة يعطي القائد للقطعات اهدافا يومية ويحدد لها خطوط حصار متتالية تضيق باستمرار • وتطبق قواعد الحصار التي ذكرناها سابقا في عمليات تطهير الجيوب •

(د) استخدام وحدات الصدمة : (انظر المخطط في الصفحة ٢٥٧) اذا كانت العصابات الواجب محاصرتها مقيمة في معسكر دائم ، واكدت المعلومات بأنها ستدافع عن معسكرها بصلابة دون تفكير بالانسحاب • فان على القوات المهاجمة محاصرة المنطقة المحددة ، وتشكيل وحدات الصدمة من القوات الاحتياطية • وتنطلق هذه الوحدات لتهاجم المعسكر وتدمر العصابة ، وتكون مهمة خط الحصار عندئذ ايقاف الانصار الذين يحاولون الانسحاب ، وتفتيش المخابىء التي قد يلجأون اليها •

استخدام وحدة من وحدات الصدمة



٧٩ ـ يجب ان لا نصدق كل المعلومات التي يقدمهـا لنا الهاربون من معسكر الانصار ، وان نحاول التأكد من صحتها بأساليب اخرى •

ثانيا ـ القضاء على الانصار بهجوم مباغت تليه مطاردة عنيفة :

٨٠ ـ اذا كانت القوات المتوفرة غير ملائمة لتحقيق حصار العصابة• او اذا لم يكن لدينا الوقت الكافي لذلك ، فان من الواجب اجبار الانصار على الاشتباك ، وذلك بمهاجمتهم بصورة مباغتـة وتدميرهم ومطـاردة فلولهم التي تنتشر على شكل جماعات صغيرة • وهنا لا بد لنا من الاشارة الى امكانية نجاة عدد كبير من الجماعات الصغـيرة ••• وتطبق هـذه الوسيلة عادة ضد انصار لم ينتهـوا بعد من بناء معسكراتهـم او ضـد عصابات تقوم بالانتقال من مكان الى آخر •

٨١ ـ والفكرة الرئيسية في هـذا الظرف هي : تدمـير العصابـة بمهاجمتها في نقطة حاسمـة بوسائـل متفوقـة ، ومطاردتهـا بشـدة ، وابادتها •

٨٢ ـ والاستكشاف المسبق هنا ضروري جدا نظرا لسرعة تنفيذ العمل • وعلى القوات المضادة للانصار ان ترصد مكان العصابة وحركاتها رصدا دقيقا قبل تنفيذ المناورة •

٨٣ ـ تعتبر المباغتة اهم اسباب نجـاح مثـل هـذه العمليـات • لذا تجمع القطعات بعيدا عن مسرح العمل ثم تدفع بعد ذلك بسرعـة على الطرقات التي تم استكشافها مسبقا بشكل سري •

٨٤ ـ يختلف تطور المعركة باختلاف رد فعـل الانصار ••• ، فاذا ما قررت العصابات الاشتبـاك بالقتال نفذت القـوات المهاجمة المخطـط المعد مسبقا ••• اما اذا حـاولت العصابات التسلـل وعدم الاشتبـاك ، فان على القطعات المهاجمة ان تنظـم داخـل ارتـال ، وتندفع بسرعـة لتتجاوز العصابات وتضربها من المجنبة او الخلف • فـان تفتت العصابـة

كان على المهاجم مطاردتها فورا بعنف ... وعندما تختفي العصابة وينقطع الالتحام معها تتوقف القطعات المهاجمة ، وتعود الى الاستكشاف من جديد لتنظيم مخطط عملية جديدة .

٨٥ ـ والمطاردة في هذه الحالة عملية شائكة متعبة كعملية الصيد في الادغال . وهي تهدف الى ملاحقة العصابة ومحاصرتها وتدميرها . ولا يمكن للمطاردة ان تنجح الا اذا كانت القطعات قادرة على الحركة بسرعة كبيرة . لذا تلقى وحدات المطاردة مهمة نقل ذخيرتها واعتدتها على عاتق وحدات صديقة اخرى .

وعلى قوات المطاردة ان تتجه قبل كل شيء نحو مركز قيادة العصابة محاولة اسر القيادة او القضاء عليها .

ثالثا ـ استخدام قوات كوماندوس المطاردة ضد العصابات :

٨٦ ـ يسمح وجود قوات كوماندوس المطاردة بالقتال بفاعلية ضد الانصار ، حتى عندما تكون قوات الكوماندوس اقل عددا من الانصار . فوحدات كوماندوس المطاردة وحدات كفؤ ومعدة للقيام بعمليات استكشافية قادرة على تدمير المقاومات التي تعترض سبيلها . ويمكن استخدام كوماندوس المطاردة كوحدات انقضاض . ان على القيادات المكلفة بالقتال ضد العصابات ان تشتبك كلما سنحت لها الفرصة المناسبة ، لذا تحتفظ هذه القيادات بوحدة من كوماندوس المطاردة مستعدة للعمل السريع ، وقادرة على التدخل في كل وقت .

وعلى قوات كوماندوس المطاردة ان تعمل بشكل يحرم الانصار من الراحة ويقطع تموينهم ويمنعهم من تشكيل عصابات جديدة . كما ان عليها تأمين حماية الوحدات الصديقة الصامدة بتطهير المنطقة حولها من العصابات .

٨٧ ـ ويعتمد عمل قوات كوماندوس المطاردة على تقليد اساليب

قتال الانصار ، والتلاؤم مع الظروف المحلية ، بغية التقدم من العصابات بسرية ، ومفاجأتها وتدميرها .

٨٨ ـ وافضل المناطق لعمل قوات كوماندوس المطاردة هي المناطق التي ترتادها العصابات لمصادرة المواد الغذائية ، او تجتازها للقيام باغارة او لتنفيذ عمليات النسف والتدمير .

اما المناطق التي تملك العصابات فيها معسكرات ومواقع محصنة فلا تصلح لعمل قوات كوماندوس المطاردة .

٨٩ ـ لا يجب ان يقل تعداد وحدة كوماندوس المطاردة عن الفصلة، كما لا يجب ان يتعدى السرية ... وتجهز هذه الوحدات بتجهيزات خاصة (البسة تمويه ، البسة شتوية)زحافات ، عربات فلاحين تجرها الدواب ، حيوانات جر ، زحافات فردية ، اواني طبخ ، اجهزة لكشف الالغام ، معدات حفر من كل نوع ، اجهزة هاتفية صالحة للعمل على الخطوط الموجودة لنقل التقارير او الاستماع لمخابرات العدو ، اجهزة لاسلكية ... الخ) ويجب ان يكون تسليحها جيدا (عدد كبير من المسدسات الرشاشة ،والبنادق الآلية، والرشاشات الخفيفة، وقاذفات القنابل الخفيفة ، والقنابل اليدوية) . وتحمل وحدات كوماندوس المطاردة كمية كافية من المؤن والذخائر حتى تستطيع القتال والعيش مدة طويلة دون ان تحتاج لتموين جديد .

٩٠ ـ تضم قوات كوماندوس المطاردة رجالا شجعان مجهزين جيدا ويلحق بكل وحدة منهذه الوحدات افراد من المهندسين والخيالة والاتصال والمترجمين . كما قد يلحق بها عدد من الاهالي الموثوقين الذين برهنوا على ولاءهم المطلق .

وعلى هذه الوحدات ان تحافظ خارج العمليات على طاقاتها القتالية العالية ، وذلك بالمثابرة على اتباع تدريب خاص مناسب .

٩١ ـ تتطلب قيادة وحدات كوماندوس المطاردة كثيرا من الحذاقة

ان معرفة وسائل العصابات القتالية بشكل جيد ، ودراسة الوسط الذي ستعمل فيه ألوحدات المضادة للانصار شرطان رئيسيان لاستخدام حيل القتال المناسبة . وعلى « صيادي العصابات » ان يعرفوا الارض التي يقاتلون عليها معرفة تامة ... ولكن بقاء وحدة من وحدات كوماندوس المطاردة مدة طويلة في مكان محدد يؤدي الى ان تكشف استخبارات العصابات وجودها ، فتقوم بعد ذلك بمراقبة حركاتها وسكناتها بكل عناية ، فتكشف ا وتخمن نواياها . ولخدع مصلحة الاستكشافات المعادية ، تتحرك وحدات كوماندوس المطاردة باتجاه مضاد للاتجاه الذي ستسلكه للذهاب الى مسرح عملها ، فلا تصل الى هذا المسرح الا بعد القيام بعمليات التفاف طويلة ... ان من الضروري تمويه الحركة واخفاء مكان الاقامة بشكل ذكي ، فاذا اكتشف الانصار هذا المكان وجب تبديله فورا .

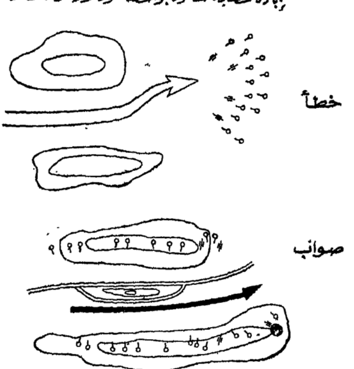
يجب ان يتمتع قادة وافراد مثل هذه الوحدات بغريزة الصياد الماهر ، وهذا شرط ضروري من شروط النجاح ... وتعتمد قوات كوماندوس المطاردة على نفسها للحصول على المعلومات المتعلقة بالانصار خاصة عندما تعمل وحيدة بعيدة عن الوحدات الاخرى .

٩٢ــ تقاتل وحدات كوماندوس المطاردة بالشكل التالي : تسير في اغلب الاوقات ليلا وتختفي نهارا ، وتؤمن حمايتها اثناء المسير والاقامة . وما ان تصل الى منطقة القتال حتى تبدأ بالاستطلاع ، ويمكنها اكتشاف نشاط العصابات من الآثار التي تتركها هذه العصابات خلفها . وتتحاشى هذه الوحدات الاختلاط مع الاهالي المدنيين خشية ان تقع ضحية الخيانة .

تستخدم قوات كوماندوس المطاردة مخافر المراقبة ، وتراقب هذه المخافر طرق التقدم والمسالك التي تستخدمها العصابات في النقاط المناسبة للهجوم (انظر المخطط في الصفحة ٢٦٢). ان التمويه الحاذق، والاتصالات الجيدة ، واحتمال المكاره والصعوبات ، شروط اساسية للنجاح .

وعندما ينتهي القضاء على العدو تحفظ وثائقه وخرائطه في اماكن

إبادة عصابة سائرة بواسطة كوماندوس المطاردة



أمينة، وتدمر اسلحته وذخائره التي نستولي عليها ، وتجمع الغنائم في مكان مضروب بالنار ، اذ أثبتت التجارب ان العصابات لا تترك مواقعها في مكان الا لتظهر في مكان اخر .

تتجنب قوات كوماندوس المطاردة الاشتباك مع مفارز تتفوق عليها تفوقا كبيرا .

٩٣ ــ تحاول قوات كوماندوس المطاردة مباغتة العدو باستمرار ، لذا فهي لا تنقل المعلومات التي تحصل عليها ، حتى لا يتسرب قسم منها خلال عملية النقل . فاذا ما حصلت على معلومات هامة جدا تتطلب اشتباك قوات اكبر من قوتها ،خرقت هذه القاعدة ، ونقلت المعلومات بسرعة الى القيادة الاعلى .

٣ ـ **الحماية ضد العصابات :**

٩٤ ـ تتابع المعارك الهجومية ضد الانصار بحماية مثالية فعالة . ومن الضروري تأمين الحماية والدفاع للنقاط التالية :

ـ مواقع اقامـة القوات

ـ السكك الحديدية ومنشآتها .

ـ لطرق البرية ، وطرق المواصلات المائية ، والقوافل السائرة عليها .

ـ المناطق العسكرية .

ـ المنشآت الاقتصادية .

ـ المنشآت الادارية ومنشآت الاتصال (المواصلات السلكية واللاسلكية) .

ـ المناطق الزراعية والادغـال .

٩٥ ـ والمبدأ المطبق هنا هو ما يلي : يجب حراسة كل ماله تأثير على على سير الحرب والذود عنه ضد نشاط الانصار ...

٤ ـ **حالات خاصة**

. . . .

. . . .

. . . .

هذا الكتاب

.. ليس الا بحثا علمياً مستفيضاً في كيفيــــة انشاء قوات الانصار وتدريبها وتجهيزها لتلائم طبيعة الارض التي تعمل عليها كما يبرز الاهداف التي يجب ان يلاحقها الانصـــار لتدميرها او تخريبها او بعض الاحيان الابتعاد عنها .

كما ان المؤلف لم يغفل ناحية مهمة اخرى وهي كيفية مجابهة قوات الانصار العدوة في حال قيام العدو بانشاء مثل هـــذه القوات .

ومن خلال عمليات الانصار السوفيات في الحرب العالميـة الثانية ، اي من خلال خبرات عملية لانظرية يسوق لنا المؤلف امثال حية تدحض بعض النظريات وتؤيد اخرى . الا ان هذا يجب ان لا ينسينا ان لكل ظروف موجبـــاتها ولكل ارض مقاتليها ..

النـــاشر

الثمن : ٦٠٠ ق. ل. او ما يعادلها

